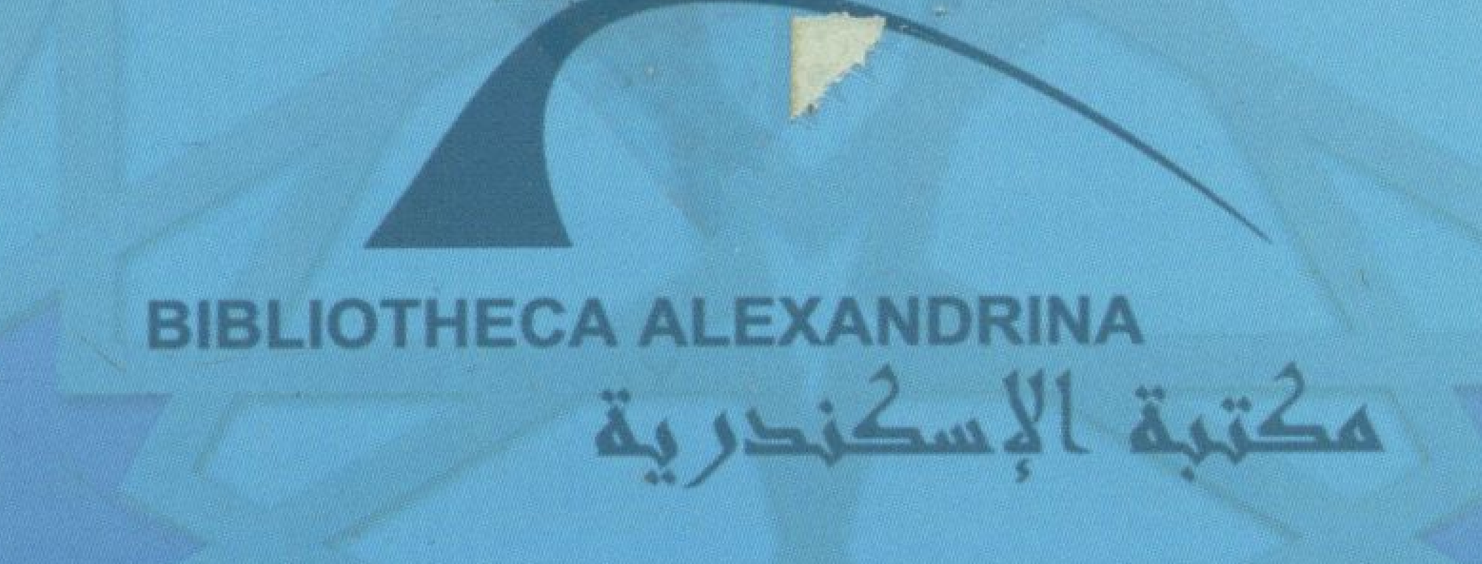


شهود وشهادات على الحركة الإسلامية

تاريخ الحركة الطلابية في السبعينيات

تأليف: سامح عيد

شهود وشهادات على الحركة الإسلامية

"تاريخ الحركة الطلابية في السبعينيات"

تأليف

سامح عيد

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء النشر (فان)

عيد، سامح.

شهود و شهادات على الحركة الإسلامية : تاريخ الحركة الطلابية فى السبعينيات / سامح عيد. — الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١٢.

ص. سم

تدمك: 978-977-452-178-5

١. الحركات الطلابية— تاريخ. ٢. الطلبة — نشاط سياسى. ٣. مصر — أحوال سياسية. أ. العنوان.

ديوي – 371.810962 6230112012

ISBN 978-977-452-178-5

رقم الإيداع بدار الكتب 11535/2011

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى روح الأستاذ محمد حاكم

صاحب الجهد الأساسي في إقامة ندوة هذا الكتاب،

وإلى روح الأستاذ حسام تمام صاحب فكرة هذا الكتاب،

غفر الله لهما وتغمدهما بالرحمة وأدخلهما فسيح جناته.

الفهرس

مقدمة

يعدُّ التاريخ الشفاهي مصدرًا من المصادر المهمة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ فهي توضح وضع المجتمع، وكيف يرى أصحاب ذلك المجتمع أنفسهم، والصورة التي يرسمونها لأنفسهم أو يضعون أنفسهم داخل إطارها. ونستطيع القول إن التاريخ الشفاهي يسد كثيرًا من الثغرات التاريخية التي سكتت عنها المصادر، كما أنه يعطينا تاريخًا للجماعات أو القرى التي لم تتناولها المصادر التاريخية أساسًا، أو أن ما ورد بشأنها كان طفيفًا. وبديهي أن التاريخ الشفاهي لا يعنى بالترتيب الزمني، للأحداث أو تسلسلها، فرواة التاريخ الشفاهي لم يحفلوا بالتحديد الزمني، فهذا التاريخ يحكي عن أخبار رأى الناس أنها مهمة ولا يعولون اهتمامًا كبيرًا بمتى حدث ذلك. فتلك المادة مع إخضاعها للبحث والنقد التاريخي، ووضعها في سياق بيئتها الاجتماعية والتاريخية والجغرافية، يمكن أن تسد بعض الفراغ التاريخي، وتُفَسِّر بعض الظواهر الاجتماعية التي سكتت عنها المصادر، فهي التي تعطينا صورة حية للماضي أو تجعل الماضي حيًّا ينبض أمامنا. ويجب ألا يغيب عن البال أن عملية قصٍّ أو حكي التاريخ تمثل إعادة الحياة لأفكار ومشاعر وتراث السامعين. فالتاريخ الشفاهي له نبض ودفء، ويجب أن نشير إلى أن هناك طبقة راسخة من العادات والأفكار، ونسقًا ثابتًا من القيم تتحكم وتوجه المسار التاريخي للأحداث، وإن كانت هذه الطبقة غير مرئية، ولكن على المؤرخ إدراكها بعيدًا عن الإدراكات العقلانية. وبالإضافة إلى ذلك فعلى المؤرخ أن يكون واعيًا ومدركًا للمضمون؛ بحيث لا يقع في شباك الشكل أو حبائل التعبير.

استخدم المؤرخون العرب والمسلمون المادة الشفاهية بشكل واسع، بل إن قدرًا من التراث العربي المدَوَّن، في ميادين علمية عديدة، كان تراثًا شفاهيًّا قوامه التداول والرواية الشفاهية، وهناك إجماع على أن جُلَّ المحدثين والمؤرخين والإخباريين والأدباء والشعراء الأوائل قد استفادوا من المصادر الشفاهية. فالبلاذري والطبري والمسعودي وابن خلدون يأتون على رأس المؤرخين المسلمين الأوائل الذين اعتمدوا بشكل كبير على الروايات الشفاهية عند تأليفهم كتبهم، ويكاد الشعر العربي الجاهلي برُمَّته أن يكون شعرًا شفاهيًّا، ويرجع الفضل إلى علماء المسلمين الذين قنَّنوا قواعد علمية للاستفادة من الروايات الشفاهية. أصبحت تلك القواعد فيما بعد علومًا مستقلة مثل علم الإسناد،

وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث. أما في العصر الحديث؛ فقد نشطت حركة الاستفادة من المأثور الشفاهي في الميدان التاريخي منذ القرن الثاني عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي في أوروبا، ونتج عن ذلك كُتب تاريخية كنظام الحوليات، ومؤلفات عن تاريخ المدن وتاريخ الأسر الحاكمة. ثم ضعفت الحركة في القرن التاسع عشر الميلادي. أما في أمريكا، فقد استمر الاهتمام بالتراث الشفاهي؛ ذلك لأنه يُشكل المصدر شبه الوحيد للسكان المحليين والمهاجرين على حدٍ سواء. وبحلول القرن العشرين الميلادي ازداد الاهتمام بالمأثور الشفاهي في ميدان التاريخ، ولم يطلع فجر عقد الستينيات من ذلك القرن إلا وقد برزت حركة علمية قوية تدعو إلى اعتماد المأثور الشفاهي مصدرًا من مصادر التاريخ.

في سبعينيات القرن العشرين الميلادي فتحت "الجامعة الفرنسية" باب البحث عن "الشفاهية" وساعدت في تنمية حكايات الحياة والذاكرة والسيرة والمسح الشفاهي للأحداث، وتضاعف تاليًا العمل في الأوساط المهتمة بحقل التاريخ الشفاهي حتى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. وسيرًا على هذا النهج نظّم مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية سيمنارًا للتاريخ تحت عنوان "منهجيات البحث في التاريخ" في الفترة الممتدة ما بين شهري إبريل ومايو من عام ٢٠٠٤ حاول من خلاله التأكيد على أهمية التاريخ الشفاهي في تناول الدراسات التاريخية، وذلك من خلال عرض جميع التيارات السياسية في مصر خلال الثلاثين عامًا الماضية والتي لعبت دورًا هامًا في تشكيل جزء كبير من التاريخ القومي وذلك ممثلاً في الحركات الإسلامية والتيار الليبرالي والقومي، وسوف يتم التركيز في هذا الكتاب على تاريخ الحركة الإسلامية في تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر، وقد أشرف على إدارة هذا السيمنار المرحوم محمد حاكم وليس أدل على أهمية ما تناوله السيمنار من تلك الكلمة التي قال فيها "إنه حق لكل الأجيال التالية لهم أن يسمعوا هذه الشهادات ويناقشوها بأقصى قدر ممكن من الوضوح والشفافية، مع الأخذ في الاعتبار تحيزات الذاكرة، وتحيزات الشخص وتحيزات المذهب، وكل عوائق المعرفة الممكنة بالتأكيد ستكون واردة في هذا السيمنار مثلما هي واردة في كل النشاطات العلمية المختلفة".

إن تاريخ الحركة الإسلامية في مصر خلال الثلاثين عامًا الماضية قد أثار كثيرًا من الجدل على المستوى السياسي وعلى المستوى العلمي الأكاديمي بين الباحثين والدراسين؛ وذلك لأن هذه الفترة شهدت انقسامات كثيرة داخل الحركة فلم تكن حركة واحدة بل انقسمت إلى عدة

حركات وحدث داخلها انشقاقات باتجاهات فكرية وعقائدية اختلفت فيما بينها، واكتنف البعض منها الغموض والسرية على مستوى التنظيم أو على مستوى التحركات، لم تستطع الدراسات التي قدمت على مدار هذه الفترة تغطية جميع جوانب وأحداث وتاريخ الحركة الإسلامية وذلك لعدة معوقات، أهمها سيطرة الدولة على المعلومات الخاصة بهذه الحركات باعتبارها من الأمور الخاصة بأمن الدولة وتشكل خطرًا داهمًا على استقرار وأمن البلاد، بالإضافة إلى احتفاظ الكثيرين من أعضاء هذه الحركة أو التنظيمات التي انشقت منها بأسرار هذه الحركة وأشكالها التنظيمية وتحركاتها خوفًا من القبضة الأمنية، فظلت كثير من المعلومات والحقائق بعضها سرية وبعضها الآخر غائب لاحتفاظ أصحابه به.

جاء هذا السيمنار ليزيح الستار عن تلك الحقائق والمعلومات ويعرضها لأول مرة أمام الباحثين والمتخصصين من خلال شهادات وروايات أعضاء هذه الحركة عن تلك الفترة التي عاشوها وعاصروا أحداثها بل وشاركوا في صنعها، كلٌ شاهدٍ فيها روى أحداث الفترة كما كان يراها من وجهة نظره الفكرية والعقائدية، وعلى الرغم من ثراء المعلومات التي عرضت من خلال شهود هذه الفترة فإنها تركت وراءها العديد من التساؤلات وأيضًا المواقف التي تحتاج إلى تفسير وإيضاح بل ومقارنة أيضًا، وهذا يفتح الباب أمام الدارسين والمتخصصين في هذه الحقبة التاريخية وفي تاريخ الحركة الإسلامية للبحث وراء الحقيقة التاريخية، وذلك من خلال الدمج والمقارنة بين التاريخ المُوثّق والمُدوّن في وثائق وسجلات هذه الفترة وبين التاريخ الشفاهي المتمثل في روايات وشهود العيان لتلك الفترة الهامة من التاريخ المصري.

جاء حديث الدكتور عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ في بداية الندوة معبرًا عنها؛ حيث قال: على مدى ثلاث سنوات يُنظّم السيمنار شهريًّا، الخميس الأخير من كل شهر، وكل سنة له موضوع تحت العنوان العام "منهجيات البحث في التاريخ" أو "تناول الدراسات التاريخية"، سيمنار اليوم سيمنار له طابع خاص ويثير كثيرًا من الجدل على المستوى السياسي وعلى المستوى العلمي الأكاديمي بين المثقفين المتخصصين وغير المتخصصين؛ لأنه يتناول الحركة الإسلامية في مصر بشكل خاص وبشكل عام في العالم الاسلامي، نحن في مصر على سبيل المثال عندما نشير إلى الحركة الإسلامية فنحن نؤرخ لها عادة بعام ١٩٢٨م وهو بداية جماعة الإخوان المسلمين بقيادة المرشد العام الإمام حسن البنا، ويضاف إليها الفترة من بعد عام ١٩٢٨م، التي نجد فيها روافد

كثيرة تعمل في هذا المجال لعل أبرزها جماعة "مصر الفتاة"، على غير ما هو شائع أن هذه الجماعة جماعة فاشية أو نازية أو سارت على خطوط "هتلر" وأن أحمد حسين نفسه كتب كتاب "إيماني" على وزن كتاب "كفاحي" الذي كتبه هتلر. لكن المعروف أن أحمد حسين في عام ١٩٤٠م أعاد تنظيم الجماعة "جمعية مصر الفتاة" تحت عنوان "الحزب الوطني الإسلامي"، وهذه نقلة ملحوظة في تاريخ هذه الجماعة، وكان مرتبطًا أكثر بالملك وأطلق شعار "الله، الملك، الوطن" لهذه الجمعية إلى أن وصل بنفس التنظيم حتى عام ١٩٤٨م فتحول إلى "الحزب الاشتراكي"، ثم هذا الحزب يطلب منه بعد ذلك "حزب العمل" في وجود عادل حسين، ومجدي أحمد حسين، إلى آخره. أيضًا هذا التيار كان له قواعد هامة جدًا في الجامعات المصرية وخصوصًا من بداية عهد الرئيس محمد أنور السادات بعد الإفراج عن الإخوان المسلمين في صفقة غامضة أُثير حولها كلام كثير وتزامنت مع الاستغناء عن السوفيت وطرد الخبراء السوفيت والإفراج عن الإخوان المسلمين وإتاحة المجال لهم في النشر والدعاية، رغم أنهم لم يتمكنوا من إنشاء حزب بهذا المعنى، لكن دور النشر والصحافة كانت موجودة، والأحاديث متاحة في كل المجالات.

أيضًا أشير في هذا المجال إلى الحركة الطلابية التي كان قوامها في الأساس الجماعات الإسلامية وخصوصًا في جامعة مثل جامعة أسيوط وجامعة المنيا على وجه الخصوص، وجامعات أخرى مثل الإسكندرية، لكن جامعتي أسيوط والمنيا كانتا تمثلان مركزَي ثقل كبير لهذه الجماعة، وتذكرون أن الرئيس محمد أنور السادات كان قد عَيَّن محافظًا لأسيوط (محمد عثمان إسماعيل) وهو من كوادر هذه الجماعة، وقد لعب دورًا كبيرًا جدًا في إتاحة الفرصة للعمل الطلابي ليس فقط داخل الجامعة لكن داخل مجتمع أسيوط بالكامل، ولدينا فرصة أن يحدثنا نشطاء الحركة الإسلامية عن هذه الفترة الهامة من تاريخ الحركة والتي هي جزء من تاريخ مصر.

استكمل المرحوم الأستاذ محمد حاكم الحديث مقدمًا للسيمنار قائلاً: إن الحركة الإسلامية ليست حركة واحدة متجانسة متحدة، ولكن داخلها - أيضًا مثل أية حركة سياسية - صراعات وانقسامات واختلافات واجتهادات إلى آخره، وهو ما سوف نحاول أن نتعرف عليه في هذا السيمنار الذي لا يوجد وقت كاف للحديث عن أهميته ولا قيمته العلمية، ولا أساليبه المنهجية، لكن أريد أن أقول كلمة واحدة أتصور أن هذا واجب على الباحثين وعلى رؤساء الجلسات وعلى المناقشين الأساسيين وحق لكل الأجيال التالية لهم أن يسمعوا هذه الشهادات ويناقشوها بأقصى قدر ممكن

من الوضوح والشفافية، مع الأخذ في الاعتبار تحيزات الذاكرة، وتحيزات الشخص وتحيزات المذهب، وكل عوائق المعرفة الممكنة بالتأكيد سوف تكون واردة في هذا السيمنار مثلما هي واردة في كل النشاطات العلمية المختلفة. خطتنا أن نتنوع المواقع على مستوى القطبية وعلى مستوى الجماعات، وأن نتنوع الأشخاص بحسب الأدوار والتقسيمات داخل الحركة الإسلامية.

نحن نتكلم عن موضوع يوجد بالفعل به دراسات كثيرة قد تناولته وهو موضوع يشغل العديد من الباحثين وهناك إسهامات كثيرة قُدِّمت، ولكن يبدو أن هناك أسئلة كثيرة أيضًا وفجوات معرفية كثيرة لازالت موضوع تساؤلات وموضوع بحث عن إجابة، وبالتالي هذا الحوار ليس محاولة لتقديم تحليل شامل لمجمل الظاهرة الإسلامية، لكنه حوار بشكل أساسي لتغطية الفجوات المعرفية، وإلى حد كبير الفجوات المعلوماتية حتى قبل المعرفية التي لابد وأن تكون متوفرة من أجل بداية التحليل لما بعد تغطية هذه المعرفة، السيمنار طموح نسبيًا فنحن نفكر بشكل مختلف، الحركة الإسلامية كان لها خصوصيات مختلفة في أماكن مختلفة داخل هذا الوطن الكبير والطويل، في الصعيد كان لها شكل، واختلف هذا الشكل من جامعة لأخرى (المنيا، أسيوط، الإسكندرية، القاهرة، عين شمس)، بهذا المعنى سوف يتعدد ضيوفنا حسب الموقع ذات الخصوصية حتى لو تكلمنا بشكل جغرافي، لكن حتى داخل الجماعة الإسلامية أو الحركة الإسلامية بشكل عام، نحن نتحدث عن تيارات عدة مازالت الفروقات بينها في حاجة إلى مزيد من الإيضاح وفي حاجة إلى مزيد من التحليل، خاصة أننا بالفعل أمام حركة ديناميكية إلى حدٍّ كبير، كانت المواقع تتغير ما بين سنة وأخرى وما بين لحظة تاريخية وأخرى وما بين قضية وأخرى ربما حسب أهمية القضية كانت المواقف أيضًا تتغير، ما بين الشهادة وما بين السيرة الذاتية يقع اهتمامنا تحديدًا في هذا السيمنار.

اختتم الدكتور ضياء رشوان التقديم ضمن الافتتاحية بقوله: في البداية أحيِّي الأخ العزيز محمد حاكم على هذه الفكرة الهامة جدًا والتي تتيح ليس فقط مادة بحثية للباحثين على الغالب في هذا المجال المعقد المليء بالعقبات تحت الحقيقية والمليء أيضًا بكثير من التناقضات بين الروايات غير الموثقة، ولكن أيضًا لأنه هنا يتيح الفرصة للفاعلين الرئيسيين الذين شاركوا في هذه الحركة في أن يُقدموا على ربما ما كانوا يفكرون فيه دومًا وهو أن يقولوا ما رأوا ويطرحوا عادةً عقبات كثيرة منها الكسل وأشياء أخرى دون أن يقوموا بكتابة هذا الشيء، فبما أن الحديث عادةً أسهل من الكتابة ربما تكون هذه الفرصة هي فرصة مهمة لكي نسمع منهم رواياتهم، وهم جزء مهم من الحركة الوطنية

المصرية أعني الإسلاميين، وكما فهمت أن هذا السيمنار سيمتد أيضًا إلى قطاعات أخرى من الحركة الوطنية المصرية؛ لكي يكتمل مشهد الأعوام الثلاثين الماضية وهي من الأعوام التي لم يُكتب شيء كثير عما دار داخل حلقاتها الوطنية بالتحديد، فرأينا ربما قبل ذلك في الأربعينيات والخمسينيات مذكرات كثيرة نشرت لفاعلين في قطاعات مختلفة من الحركة الوطنية المصرية، لكن من شاركوا في السبعينيات وما بعدها لم يكتبوا شيئًا يُذكر تقريبًا عما كان يدور داخل هذه الحقبات، وربما بعضهم لم يكتب شيئًا على الإطلاق وبالتالي تأتي أهمية هذا السيمنار.

شهادة أبي العلا ماضي

المقدمة التي أريد أن أبدأ الحديث منها هي وجود فجوات معرفية أو معلوماتية عند الحديث عن حدث ما أو فترة زمنية معينة نظرًا لأهمية المعلومات بالنسبة للإنسان في رسم الصورة الحقيقية، وأنا من أحد عيوبي أن لديَّ أصحابًا في المعسكرين (المعسكر الإسلامي، والمعسكر الآخر)، وبالتالي فأنا أعرف كيف يفكر كل طرف منهما، وبالتالي سأتحدث عن المساحة الغربية في المعرفة؛ لأنه عندما أختلط مع الآخرين دائمًا أريد أن أرى الجزء المظلم منه وأُضَخِّمه وهو موجود بالفعل، وأن أرى الجزء الذي أراه مضيئًا وأُضخِّمه؛ بحيث لا أرى الأجزاء الأخرى، أنا اتصور أني أحاول البحث عن الحقيقة بكل زواياها في هذا الذي أقوله حتى إذا كان به إدانة لي أنا شخصيًّا بما أمثله؛ لأن الحقيقة أكبر من فكرة محاولة التغطية عليها، وبالتغطية تظل دائمًا هناك أسئلة غير واضحة وإجابات غير مقنعة، سوف أتحدث من خلال هذا المنهج بقدر الإمكان، بالطبع قد أنجح بنسبة ما والتقييم لكم أخيرًا.

أنا من مواليد عام ١٩٥٨م، من حي شعبي في المنيا اسمه أرض المولد (هذا المكان كان مخصصًا لإقامة احتفالات المولد النبوي الشريف في كل عام، أنا كنت في المنطقة القديمة التي تطورت بعد ذلك وبُنِيَت بها مساكن وعمارات واختفى مكان إقامة المولد بها) شخص عادي من أسرة بسيطة ليس لديها أثر كبير ولاعزوة، نشأت في مناخ إلى حدٍّ ما متدين، وهو التدين البسيط العادي مثل كافة الناس، والدي رجل بسيط حرفي يحافظ على الصلاة ويقرأ القرآن بشكل عادي وليس له أية انتماءات، ففي بعض الأحيان كان يذهب للتصوف، ولذلك حضرت مع الطرق الصوفية بعض الوقت وأنا صغير، لكنهم لم يؤثروا فيَّ لدرجة الانجذاب لهم؛ حيث كان يوجد في المنيا بعض الطرق الصوفية في تلك الفترة، ووالدتي أيضًا كان لديها نزعة صوفية؛ حيث كانت تذهب إلى جامع

مشهور في بلدنا اسمه (جامع الست نبيلة) به ضريح ومسجد؛ وذلك لحضور جلسات استماع إلى الشيخ شمس إمام الجامع الذي كان يتبع الأوقاف، وكان له تأثير وحضور قوي ويخصص حلقات علم للسيدات، وكنت أذهب معها من أجل المشاهدة فقط. في عام ١٩٦١م حينما بلغت سِنَّ الثالثة ذهبت إلى الكُتَّاب وهذا جزء هام في الموضوع لابُدَّ من ذكره، وأنا أتذكر جيدًا أول يوم في علاقتي بالتعليم (طلب مني المعلم كتابة اسمي على السبورة أكثر من مرة فلم أعرف وقام بضربي بالعصا فقمت برسمه على السبورة، ومن هنا بدأت علاقتي بالمعرفة)، بدأت في الكُتاب حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية، ولذلك أعتقد أن هذا ساعدني كثيرًا في باقي مراحل التعليم؛ حيث كنت من أول يوم في المدرسة متفوقًا خاصة في اللغة العربية التي كنت أحصل فيها على درجات جيدة، ولكن بعد ذلك تركت الكُتَّاب بعد مرور أكثر من سنة على دخولي الابتدائية؛ لأن الأهل كانوا يرون أني متفوق، وأن الذهاب إلى الكُتَّاب سوف يعوقني عن التفوق في المدرسة وأني لست في حاجة إليه، وبالنسبة للصلاة فلم أكن مواظبًا عليها فقد كنت أصلي على فترات متقطعة مثلي مثل أي شاب عادي في هذا المناخ فلم تكن بالنسبة لي قضية فيها التزام (تعبير التزام هنا بمعنى المحافظة بشكل منضبط ليس المعنى المتداول عند المتدينين). كان لدي أصحاب وصحبة ونقوم بعمل أشياء كثيرة مثل باقي الشباب نستمع لعبد الحليم حافظ ونخرج من أجل النزهة ونهرب من المدرسة وندخل السينما، كنا نفعل كل الأشياء التي يمارسها الشباب في هذه الفترة من العمر بشكل طبيعي وتلقائي إلى أن دخلت الجامعة في ١٩٧٦م.

في جميع فترات دراستي كنت متفوقًا منذ المرحلة الابتدائية بالمدرسة الناصرية ثم في المرحلة الإعدادية بمدرسة الاتحاد وكان ترتيبي الخامس بين زملائي، وفي المرحلة الثانوية كنت في فصل المتفوقين بمدرسة المنيا الثانوية العسكرية، إلى أن التحقت بالجامعة، وقد كنت أحب الهندسة فاخترت دخول كلية الهندسة بأسيوط ولكن بعد مرور خمسة أشهر قررت تحويل أوراقي من هندسة أسيوط إلى هندسة المنيا رغم أنها كانت قسمًا واحدًا في ذلك الوقت؛ لأن أسيوط على مستوى الصعيد لم تكن تتمتع بسمعة جيدة وأنا لم أكن أريد الإقامة بها، ومن أول سنة في كلية الهندسة تفوقت وكنت الأول على الدفعة التي كانت غير عادية؛ لاحتوائها على ١٠٠٠ طالب وطالبة وهذا كان شيئًا ضخمًا جدًا. هذا التفوق جعل بعض زملائي يلجأون لي في أن أساعدهم في شرح بعض المواد الصعبة لهم مما أثار حفيظة البعض تجاهي نتيجة لتجمع العديد من الزملاء من حولي وأنا في أول سنة بالكلية، وبالفعل حاول البعض منهم الاحتكاك بي ولكني لم أضعهم في اعتباري في هذه

الفترة، من العوامل المؤثرة جدًا في تكويني الفكري هو وجود قطبين كبيرين في مدينة المنيا كان لهما تأثير كبير في جمهور المدينة، الأول محمود عبد المجيد العسال وكان عضو الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين، وتوفي عام ١٩٧٧م عن عُمرٍ يناهز ٨١ سنة فهو أقدم من الشيخ البنا، لكنه من الأسماء الهامة، فعند خروجه من السجن في أوائل السبعينيات أنشأ جمعية، وأطلق عليها اسم (العلم والإيمان)، ومازالت موجودة حتى الآن في مدينة المنيا، وبدأ يعمل على توفير سكن طلابي ومستوصف وأشياء أخرى، وكان يؤم الناس في الصلاة بمسجده وله جمهور، وقد كنت مُوَزَّعًا بينه وبين القطب الثاني وهو رئيس الجمعية الشرعية الشيخ أحمد إسماعيل (رحمه الله) وكان من القيادات الشهيرة التي كانت على علاقات جيدة بالرئيس جمال عبد الناصر وكان شخصًا له حضور نافذ، وقد كنت قريب الصلة بهذين الشخصين؛ حيث كنت أذهب إليهما وقد احتضناني في هذه الفترة. هذه العلاقة نشأت وتوطدت أيضًا من خلال ذهابي إلى فصول التقوية التي كانت تقيمها جمعية (العلم والإيمان) عن طريق مُعيد متدين قبل أن يقوم بالتدريس متبرعًا في مجموعات لتقوية الطلبة المسلمين في المواد الصعبة وليس في كل المواد في مبنى ملحق بالمسجد. وفي هذه السنة كان أحد زملائي يُدعى أحمد وهو الذي بدأ التحدث معي في أمور الدين وقد كان عندي اهتمام وخلفية، وبدأنا نتكلم عن قصة سيدنا يوسف وقضية اللحية وغيرها. ومنذ هذه اللحظة قررت الاهتمام ومحاولة الالتزام لذلك حضرت معهم بعض النشاطات. وفي الصيف حضرت المخيم، وكان هذا المخيم نقطة تحول؛ لأنه يضع الإنسان في مناخ وحياة مختلفة وأجواء مختلفة بظروف مختلفة. كانت أولى المشكلات التي واجهتني كيف أطلق لحيتي ولكني أطلقتها، وبعد العودة من إجازة منتصف العام لاحظ الجميع إطلاق اللحية وَوَضُحَ عليهم الاستغراب الذي وصل إلى حد الاستهجان وأنا غير قادر على إخبارهم بأنني قد تغيرت، فقد كان للمعسكر الصيفي أثر كبير خصوصًا إن المجموعة الجديدة التي التزمت كان لديها عزم أن تُحدث طفرة في النشاط الطلابي، فبدأنا نخطط في كيفية استقبال الطلبة الجدد وتسكينهم، وقررنا في الفترة القادمة أن نجهز لافتات ترحب بهم ونسكنهم في المدينة الجامعية. وكان المسئول عن ذلك رجلاً طيبًا يبدو أنه كان على علاقة بالقوى القديمة، فقد كان مدير الجمعية، واتفقنا على مساعدته في كل الأمور التي تخص الطلاب الجدد، وهذا كان له أثر كبير علينا في ذيوع صيتنا وشهرتنا نتيجة قيامنا بهذه الأعمال. في بداية هذا العام جاء عبد المنعم أبو الفتوح لزيارة الاتحاد بعد أن تخرج في الجامعة وتحدث معنا عن ضرورة دخول انتخابات اتحاد الطلبة، فقد كان يرى أن ما يحدث في الاتحاد الحالي أمر غير مقبول

وعَبَّرَ عنه بقوله: (إنه تخريف وهذا شباب منحل وبيعملوا حاجات غلط، هما بيعملوا حاجات غلط علشان هما عايزين حاجات غلط، لكن الاتحاد فيه حاجات كويسة لو دخله ناس كويسة هيعملوا حاجات كويسة) فبعد الحوار اقتنعنا بوجوب دخول الانتخابات القادمة، ولم يكن هذا الأمر يدور في ذهني في تلك الفترة، ولكن هذه نقطة هامة تُحسب للدكتور عبد المنعم أبي الفتوح.

أنا دائما أذكر عند الحديث عن الحركة الإسلامية تعريف الحركة الإسلامية الحديثة؛ لأني أعتبرها الظهور الثاني للحركة الإسلامية الذي يُعتبر جسده الرئيسي سابقًا هو الإخوان المسلمون، الظهور الأول للإخوان كان عام ١٩٢٨م بنشأة جماعة الإخوان المسلمين على يد المرحوم الشيخ حسن البنا، وبعد ذلك حدثت صدامات متوالية إلى أقصى درجات الصدام الخاصة بالفترة الناصرية وانتهت بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وبدأت مرحلة جديدة في عصر الرئيس محمد أنور السادات. الحركة الإسلامية الثانية بدأت طلابية مما يعني أنها مختلفة عن النشأة الأولى فقد بدأ الشيخ حسن البنا دعوته في الإسماعيلية مع ستة من العمال وكان يدعو في المقاهي قبل المساجد، وبالتالي قضية تكوين المجموعة المؤسسة هنا كان لها تركيبة معينة، هذه الحالة الإسلامية في الظهور الثاني بدأت من خلال الحركة الطلابية في الجامعات. نعم كانت هناك بعض أنشطة ما لكن كانت غير مؤثرة، والظهور هنا بمعنى الدفعة القوية التي أنتجت ما سُمِّيَ الصحوة الإسلامية (الإسلام السياسي الأصولي)، وهذا أمر هامٌ يحتاج إلى التفكير.

عند الحديث عن الحركة الطلابية في فترة السبعينيات من أجل الإنصاف لابُدَّ من القول إن الحركة الطلابية انقسمت إلى ثلاثة تيارات رئيسية في ذلك الوقت: بدأت بالحركة الماركسية اليسارية، ثم الحركة القومية المصرية، وانتهت بالحركة الإسلامية. وهذا يعني أن الحركة الطلابية توزعت ولم يغِب أي تيار منها عن الساحة لكن في الفترة الأولى كانت الحركة الماركسية اليسارية هي الأقوى والأغلب، وفي الفترة الثانية كانت الحركة المصرية القومية أو "القومية الناصرية" بتعبير أدق، وفي الفترة الثالثة كانت الحركة الإسلامية. هذا التعبير له دلالته فعند النظر إلى الحركة الطلابية نجد هذا ممثلاً في المنتخبين في اتحاد الطلبة. وعند الحديث عن فكرة أنه في ظل الخصومة التاريخية التي كانت بين الرئيس محمد أنور السادات وبين الاتجاهين الأول والثاني نجد أنها جعلت هناك حالة من حالات التفسير في درجة من الاتحاد مع الطرف الثاني رغم أنه خصمه مثلما هو خصم الطرفين الآخرين. عندما التحقت بالجامعة في هذه الفترة في بداية النصف الثاني من السبعينيات كنت في

كلية الهندسة جامعة المنيا، كلنا كنا خمس كليات، الاتحاد كان صغيرًا جدًّا، جامعة القاهرة كان بها أكثر من عشرين كلية في اتحادها يمثلها أكثر من أربعين شخصًا، وَفي التصويت تجد الأزهر مُمثَّلاً بصورة أكبر؛ لأن له فروعًا. وكان المناخ السائد في هذه الفترة يمكن القول عنه إنه مناخ مفتوح للكل، جعل من يريد أن يكتب يكتب ويتحرك ويؤثر، وأنا كنت أرى إخواننا الماركسيين في جامعة المنيا يضعون مجلات الحائط في كل مكان (الحوائط، أحبال الغسيل، وعلى الأرض، والمشابك) في كل مكان يهاجمون فيها الرئيس محمد أنور السادات وحرمه جيهان وأعوانهما، فقد كان المناخ مفتوحًا للكل بغض النظر عن أن محمد أنور السادات أخذ منهج أنه هو الرئيس المؤمن، وبدأ في إخراج المعتقلين بعضهم ممن قضى أحكامه وإلى آخره. وأيًّا كان غرضه من ذلك فقد أتيحت مساحة من الحرية للجميع؛ حيث إن الحركة الطلابية أصبحت لا توجد عليها قيود، هذه نقطة هامة كما لو كانت الحركة الإسلامية كلها صنيعة؛ لأن هناك واقعة صحيحة ألا وهي المجموعة التي حاول بالفعل أن يُنشّئها محمد عثمان إسماعيل.

وأنا أعرف محمد عثمان إسماعيل شخصيًّا، والتقيت به حتى قبل وفاته بثلاثة أشهر، وذكر لي معلومات أخرى عن علاقته بالسادات والإخوان، وهذه قصة تحتاج وقتًا آخر من أجل الكلام عنها، محمد عثمان إسماعيل كان يمثل أشياء كثيرة فقد كان رجلاً قويًّا ومُقرَّبًا من الرئيس السادات والإدارات المركزية، وشغل منصب محافظ أسيوط في ذلك الوقت، وكان له أدوار مميزة جدًّا ومحلّ ثقة الرئيس السادات، وشارك معه في العمل على نشأة اللجنة المركزية. أما بخصوص الجزء الذي يتعلق بفكرة التنشئة فقد حاول محمد عثمان إسماعيل أن يُنشّئ مجموعة إسلامية تابعة للسلطة فقد ذكر لي أنه ذهب لمقابلة الرئيس محمد أنور السادات وطلب منه أن يجعل الإخوان يعودون إلى الساحة مرة أخرى، فأخبره السادات أنه موافق على ذلك لكنه لديه شروط (كان ذلك في عام ١٩٧٦ – ١٩٧٧م عندما بدأت فكرة الأحزاب)؛ الشرط الأول أن يؤسسوا حزبًا باسم غير اسم الإخوان، والشرط الثاني ألا ينضم لهذا الحزب أي عضو من أعضاء النظام، وبالطبع رفض الإخوان ذلك، فخاف محمد عثمان إسماعيل من إخبار السادات برفض الإخوان فيوغر صدره ضدهم، هذا الخوف كان مصدره تعاطف محمد عثمان إسماعيل مع الإخوان على الرغم من عدم انضمامه إليهم وله مواقف من التيارات الأخرى، فذكر لي أنه عاد للرئيس السادات وأخبره أنه قد غيَّر رأيه وأنه يمكن صناعة جماعة إسلامية (هذه رواية محمد عثمان إسماعيل)، وحاول أن يُنشّئ المجموعة

الموجودة في جماعة القاهرة التي منها وائل عثمان، هذا جزء من الفكرة بتركيز شديد على هذه الزاوية، أما المجموعات الأخرى فقد نشأت بصورة عفوية.

المجموعات الإسلامية التي ظهرت في الجامعات كان ظهورها يعود إلى المناخ الذي كان سائدًا في هذه الفترة، فأنا أتصور أن الحالة الإسلامية قد بدأت من عام ١٩٦٨م وهذا شيء لا يشعر الناس به؛ لأن فكرة أن هذه الحالة بدأت بوجود السادات غير صحيح، فقد جاء ظهور التدين داخل أفراد الحركة الطلابية في المجتمع المصري كَرَدِّ فعلٍ لأحداث هزيمة الجيش المصري في حرب ١٩٦٧م. هذه الصدمة جعلت الناس تتجه نحو التدين لتواجه به صدمة الهزيمة مما جعل ذلك إرهاصات أو بدايات لها بشكل أو بآخر، وبدأت تنمو في هذه الفترة لكنها كانت محدودة الأثر. وفي الجامعة على وجه الخصوص عندما بدأت كانت مجموعات صغيرة تحت مسمى الجماعة الدينية مثلها مثل جماعة النصوص، جماعة الصحافة، جماعة الرسم، فهي جماعة دينية محدودة الأثر. وعندما بدأت الأعداد تتزايد في أواسط هذه المجموعات شعروا أنهم مجموعة فبدأ التفكير في أن اسم الجماعة الدينية غير مُعَبِّر عنهم، فكان التساؤل يدور حول ما هو الدين الذي يحمله هذا الاسم؟ وأن هذا اسم بغير ذي معنى، ولابُدَّ من تغيير الاسم إلى الجماعة الإسلامية بدلاً من الجماعة الدينية؛ للدلالة على أنها جماعة إسلامية فقط. حتى هذه اللحظة لم تشكل هذه الجماعة (تنظيمًا) بالمفهوم المتعارف عليه بعد ذلك، فهو عبارة عن تجمع وليس تنظيمًا، فالذي كان يحدث في هذه الفترة أنه من الممكن أن يجتمعوا في المسجد ويذكروا أنه في اجتماع اليوم بعد صلاة الظهر سوف نختار أميرًا للجماعة الإسلامية ومن كان يحضر يشارك في اختيار شخص له كارزمية يصبح بعدها هو الرئيس ويستمع الجميع إلى أوامره وتوجيهاته بالشكل البسيط المحدود في إطار النشاط الطلابي الذي كان يتنوع ما بين بيع الحجاب وندوة دينية وطباعة كتب، ولكن بعد ذلك حدث تغير؛ حيث فرضت مجموعة نفسها كقيادة أو كرمز لهذا التحرك في جامعة القاهرة على وجه الخصوص و كان لها المبادرة وكانت تحديدًا في طب القصر العيني، كانت مجموعة على خلاف بقية الجماعات (هذه مسألة تحتاج إلى تحليل من علماء الاجتماع؛ حيث كانت الكليات العملية أكثر من الكليات النظرية في حركة الإخوان المسلمين في هذه الفترة، وكلية الهندسة كانت أكثر من كلية الطب في كل الجامعات. لكن في القاهرة كانت الطب هي المتميزة بسبب المشكلة التي حدثت في كلية الهندسة وأدت إلى الانشقاق ووجود مجموعتين؛ مجموعة محمد إسماعيل عثمان ومجموعة أخرى، ومجموعة محمد إسماعيل عثمان ماتت مع مرور الوقت وانزوت عن الأحداث من دون أن يكون لها أثر على الجامعة،

والمجموعة الأخرى كان فيها رموز معروفة حتى الآن منهم عبد المنعم أبو الفتوح وعصام العريان تحديدًا ومجموعة أسماء أخرى، (حوالي خمسة أو ستة أشخاص ومازلنا على اتصال حتى الآن).

هذه المجموعة أخذت زمام المبادرة بإقامة معسكر للجماعة الإسلامية وسمحوا فيه بوجود أفراد من جامعات أخرى، وكان به أفراد من الصعيد فحضر من المنيا تقريبًا أربعة أفراد؛ حيث كان يوجد في المنيا في ذلك الوقت المهندس محيي الدين عيسى وكرم زهدي وصلاح هاشم وأسامة حافظ ومعيد اسمه عبد المتعال عبد الواحد (معيد في ذلك الوقت وهو الآن أستاذ) أعتقد أن هذا في عام ١٩٧٤م أو ١٩٧٥م، وبدأت تنتقل هذه الحالة من النشاط إلى المنيا وأسيوط، المنيا من المحتمل أن تكون بدأت مبكرة بعض الشيء لوجود درجة من درجات الحرية والتحرك بها، أما في أسيوط فقد كان هناك مجموعة من الإخوان موجودة بالفعل أغلبهم من الإخوان الذين تمت محاكماتهم وخرجوا (الأحداث الخاصة بعبد الناصر عام ١٩٦٥م)، عادوا مرة أخرى وأصبحوا معيدين أو مدرسين مساعدين؛ من أجل استكمال وضعهم الأكاديمي في الجامعة فكانوا مجموعة أعضاء هيئة التدريس وكان لهم نظرة متحفظة ومقيدة بعض الشيء في الحركة، في حين أن حركة الشباب كانت حركة عفوية ومندفعة ولا توجد لديها حسابات؛ لأنها غير منظمة، فكانت تلك الحركة في جامعة القاهرة بما أنها أصغر، نحن كنا فرعًا لأسيوط في فترة من الفترات، أقصد جامعة المنيا؛ لأنها أصبحت جامعة قبلما ألتحق بها بسنة في سنة ١٩٧٥م وعدد كلياتها قليل فقد كانوا خمس كليات، وأسيوط كان عدد كلياتها كبيرًا؛ نظرًا لكبر عدد سكانها، ولا يوجد جامعة من جنوب الوادي حتى أسوان بل كان يوجد فروع لثلاث أو أربع أو خمس كليات في كل بلد أو كل مدينة في سوهاج وقنا وأسوان، لكنها بدأت بهذا الشكل.

كان بأسيوط مجموعتان تضعف كلٌّ منهما الأخرى؛ مجموعة بالفعل مرتبطة تمامًا بالإخوان، ومجموعة أخرى وهي التي بدأت بشكل طبيعي ومستقل، حاول الإخوان أثناء هذه الفترة أن يفرضوا أميرًا من الطلبة فطرحوا اسم أسامة السيد عبد الحميد (كان أبوه من الإخوان الذين تُوفوا عام ١٩٦٥م كان طالبًا في كلية الطب والآن هو طبيب)، وبالفعل نجح ولكن أُطيح به في أول صدام عندما أرادوا القيام بمظاهرات فاعترض؛ لأنه كان يرى أن المظاهرات ليست من الإسلام فأطاحوا به واختاروا بدلاً منه ناجح إبراهيم، وكان هذا أول تحول وتمرد لمجموعة أسيوط وهو مؤشر للمنحى الذي سارت فيه بعد ذلك. حديثي عن أن الحركة كانت حركة طلابية يعني أنها ظلت مجموعة

صغيرة غير مؤثرة في كل الجامعات التي كانت بها، إخواننا في جامعة القاهرة ومجموعة الإسكندرية كانتا أكثر مجموعتين متميزتين، ففي الإسكندرية كان هناك اسمان هامًّان؛ الأول مازال حتى الآن هامًّا والآخر أصبح رجل أعمال. الأول إبراهيم الزعفراني وهو دكتور من الزعفرانة، والثاني مهندس اسمه خالد داوود وهو رجل أعمال. ومازال إبراهيم الزعفراني قيادة سياسية ودخل في القضية العسكرية وحُكم عليه وترشح لمجلس الشعب ومازال قياديًّا، وبدأ الدخول في اتحاد الطلبة فدخلت مجموعتا القاهرة والإسكندرية في بعض اللجان، وأنا كنت ضمن المجموعة التي اهتمت باللجنة الثقافية واستطعنا الحصول عليها في ذلك الوقت، بعد فترة من السيطرة على اللجان الثقافية بدأت مرحلة الدخول في بعض الكليات. وبعد تخرج حمدين صباحي في الجامعة أكمل من بعده عبد المنعم أبو الفتوح وتولَّى رئاسة اتحاد طلاب جامعة القاهرة للعام الدراسي ١٩٧٥ – ١٩٧٦م.

التيارات السياسية الأخرى كانت مسألة المشاركة بالنسبة لها شيئًا طبيعيًّا، أما بالنسبة لنا فلم تكن المجموعة التي تُسمَّى الجماعة الإسلامية، وهي مجموعة هلامية ليست لها تنظيم يستوعب مسألة المشاركة في انتخابات اتحاد الطلبة حتى هذه اللحظة. ولكن عند بداية الانتخابات ترشح العديد منا واستطعنا الاستحواذ على أكثر من كلية، وهذا سمح لنا بالفوز باتحاد الجامعة؛ لأنه كان يوجد خمس كليات كما ذكرت سابقًا، وذلك بعد حرب شرسة؛ لأنه كان هناك قوائم خاصة في كلية الهندسة والذي يستطيع حسم كلية الهندسة سوف يحسم الجامعة لصالحه، أستطيع القول إنه في هذه الفترة لم يكن موضوع اتحاد الطلبة يخطر على بالي لكن مَن حولي هم مَن دفعوني دفعًا لهذا الموقع، وعندما نجحنا في اتحاد الكلية نجحت كرئيس اتحاد طلبة كلية الهندسة ثم في انتخابات الجامعة وسط هتافات ومظاهرات واحتفالات بهذا النصر، ومنذ ذلك الحين بدأت حالة جديدة من النشاط وصلت لكل الجامعات المصرية فنجحت المجموعات الإسلامية تحت اسم الجماعة الإسلامية في الفوز بثماني جامعات من أصل اثنتي عشرة جامعة في انتخابات اتحاد الطلبة عام ١٩٧٧م، وأصبح هناك أغلبية تامة، وكان من الطبيعي أن يترجم ذلك يوم انتخابات اتحاد طلاب مصر، ويصبح الفوز أمرًا محسومًا بالنسبة لنا فماطلت الدولة في إجراء الانتخابات ما يقرب من سبعة أو ثمانية أشهر، فقد كان من المفترض أن تُجرى الانتخابات في شهر مارس من العام الجديد (مارس ١٩٧٨م) لكنهم أخَّروها وبدأوا في المماطلة، وأصبح الاتحاد هو المؤسسة الأقوى من الجماعة الإسلامية، مما يعني أن رئيس الاتحاد أقوى من أمير الجماعة الإسلامية؛ لأن لديه مؤسسة ومقرات وغيره. في أسيوط أيضًا فازت هذه المجموعة باتحاد الطلبة وأطاحت بمجموعة الإخوان المسلمين، وتولَّى رئاسة اتحاد طلاب

جامعة أسيوط شاب يُدعى عادل حسن الخياط (مهندس الآن) وهو من سوهاج. وفي القاهرة حدث انقسام، لكن كان في عين شمس شخص اسمه محمود طلعت عرف باسم (محمود الدوكش) وقد اختلفت عليه الآراء ما بين أنه ناصري أو إسلامي لكن المجلس الذي كان هو على رأسه كان متجانسًا، وهو في الحقيقة كان إسلاميًّا في الخفاء، وكان ذلك أيضًا في الأزهر والمنوفية والدقهلية والإسكندرية وقناة السويس، ما يقرب من ثماني جامعات من أصل اثنتي عشرة جامعة والباقي فيه نسبة وجود لا تصل إلى الأغلبية.

بدأت في الاتحاد حركة ونشاط في الوقت الذي كان خصومنا يدخلون معنا في مشاجرات ويطلقون علينا الشائعات بأننا سوف نستولي على أموال الاتحاد ونشتري بها (حصرًا وقباقيب) ويدَّعون أننا لن ننفق على النشاط الطلابي، فأصبحنا أمام تحدٍّ فقررنا إظهار النشاط الطلابي الحقيقي وقد كان، وهذا كان جزءًا هامًّا في زيادة الرصيد الإيجابي داخل الحركة، بدأ ظهور مواقف للاتحاد من بعض الأمور في تلك الفترة نتيجة لزيادة الإدراك وبداية تَكَوُّن وعي سياسي؛ لأني أظن (وهذه شهادة لله) أن الحركة الإسلامية في ذلك الوقت كان وعيها السياسي ضامرًا عكس الحركات السياسية الأخرى؛ لأنه من بداية الحركة الماركسية واليسارية والحركة الناصرية كان واضحًا أن لديهم وعيًا سياسيًّا ناضجًا مبكرًا عن أقرانهم من الإسلاميين.

أما بخصوص الاستحواذ على اتحاد الجمهورية فقد حصلنا عليه بعد معركة شرسة كان مركزها المدينة الجامعية لاتحاد طلاب الجامعة (حيث كان يوجد مدينة جامعية لاتحاد طلاب الجامعة، ومدينة جامعية لطلاب الجامعة). وبدأت هذه المرحلة بمقابلات عديدة مع وزير التعليم مصطفى كمال حلمي (أصبح رئيس مجلس الشورى بعد ذلك). أخبرنا خلالها أن القرار ليس قراره إنما فؤاد محيي الدين (المسئول عن شئون حزب مصر في ذلك الوقت)، وطلب منا الذهاب للتفاوض مع رئيس جامعة القاهرة الدكتور صوفي أبي طالب، وقابلناه بالفعل وأخبرناه أننا نريد إجراء انتخابات اتحاد طلاب مصر طبقًا للائحة١٩٧٦م (من أهم إنجازات الاتحاد السابق بقيادة حمدين صباحي في شبين الكوم وكنا أول مَن استفاد من ميزات وصلاحيات هذه اللائحة التي أُلغيت عام ١٩٧٩م). خلال جلسة التفاوض مع صوفي أبي طالب طلب الحصول على نصف المقاعد لحزب مصر – المقاعد كانت عبارة عن رئيس اتحاد الطلاب و١٢ فردًا يشكلون ما يُسمى بالمكتب التنفيذي لاتحاد طلاب مصر؛ لأن مجلس الاتحاد عبارة عن ٤ أفراد من كل جامعة ويُشكل المجلس من ٤٨ فردًا، ونظرًا لطول فترة

التفاوض وعدم الوصول لحل حاسم قررنا الاعتصام والدعوة للمؤتمر حسب اللائحة. كان الذين من المفترض أن يدعوه لإقامته هم: وزير التعليم أو مجلس الاتحاد أو ثلث أعضاء المؤتمر، وفي هذا الوقت كان وزير التعلم لا يريد الدعوة للمؤتمر لأنه يمثل الدولة، ومجلس الاتحاد لا يُطلق إلا على المجلس الذي له رأي مسموع وهذا مجلس ليس له رئيس وبالتالي لا يأخذ لقب مجلس في ذلك الوقت.

والمجلس القديم كان جزء كبير منه حكوميًا ولم يكن يريد دعوة المؤتمر لإجراء الانتخابات؛ لأنه مستفيد من ذلك ببقائه حتى فوز مجلس جديد في الانتخابات، فقمنا بجمع توقيعات أكثر من نصف أعضاء المؤتمر وأعلنَّا في الإعلام والجرائد باسمي واسم رئيس اتحاد جامعة أسيوط ورئيس اتحاد جامعة الأزهر في ذلك الوقت الدعوة لإقامة المؤتمر، واجتمعنا في المدينة الجامعية الخاصة باتحاد طلبة جامعة عين شمس، وقررنا الاعتصام وعدم فَضِّه إلا بعد تحقيق مطالبنا فأرسلوا لنا ثلاثة أو أربعة مسئولين للتفاوض معنا هم: وزير مجلسي الشعب والشورى ورئيس الجامعة ونائبه ووصلنا إلى اتفاق بإعطائهم أربعة مقاعد من الاثني عشر مقعدًا وتم تشكيل الاتحاد. وأصبح اتحاد طلاب مصر اتحادًا متجانسًا ومتوافقًا واتجاهًا واحدًا أغلبيته تتفق على قراراته، وبدأ يدخل في صدام في هذه الفترة التي أثرت عليها بعض المؤثرات مثل ثقافة الشاه (شاه إيران) في مصر. وكان هناك موقف عنيف جدًا منها خاصة عندما تحدث السادات عن الحجاب وذكر أنه خيمة، فبدأ هجوم عنيف جدًا ضده في أوائل عام ١٩٧٩م؛ حيث قررنا الإضراب عن الدراسة في مارس من هذا العام في عدة جامعات خاصة في الصعيد، وبدأ السادات يُوجِّه لنا السباب بسبب هذا الموقف. وفي تلك الأثناء كنا نتجول في جميع المحافظات في كل الجامعات في اتحاد طلاب مصر، نذهب في البداية إلى السويس ويأتي لنا حافظ سلامة وكل الناس، ونذهب إلى بورسعيد والإسكندرية وأسوان. اتحاد الطلاب ظهرت قوته من خلال تجانسه؛ لأنه قبل ذلك كانت اتحادات الطلبة بها توازن قوي عكس هذا الاتحاد ذي الاتجاه الواحد تقريبًا. بدأ في تلك الأثناء يظهر كما لو كان هناك رؤيتان داخل المجموعة الإسلامية في الصعيد تحديدًا، ومن المفارقات أن أغلب قيادات جامعة أسيوط من أبناء مدينة المنيا من حيث المولد أمثال كرم زهدي، أسامة حافظ، عاصم عبد المجد، عصام دربالة وهؤلاء هم القيادات التاريخية للجماعة الإسلامية التي أخذت خط الجهاد، فهذا الجيل يعتبر بروحين؛ موجود في المنيا وله نشاط وموجود في أسيوط وله أيضًا نشاط. وعندما بدأت الحركة تنتقل بقوة لأسيوط كان بعدما بدأت في المنيا وبعد أن قام كرم زهدي بقيادة مظاهرة وعملية تطهير للمدينة الجامعية من بعض المظاهر المسيحية (مثل نزع الصلبان من على أبواب الغرف التي يسكنها الطلبة

المسيحيون). فترك الطلبة المسيحيون المدينة الجامعية وبدأوا في التفاوض مع الدولة لإرجاعهم، مما أدى إلى حالة من الزخم أصبح من خلالها هذا التيار هو الغالب في أسيوط، وتراجع تيار الإخوان أمام ذلك وأصبح غير مؤثر في تلك الفترة. ووصل الأمر إلى أن الدولة في هذا العام قامت بحل ضباط أمن الدولة في المنيا ووزعتهم على الصعيد. هكذا وضح في المنيا داخل مجموعتنا أن هناك خطين لكن داخل تشكيل الجماعة الإسلامية؛ حيث يوجد مجموعة تعقد اجتماعتها في الجامع لها أمير أو مسئول تتشاور وتأخذ قرارات في كثير من الموضوعات، وهناك مجموعة أخرى تؤمن بفكرة ما يسمى التغيير بالقوة أو العنف الذي كانت تقوم فكرته على أنه لابد من تغيير المنكر بالقوة، وهذا التغيير يبدأ بالأشياء الصغيرة وصولاً إلى تغيير النظام وهذا أدى إلى خلق فكرة الصدام التي كانت بدايتها مع الحفلات. وقد تكرر ذلك في معظم الجامعات والصدام مع المحلات التي تبيع الخمرة أو البيرة، أو اجتماع الأولاد والبنات خصوصًا في الأماكن الخلوية، فبدأ ظهور الخلاف حول التعامل مع هذه الموضوعات لكنه لم يصل إلى حد التحدي، بمعنى وجود البعض منا غير قابل لهذه الطريقة في التعامل عكس الطرف الآخر الذي كان يرى أن هذه طريقة إسلامية، أنا في الحقيقة كنت أميل للخط المدني وخاصة أن أول تواجد لي بشكل مؤثر كان في اتحاد الطلبة.

كان هناك مجموعة تحديدًا تنسب إلى كرم زهدي، وأنا وكرم زهدي كنا أصدقاء جدًا، وعلاقتنا تتسم بالقرب بالرغم من أننا كنا مختلفين من البداية لكن في إطار ودي من غير غلظة. وعندما بدأ يتحدث عن ضرورة عمل بناء عسكري من أجل تغيير النظام كله فنحن بدأنا في التعامل مع هذه الظاهرة باستهتار وبسخرية خاصة عندما كان يذكر خطته التي تتمثل في الاستيلاء على مديرية أمن المنيا ثم الزحف على بني سويف والاستيلاء عليها وصولاً إلى قصر عابدين ودخوله. فكنا نتساءل هل بهذه البساطة نستطيع التحرك ونجمع الناس في أتوبيسات ونخرج كأننا في فسحة؟ وماذا عن التمويل؟ فكان جوابه محلات المسيحيين التي تبيع الذهب فهذه الفكرة مبكرة، فكرة مهاجمة محلات الذهب ولذلك عندما حدثت أول واقعة سرقة لهذه المحلات عرفنا أن مَن قام بها هم جماعة كرم زهدي.

الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت كانت مختلفة عن الجماعة الإسلامية التي جاءت بعد ذلك، فهذه كانت جماعة هلامية وغير منظمة، هذا التجمع غير المنظم بدأ بتجمع طلابي يُشَكِّل حركة إسلامية طلابية من كل محافظات الجمهورية، من الصعيد وبورسعيد والبحيرة وغيرها، ولا يوجد

رابط تنظيمي ترتبط به خصوصًا بعد التخرج؛ حيث يذهب كل متخرج في وادٍ مختلف عن الآخر ويذوب في المجتمع، فأصبح هناك ضرورة ملحة لإنشاء تنظيم حقيقي. ووجدنا أنفسنا أمام سؤال هام في هذه اللحظة (١٩٧٨م– ١٩٧٩م) هل ننشئ تنظيمًا جديدًا أم ننضم لتنظيم قائم؟ التنظيم الذي أمامنا هو تنظيم كرم زهدي، وحينها طرح محيي على كرم زهدي أن يكون كرم هو المسئول الأول عن التنظيم، ويترك له الجناح العسكري فقد كان يرى أن الصعيد أرض بكر يستطيع أن يجمع منها أكبر قدر من الشباب. عندما وجدناه يتحدث بصورة جدية بدأنا نرفض ونحاول إسكاته. في هذه الفترة اتسمت الخطابات بلهجة تشديد العنف والغلظة في الجمعة والخطب الأخرى، وبدأ السباب على كل الناس والسادات وأعوانه والمسيحيين، لدرجة أننا اتخذنا قرارًا بمنع هؤلاء من الخطابة. وقمت أنا وخميس من وزارة الأوقاف بمنع كرم زهدي من الخطابة في المسجد الرئيسي في المدينة الجامعية؛ لأن العنف اللفظي تجاوز حدوده.

بمناسبة اعتراضنا على اتفاقية السلام فقد كان الرئيس السادات غاضبًا جدًا من اتحاد الطلبة، خصوصًا في الموقف الأخير من اتفاقية السلام وقررنا القيام بإضراب. ومن أجل الحصول على توقيعات كنت أنا أذهب إلى جميع الكليات، وقد ذكر الرئيس السادات في خطابين له "فلان بيلف على الكليات وهطبق عليه قوانين اتفاق الحرمين وأديله ٢٥ سنة." والسادات سَنَّ ثلاثة قوانين بعد عام ١٩٧٧م سماها قوانين اتفاق الحرمين. طبعًا قمنا بعمل اعتصام وإضراب، وجاءت قوات الأمن لمحاصرتنا وجاء زكي بدر (كان أول احتكاك بيننا وبينه) كقائد للقوات التي ستقتحم جامعة المنيا من أجل إلقاء القبض علينا، واشترك فيها محمد عثمان إسماعيل ووزير الأوقاف في تلك الفترة، أُودعنا في السجن في شهر إبريل عام ١٩٧٩م ومكثنا به ثلاثة أشهر. وجاء مصطفى عامر (أخو عبد الحكيم عامر وهو شخص عصبي جدًا من سمالوط، وكان على علاقة بالرئيس السادات وجاء لزيارتنا في السجن) من أجل التوسط للإفراج عنا ولكن طلبه رُفض.

وفي السجن قررنا أنا ومحيي الدين عيسى أنه لابُدَّ من الاختيار بين أمرين إما أن ندخل الإخوان، وهذا الاختيار من البداية نرفضه؛ لأن لنا رأيًا سلبيًا في الإخوان. هناك اعتقاد أن الحركة الإسلامية الحديثة أنشأ الإخوان عليها الحركة الطلابية، هذا غير صحيح؛ قد يكون لهم سهم مالك لكنها لم تكن مرتبطة بهم حتى هذا التاريخ، من الممكن أن يكون (إخوانًا) في وجه بحري مثل القاهرة والإسكندرية سبقونا بشهور أو أقصاها بسنة، لكن لم يكن لهم دور في النشأة، هذا جزء

هام في الموضوع. أخذنا القرار بالارتباط بجماعة الإخوان خاصة أن الذي شجعنا على ذلك في هذا الوقت كان ظهور قيادات الجماعة أمثال الشيخ عمر التلمساني (رحمه الله) ومصطفى مشهور وجابر رزق، كل هذا الأسماء كانت تأتي للحديث معنا إضافة إلى المشايخ والعلماء السلفيين والتبليغ والأزهريين؛ حيث إننا كنا منفتحين على الكل، وهذا جزء من المصادر التي أثرت في الظاهرة وتنوعها لتنوع مصادرها، وأكثر الأشخاص الذين ضغطوا وألحوا علينا في الانضمام للإخوان هو مصطفى مشهور الذي كان يتولى في ذلك الوقت قسم الشباب والجامعات فقد جاء إلينا في المنيا مرات عديدة، السبب الآخر الذي عجل بدخولنا جماعة الإخوان هو أن مجموعة القاهرة التي كنا على اتصال دائم بها كانت قد انضمت لجماعة الإخوان وعلى رأسها عبد المنعم أبو الفتوح الذي جاء إلينا بشخصه وأخبرنا بدخوله الجماعة وطلب منا الانضمام إليهم. وبعد تفكير أخذ منا وقتًا طويلاً دخلنا في جماعة الإخوان دون أن نُعلم المجموعة الأخرى التي كانت معنا في السجن وهذا أدى إلى حدوث مشكلة فيما بعد، فقد أخذنا القرار سرًّا على الرغم من وجودنا في زنزانة واحدة، لكن ذلك بعد الانتهاء من المناقشة مع المجموعة كلها ووجدنا تصميمًا كبيرًا عند كرم زهدي على فكرة العنف (كان يفكر طوال الليل والنهار، شاحب الوجه، لا ينام، عصبيًّا بسبب سيطرة الفكرة عليه)، فقررنا عدم إخباره بانضمامنا لجماعة الإخوان في ذلك الوقت. ومن الممكن في هدوء أن نجند البعض منهم للانضمام للإخوان. واستمر هذا الوضع لمدة عام إلى أن قرر الإخوان الإفصاح عن ذلك عندما انضم إليهم مجموعة من القيادات على مستوى الجمهورية فبدأوا في إرسال مجموعات للدعوة للانضمام لجماعتهم والإعلان عن من انضموا للجماعة مؤخرًا.

وأذكر أنني كنت في رحلة إلى ماليزيا لحضور مؤتمر للحركة الإسلامية على مستوى العالم في مدينة كوالامبور حضر فيه القرضاوي والترابي وكل الأسماء التي نسمع عنها في التاريخ، الحركات من كل بلدان العالم بداية من إيران في بداية انتصار الثورة الإسلامية هناك، وباكستان الجماعة الإسلامية، واشترك الجميع في مؤتمر للحركات الشبابية الطلابية وقادة الحركات الإسلامية. عندما عدت كان عصام العريان يبدو أنه زار المنيا (لا أذكر إذا كنت في السجن في هذا الوقت أم مسافرًا وذلك في عام ١٩٨٠م) في مركز بني مزار وطلب منهم الانضمام للإخوان بعد أن أخبرهم بانضمام محيي وأبي العلا لجماعة الإخوان المسلمين، وكان حاضرًا في هذه الجلسة فرج علي إبراهيم رئيس اتحاد الطلبة في هندسة أسيوط فنقل الخبر إلى مجموعة أسيوط، فبدأ الشرار وقرر كرم زهدي التعجيل بإنشاء التنظيم الذي يقوم على تنظيم الشباب في مجموعات وتدريبهم على السلاح

سعيًا إلى إحداث تغيير بالقوة. وبالفعل بدأ في عمل المجموعات وتدريبهم في إحدى الشقق على استخدام السلاح، وفي البداية خاف البعض من أعضاء هذه المجموعة من تلك المسألة، وأخبرونا بذلك فأرسلنا لكرم وحذرناه من عواقب ذلك، ولكنه أنكر وادعى علينا بتحريض الناس ضده، أصبح الآن هناك تنازع على هذه المجموعة فنحن نريد ضمَّهم للإخوان وكرم يريد ضمَّهم إلى التنظيم الذي يشكله.

النقطة الأخرى الهامة في تلك الفترة هي أن السادات عندما ألغى لائحة اتحاد الطلبة عام ١٩٧٩م، وقام بحل الاتحاد وزجَّ بنا في السجون فقدت الحركة الإسلامية الأجواء الطلابية التي كانت تعمل من خلالها في الجامعة (الاتحاد) فبدأت في الاتجاه إلى المساجد لتتحول تدريجيًّا من حركة طلابية إلى حركة شعبية؛ لأنها خرجت من الكليات إلى المساجد، ومن خلال العمل في المساجد بدأ الانتشار وانضمام مجموعات جديدة من غير الطلبة، فبدأنا الانتباه إلى ضرورة تغيير الخطاب الخاص بنا في الخطب والدروس والصياغات؛ لأننا نتحدث مع أشخاص كثيرين منهم بسطاء سواء كانوا عمالاً أو فلاحين أو أصحاب صناعة أو موظفين. فقد أصبحت تشكيلة جمهور المسجد غير جمهور طلبة الجامعة، فالخطاب هنا يجب أن يتغير والمواضيع أيضًا، فقد تحولت الحركة من حركة طلابية إلى حركة شعبية، وتحول نشاط الطلبة من الجامعة إلى القرية والمدينة والمركز من خلال أيضًا المساجد كقناة للتواصل مع الناس. وحينئذ بدأ هنا نزاع شديد للسيطرة على المساجد وخاصة المساجد الكبيرة ذات التأثير وذات النفوذ، ووصل النزاع إلى الصدام العنيف باستخدام الأيدي والأرجل وتطور إلى استعمال الأسلحة، وهذه البداية العنيفة كانت من اتجاه هذه المجموعة التي يقوم منهجها على استخدام القوة في التغيير، وتمثل هذا الصدام في أول صلاة للعيد في مدينة المنيا، فقد كان السؤال الذي يتردد حينها مَن سوف يسيطر على المسيرة الرئيسية؟ تلك المسيرة الضخمة التي يخرج فيها الآلاف مِن الناس، ومَن يسيطر على المصلى بالكامل والميكروفونات واليفط؟ وكان هذا العراك صدمة كبيرة لجموع الناس الذين لا يدركون الفرق بين الجماعتين، إنما الاعتقاد السائد لديهم أن هؤلاء هم الجماعة السنية؛ لأن رجل الشارع العادي لا يدخل في التفاصيل ولا يعرف الفروق داخلها.

عند الحديث عن اسم الجماعة الإسلامية لم تستخدم المجموعتان اسم الجماعة الإسلامية؛ لأن هناك جماعتين إسلاميتين؛ الجماعة الإسلامية من أجل أن تميز نفسها قامت بوضع شعار

الإخوان معها (عبارة عن السيفين المتقاطعين والمصحف)، وأرادت المجموعة الأخرى أن تميز نفسها أيضًا فوضعوا في البداية كلمة (نحو فهم سلفي) للتميز عن مجموعتنا، وكان هناك مشروع الجماعة الإسلامية القديمة أن تظهر بشعار مستقل فوضعوا (مصحفًا مفتوحًا وبه سيف طالع وكُتب عليها "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة")، ومنذ ذلك الوقت بدأ ظهور بيان لكل مجموعة على حدة. ومع تزايد أعمال العنف طلب الكثير أن يكون التمييز أكثر من ذلك فقررنا تطوير اسم الجماعة الإسلامية وبدأنا في استخدام اسم الإخوان المسلمين. أعتقد بدأنا الانضمام للجماعة بعد عام ١٩٨١م؛ لأننا كنا في قمة الصلات حتى دخولنا السجن مجتمعين حينما جاءت قائمة التحفظ. القائمة الشهيرة التي تحتوي على ١٥٠٠ اسم، وكلنا كنا في التحفظ لكن الشيء المهم أن أغلبنا لم يُقبض عليه في ليلة الثالث من سبتمبر، وهذه المجموعة هي التي قامت بأحداث السور وكانت موجودة في تلك القائمة، وكان هذا أحد أوجه القصور الأمني الذي وقع من جرائه اللوم على أجهزة الأمن في عدم القبض على هؤلاء على الرغم من وجودهم في قائمة التحفظ. هذه المجموعة تمركزت في الصعيد مما مَثَّل بالنسبة لهم عقدة فكانوا يريدون مثل أية جماعة تغيير أن يكون لهم انتشار في كامل القطر وهو ما توفر للمجموعات التي تحولت للإخوان أو مجموعات الإخوان التي كانت قليلة سواء في وجه بحري أو القاهرة. في هذه الفترة تعرف كرم زهدي على محمد عبد السلام فرج في عام ١٩٨٠م في المدينة الجامعية، فقد كنت أنا ومحمد وكرم موجودين أو إن صح التعبير مختفين، وجاء لزيارتنا محمد عبد السلام فرج مع شخص آخر (كنا ارتبطنا بالإخوان وكرم لم يعرف بعد)، وتحدث محمد عن أبناء المنيا، وامتدح شبابها، وكشف عن أنه يريد أن يكرر نفس تجربتنا في تغيير المنكر ويدعونا إلى الانصراف عن الجماعات المناهضة للعنف ومنها الإخوان. منذ ذلك الوقت بدأت العلاقة تتوطد بين كرم زهدي ومحمد عبد السلام فرج وخرجا معًا لزيارة أسيوط في جولة ميدانية توضح على أرض الواقع كيفية تغيير المنكر، فحدث اندماج لمجموعة كرم زهدي ومجموعة محمد عبد السلام فرج في مجموعة واحدة بعد هذا الاتفاق.

وبعد أحداث سبتمبر ١٩٨١م بدأوا التفكير في أكثر من موضوع ومنها بالطبع حادثة الاغتيال (لازم الواحد يقول فيها الحقيقة)، حادثة الاغتيال حادثة فردية بحتة لا علاقة للجماعة الإسلامية بها، صاحب الفكرة هو خالد الإسلامبولي الذي كان ضابطًا برتبة ملازم أول في القوات المسلحة، والذي نَفَّذَ قناعاته هو المتهم الثاني عبد الحميد عبد السلام الذي كان ملازم أول واستقال من الجيش؛ لأنه اعتبر الجيش حرام، وقام بافتتاح مكتبة في منطقة عين شمس. وقد تأثر كلٌّ من خالد

وعبد الحميد بالشيخ عبد الله السماوي الذي يعتبر من ضمن الظواهر التي ظهرت لبعض الوقت، واجتمع حولها بعض الأفراد ولكنها لم تدم فترة طويلة وتراجعت عن التأثير في الجماهير. والشيخ عبد الله السماوي كان يعتنق أفكارًا مختلطة من ضمنها تكفير العمل في الجيش والبوليس والحكومة والبنوك وحَرّم مرتباتهم أيضًا، لكن خالد تردد بسبب والده الأستاذ أحمد شوقي الإسلامبولي (كان يعمل محاميًا ومدير الشئون القانونية في مصنع نجع حمادي للسكر) وأثنى خالد عن الاستقالة من الجيش، ولكن تغير الموقف عندما أتى لزيارته في العيد ووجد أخاه قد تمّ اعتقاله لوجود اسمه في قائمة التحفظ فتأثر كثيرًا، تزامن مع هذا سماعه الرئيس السادات يَسُب المشايخ والعلماء، فجاءته فكرة الاغتيال، وبدأ يناقش فيها الناس ووافقه على هذا الأمر عبد الحميد، وقام بعرض الأمر على محمد عبد السلام فرج فوافقه واندمج هو ومجموعته معًا في مجموعة واحدة وشكّلوا فيما بينهم ما يسمى مجلس شورى لمناقشة الأمر. واتفق محمد عبد السلام فرج مع مجموعته على دعم خالد الإسلامبولي في تنفيذ عملية الاغتيال عن طريق توفير ما يحتاجه من الرجال والأسلحة، وكان من ضمن مَن رشّحهم له شخص يُدعى حسين عباس وعندما قابله رأى أن جسمه نحيل وضعيف فرفض انضمامه إلى المجموعة وعندما علم حسين بكي بكاءً شديدًا مما جعل خالدًا يوافق على انضمامه؛ نظرًا لما وجد فيه من حماس شديد (حسين عباس كان قناصًا، كل هذه المعلومات عرفتها بعد ذلك عندما تقابلنا كلنا في السجن بعد الحادثة)، واشتركوا جميعا في تنفيذ الحادثة. وبعد إلقاء القبض عليهم وُجِّهَت إليهم تُهم متفاوتة ما بين الاشتراك في الحادثة عن طريق المساعدة بالأشخاص أو بالأسلحة أو بالتحريض أو بالإمداد واعتبروا مهندس العملية ومنظّرها محمد عبد السلام فرج، وحُكم عليه بالإعدام مع المجموعة المنفذة للحادثة، أما الباقون فحُكِم عليهم بأحكام متفاوتة؛ حيث حصل اثنان منهم على البراءة منهما الشيخ عمر عبد الرحمن (باعتباره كفيف البصر واشتراكه كان عن طريق الفتوى فقط). وبعد انتهاء المحاكمات في عام ١٩٨٤م؛ حيث استمرت المحاكمات أربع سنوات تنوعت ما بين محاكمة عسكرية ومحاكمة مدنية، المحاكمة المدنية كانت غريبة جدًّا والأحكام فيها كانت مُخَفَّفة وخرج كثير من المتهمين في تلك السنة بعد قضاء الثلاث سنوات التي حكم عليهم بها أثناء فترة المحاكمات، والبعض الآخر حصل على البراءة فخرجوا معًا، وبعد ذلك بدأت عملية إعادة بناء الجماعة الإسلامية مرة أخرى. أما بالنسبة لمجموعتنا فقد قررنا الابتعاد عن هذا العمل خوفًا من حدوث التباس في الأمر نتيجة خروج هذه المجموعات بكثافة في تلك الفترة فحدث الانفصال، وأكتفي بهذا القدر.

شهادة منتصر الزيات

أنا فرد من جيل عاش أو عاصر انكسار الأمة المصرية بعد عام ١٩٦٧م، شاب من شبابها. من مرحلة الطفولة وحتى كبرنا والأمة ممزقة وممتحنة بسبب هزيمة ١٩٦٧م التي سُمِّيت نكسة ١٩٦٧م. كانت تداعيات حرب ١٩٦٧م تظهر ملامحها في هذا الجيل الشاب، ملامح التمزق في الأمة هي أنها فجعت في قادتها، وفجعت في زعمائها، وفجعت فيمن أحبتهم من قادة ورؤساء، جيل الثورة الذي قاد حركة الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، هنا كان المأزق، بدأ تقطير الأزمة تقريبًا، دارت الأمة بين رحى هويتين: هوية تلقفتها مصر قبل الثورة في التوجه نحو أوروبا والرأسمالية، ثم جاءت الثورة وأحدثت تقاطعًا؛ حيث توجه جزء نحو الشيوعية، ومن الممكن أن نخفف القول عنها ونقول الاشتراكية أو اليسارية، بعد الهزيمة والصدمة كان التوجه شيئًا فشيئًا تجاه الإسلام لكن الأمة في ذلك الوقت كانت تبحث عنه. توفي جمال عبد الناصر وأنا أذكر أني حاولت أن أسافر من بلدي مسقط رأسي محافظة أسوان للاشتراك في الجنازة، وبكيته كما بكاه الملايين من قلبي وهو بكاء صادق. صحيح كانت تغيب عنه معلومات كثيرة وحقائق كثيرة ولكن على كل حال بكيته كزعيم وبكيته كقائد وبكيته كأب. وحاولت أن أسافر ولكن فشلت في إيجاد الصحبة في ذلك الوقت للسفر إلى القاهرة ولكني قمت بواجبي مع القائمين في مدينة أسوان الذين أقاموا عزاءً لمدة ثلاث ليالي، أيام بلياليها في الشوارع ننتحب ونبكي ونصرخ. وعلى هذا الأساس كانت محورية مرحلة المراهقة في منظمة الشباب؛ حيث كنا نقوم بتنظيف الشوارع؛ إيمانًا منا بأنه عمل قومي ونتلقى الدروس في منظمة الشباب بأسوان إلى أن بدأت في التلبور سنة ١٩٧٣م، حينها كان الإخوان بدأوا في الخروج من السجون بعد عبد الناصر كما ذكرت. تولى الرئيس السادات وكان رئيسًا نازيًا بلا رجال وبلا أي كتل معه لذلك جهّز؛ لكي يطيح برجال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأن يُكوِّن رجالاً. كان من الطبيعي أن يتوجه إلى الإخوان المسلمين وأن يستمع لنصيحة مستشاريه في التوجه نحو التدين واستغلال عاطفة الشعب المصري وامتصاصهم والتوجه نحو الإسلام فأطلق الإخوان وترك لهم حرية التحرك في الجامعات المصرية.

في عام ١٩٧٣م دخلت الثانوية العامة أول مرة، كانت الناحية الفكرية مازالت مشوشة، فقد كنت حينها أعمل في منظمة الشباب وأصاحب اليساريين؛ حيث كان في أسوان أحد التجمعات الطلابية وكنا نمارس العمل السياسي منذ الصغر، المرحلة الثانوية بطولها نمارس فيها العمل السياسي، كما

التقينا بشكل أساسي بصياغة المبادئ والشعارات الناصرية شأننا شأن أي فرد في مصر في ذلك الوقت. التصقنا برموز الحركة الشيوعية بأسوان - أسوان كان بها عناصر كبيرة للحركة الشيوعية - تتنازعنا الناحية الدينية من الناحية الأخرى كأي شاب في هذا الوقت. أنا كنت في مدرسة تجريبية في أسوان وهي مدرسة مختلطة وكان نموذجًا غير مسبوق في ذلك الوقت أن يقام في أسوان تحديدًا، اختلاط البنات والبنين في هذا المجتمع القبلي. أما بخصوص مسألة الحب التي عشتها لم يكن لها علاقة بالتوجه السياسي. لم يكن تكويني الديني تَشَكَّل بشكل واضح فقد كنت متدينًا تَدَيُّن المصريين مثلاً في الصلاة، أعدت الثانوية العامة مرة أخرى.

وهنا نستطيع عمل (flash) على نصر الجيش المصري في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، تردد التدين تحت شعار الله أكبر مؤكدًا أنه كان يؤكد الناحية الدينية لشباب مصر في هذا الوقت، ولهذا كان التوجه ناحية التدين له أثر كبير فيما كان يجري من تغيير في سياسات النظام في مصر في ذلك الوقت. وكان شقيقي الأكبر مني قد سبقني في هذا الوقت في الالتحاق بجامعة أسيوط، في الوقت الذي كنت أعيد فيه الثانوية العامة مرة أخرى، هذه بداية التغير بالنسبة لي وليست الصدمة العاطفية، وخصوصًا أن شقيقي أحمد كان يسافر في هذه الفترة ويعود إلينا، وكنا ملتصقين أكثر بالتيار اليساري والتيار الاشتراكي، فأخي تَغَيَّر تمامًا في سفره هذا، وبدأ يحدثنا عن الصلاة ونحن كنا نصلي حينها ولكنه الحديث عن التدين السياسي أو التفسير السياسي للتدين. وأعتقد أن هذا كان يجذب أي شاب خاصة إذا كان هذا الشاب مهتمًّا بالعمل العام، في منظمة الشباب، في تجمع طلاب المدارس والجامعات والمعاهد العليا في أسوان، أعتقد أن هذا الاتجاه كان متميزًا؛ حيث إنه لم يكن منتشرًا في مصر، أي أن أخي بدأ يفتح لي بعض النوافذ الفكرية، وبدأ يكلمني عن جاهلية المجتمع وكيف أن هذا المجتمع الذي نعيش فيه هو مجتمع جاهلي، مجتمع لا يدين بشرع الله، ولا يحترم الشريعة الإسلامية، مجتمع يتيح الفرصة لغير المتدين والشيوعي ويكافح ويناهض أهل الدين. وتحدث معي عن الركائز الدينية الأربعة، ركائز تميز هذا المجتمع. وتحدث معي عن الحكم في مصر وأنه لا يحكم بما أنزل الله، هذا الحديث الديني لا نسمعه في المساجد، فأغلب المسلمين ينامون في خطبة الجمعة، الوعاظ الدينيون احتمال أنهم لا يحسنون حتى اللغة العربية في وعظهم، فخلال هذا الحديث أستمع إلى وعظ جديد وإسقاط جديد وحكم جاهلي. وروى لي عن التتار كيف غزوا الدولة الإسلامية وأسقطوا الخلافة ودخل كثير منهم في الإسلام أو تظاهروا بالدخول في الإسلام بقيادة جنكيزخان الذي أَلَّفَ قانونًا أو دستورًا بالاصطلاح المعاصر، هذا الدستور كونه من قوانين

من الملة النصرانية ومن الملة اليهودية ومن المغول ومن شرائع شتى ومن الشريعة الإسلامية أيضًا، هذا القانون أسماه "اليسق"، وأن هذا "اليسق" هو الذي يحكم مصر الآن، وأن هذا الدستور قد أُثري، دستور يعتمد في أساسه الكبير على القانون الوضعي، الجاهلي الوضعي الذي وضعه البشر بعيدًا عن شرع الله، ووضعوا بعض القوانين التي تستلهم الشريعة الإسلامية مثل قانون الأحوال الشخصية، هذا الإسقاط فيما يتعلق بالحكم. وأخبرني أخي أن الحكم السائد في مصر حكم جاهلي وأن عادات وتقاليد هذا المجتمع هي عادات وتقاليد لا تستلهم الشريعة الإسلامية ولا تستلهم مبادئ الإسلام إنما تستلهم ذلك من المجتمعات الأوروبية فيما يتعلق بالجانب المتصادم مع الشريعة الإسلامية. في هذا الخصوص يمكن رصد أشياء كثيرة فيما يتعلق بالسلوكيات سواء للرجل أو المرأة، وأيضًا انشغال هذا المجتمع وصرفه عن الاهتمامات الكبرى بأمور صغيرة مثل كرة القدم والأندية، إضافة إلى القومية العربية والوطنية وغيرها من المبادئ بعيدًا عن الانشغال أو الاهتمام بالدين.

كان هذا حديثًا لا أخفيه؛ لأن هذا الحديث أنا أذكر ملامحه حتى هذه اللحظة بالكلمة وبالمكان وبالتوقيت كأني أسترجع في رأسي شريط الذكريات، على كل حال نجحت في الثانوية العامة بمجموع ٦٨٪ وكانت هذه النسبة تتيح لي دخول كليات ما هي دون الاقتصاد والعلوم السياسية والإعلام. وبالفعل جاء الترشيح لكلية الآثار وأعتقد أن هذه كانت أول سنة يُنشأ فيها كلية للآثار، وكانت العميدة من أسوان، وهي الدكتورة سعاد ماهر في ١٩٧٤/١٩٧٥م. لكن الحقيقة كانت رغبتي تتجه إلى كلية الحقوق، وجاهدت وحاولت إقناع والدي الذي كان يحبذ التحاقي بكلية الآثار على أساس أننا في أسوان ومجال العمل في السياحة مفتوح وله مستقبل. ولكنني كنت مصممًا على أن أدخل كلية الحقوق واستطعت أن أقنع والدي؛ حيث كان مرتبطًا بي حينها ارتباطًا عاطفيًا؛ لأن والدتي كانت قد تُوفيت وأنا ابن ست سنوات أي كنت لا أزال في الصف الأول الابتدائي، ولم يتزوج أبي بعد وفاة والدتي ولذلك كان بالنسبة لنا هو الأب والأم في ذات الوقت، وكان ارتباطنا به ارتباطًا عاطفيًا، فموافقته هذه علّمتنا الليبرالية فلم يكن يتصادم معنا، حتى عندما لاحظ اهتماماتنا الدينية وتحولاتنا لم يَنْهَنا عن ذلك بل نصحنا فقط بعدم إتاحة الفرصة لأحد لاستغلالنا. ولكي أستطيع أن أقنع أبي بكلية الحقوق ذهبت إلى بعض أصدقائه، وكان من أعزّهم عليه حينها اللواء أبو النصر النشاني — مدير السجن الحربي — وكانت أول مرة تأخذني قدماي إلى السجن الحربي بنفسي، وجئت إلى القاهرة وأخذت تاكسيًا وذهبت للسجن الحربي، وطلبت أن أقابل المدير، ودخلت له بالفعل وكان رجلاً لطيفًا وودودًا جدًا، فقد كان من أسوان ويأتي لزيارة أبي في الإجازات، وتعجّب

حينها كيف وصلت إليه بمفردي فشرحت له الأمر، ووعدني بأنه سيحاول إقناع والدي ومساعدتي، وأخذني في جولة داخل السجن حتى أرى السجن الحربي الذي كنت أسمع عنه.

المهم فقد اقتنع والدي بأن أحَوِّل أوراقي من كلية الآثار لكلية الحقوق، وكانت في هذا الوقت كلية حقوق القاهرة؛ لأنه لم يكن بأسيوط كلية للحقوق فقد أنشئت في ١٩٧٦م أو ١٩٧٥م بينما أنا كنت في العام الدراسي ١٩٧٤/ ١٩٧٥م. وعندما عدت وجدت أخي أحمد قد حَوَّل أوراقه أيضًا إلى أسوان بعد أن كان في أسيوط؛ حيث أنشئت كلية للعلوم في أسوان وأصبح حينها أول رئيس اتحاد طلاب لكلية العلوم، وكان كذلك أول أمير للجماعة الإسلامية فيها عندما أصبحت جماعة إسلامية؛ لأنها كانت جماعة دينية، وعمل حينها معسكرًا في الصيف، وكان ذلك هو أول تجمع طلابي في أسوان وبدأنا بعده نصارع أصدقاءنا الشيوعيين في أسوان في ذلك الوقت، وهم مازالوا شيوعيين حتى الآن، فالشيوعية قد انتهت من كل مكان في العالم ولا تزال باقية في أسوان. على العموم كانت هناك مشادات بيننا وبين الشيوعيين والناصريين واليساريين. لكن بالنسبة لليسار بصفة عامة فأنا أرى أن جزءًا كبيرًا من الشيوعيين مرنون، فهناك شيوعيون كثيرون تغيروا الآن ومتفاعلون مع مسألة الإصلاح، فهم في الحقيقة أذكياء أو كثير منهم كذلك.

إن أول معسكر إسلامي قد تَمَّ في أسوان وحضرته في مسجد أنصار السنة المحمدية في الأقصر وكان حينها مركزًا ولم يكن مسجدًا من المساجد الإسلامية في الأقصر. حضر هذا المؤتمر الشيخ عبد الله السماوي والدكتور المستشار علي جريشة الإخواني المعروف وكان معه دكتور سوري الجنسية اسمه الدكتور علي الزئبق الذي اشترك معه في إصدار كتاب أسمياه "أساليب الغزو الفكري"، وقد قرأته وكان من الكتب الهامة التي صاغت عقلية الطلاب في ذلك الوقت بخصوص تحولاتهم إلى طريق التدين أو القراءة السياسية مثلما ذكرت للإسلام. وكان معنا في المعسكر حينها ممن أذكرهم الأخ الدكتور عصام العريان، وأظن أنه كان في البكالوريوس أو تَخَرَّج، كان عصام في هذا التاريخ كما أعتقد رئيس اتحاد الطلاب؛ لأن عبد المنعم كان قد تخرج في الكلية. تحدث الدكتور علي جريشة عن جزء مما أورده في كتابه أساليب الغزو الفكري، وذكر قصة أصحاب الأخدود في حديث عقائدي، أنا أعتقد أني أستمع لأول مرة إلى هذه القصة، (قصة مفادها أن كبير الوزراء في ذلك الوقت آمن، وهذا الحاكم الطاغية حينما وجد هذا الإيمان، هدد هؤلاء المؤمنين بالعودة إلى دينه وإلا حرقهم، وحفر لهم الأخاديد في الأرض وأضرم هذه الأخاديد نارًا وهدَّدهم إن لم يرجعوا

عن ما آمنوا به فسيقذف بهم في هذه الأخاديد، ويلقي بهذه الجموع). هذه القصة التي رواها بطريقته الدكتور علي جريشة أثرت فيَّ كثيرًا. الحديث الآخر للشيخ عبد الله السماوي كان عن ذات الحديث الذي حدثني إياه شقيقي أحمد في أول الحديث عن ركائز الجاهلية الأربعة، وهذا الرجل له حديث عذب وطريقة جميلة في عرض الفكرة، يتحدث اللغة العربية بطريقة سهلة.

بعد انتهاء هذا المعسكر أستطيع القول إني قد تحولت تمامًا؛ لأن التحول في العامين السابقين له كان بطيئًا، وخرجت من هذا المعسكر بهذه الروح وبهذا التجمع من الشباب والطاقات، خرجت وقد تمحور فكري خصوصًا أنني عدت من هذه العطلة إلى القاهرة لاستكمال دراستي، ارتبطت بالشيخ عبد الله السماوي ارتباطًا وثيقًا، وأحببت هذا الرجل والتصقت به. وأنا في هذه الفترة كنت أتردد على الجامعة كطالب في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، لكن فهمي تحول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار كما يقال، كنت أنظر وطائفة كبيرة مثلي إلى العمل الطلابي على أنه عمل هامشي، كنت أرى (إخوانًا) الذين يعملون في الجامعة لكن لم أقتنع بهذه الطريقة، فهو جزء من النشاط الطلابي الذي يتكون من مجموعة أسر، والأسرة الدينية إحدى هذه الأسر، في النهاية هي جزء من هذا النظام وأنا أتمرد على هذا النظام كله، ورغم ذلك كان لي صداقات كثيرة فكنت أتردد على (إخوانًا) في جامعة القاهرة وعلى الدكتور عبد المنعم أبي الفتوح سواء في الجامعة أو في منزله، والدكتور عصام العريان وكثيرين في أوساط الحركة الإسلامية في ذلك الوقت أمثال حلمي الجزار وأشرف وكل (إخوانًا) في طب القصر العيني. عندما كنت أذهب لكلية الحقوق كان لحضور المحاضرة فقط، بينما دخول المسجد والجلوس مع الجماعة الإسلامية كنت أعتبره نوعًا من الترف. وكانت الحركة الإسلامية الطلابية في ذروة نشاطها آنذاك بينما أنا أحاول الابتعاد عنها أعوام (١٩٧٧م– ١٩٧٩م – ١٩٨٠م)، هذا هو العصر الذهبي للجماعات الإسلامية داخل الجامعة، وأذكر أنني كنت ذات مرة أسير على الرصيف، وفجأة نزل أحد الإخوة من الأتوبيس وكان ملتحيًا وأخذني بالأحضان ثم ركب الأتوبيس مرة أخرى، فقد كان هذا هو الشعور السائد؛ حيث كنا في ذلك الوقت نُعَدُّ على الأصابع عامي ١٩٧٥م / ١٩٧٦م.

بدأت في عام ١٩٧٧م أنظر إلى العمل الذي يدار داخل الجامعة؛ حيث كنت أذهب وأجلس كثيرًا في جامعة القاهرة في القصر العيني، وأرى مشروع الحجاب ومشروع الكتاب الإسلامي الذي بدأ يتدفق لكن في النهاية أعتبره نوعًا من الترف؛ لأنه في الناحية الأخرى كان هناك استقطاب من

الشيخ عبد الله السماوي الذي كنت أحبه جدًّا يتحدث معي عن العزلة وعن الانهزام وعن جاهلية المجتمع وكنت أصطحبه في كل المساجد التي يذهب إليها والتي يلقي فيها الخطب ولم أعرف غيره في هذا الوقت لدرجة أنني في أوقات كثيرة كنت أنام عنده في البيت وأستمع إلى خطبه ودروسه فانعزلنا عن المجتمع. فقد كانت طريقة الشيخ عبد الله السماوي أنه يعطيك المعلومة ويجعلك أنت الذي تأخذ قرارك، فكان يحدثني عن جاهلية الجامعة، وأن هذه الجامعة يختلط فيها البنون والبنات وترى المتبرجات وتصاحبهن إلى آخره ولن تجد فيها شيئًا إيجابيًّا، النهم من هذا الجيل الذي كان يتركه الإنسان في مرحلة شبابه، وهذا كان يجعلني في حيرة من أمري بين أن أذهب إلى الجامعة أو أن أذهب إلى الدروس والخطب.

بدأت الجماعة الإسلامية والتيار الإسلامي خصوصًا داخل الجامعات المصرية ينطلق في عام ١٩٧٦م تحديدًا، ويستطيع أن يحوز قدم السبق في الحداثة الليبرالية، عندما يدخل الانتخابات كان يسيطر على كل الاتحادات الطلابية كاتجاه إسلامي، إلى جانب ذلك التصارع الفكري بين فلول الناصريين واليسار وبين التيار الإسلامي في الجامعة. استطاع أنصار التيار الإسلامي أن يكتسحوا ويطردوا كل هذه العناصر اليسارية من مراكز التأثير في اتخاذ القرار في الاتحادات الطلابية. في هذا الوقت كانت السيطرة نتيجة طبيعية للدعم في دفع الفكرة الإسلامية في الجامعات، كانت هناك حلقة اتصال بين السلطة ممثلة في الجامعة في ذلك الوقت وبين جمهور الطلاب، فأقيم مشروع الحجاب الإسلامي، فالمرأة المسلمة هي جزء من الحركة الإسلامية، هي جزء كبير مترمّت فقد كان هناك جماعة إسلامية طلابية كان بها طالبة من فلسطين مسلمة كانت موجودة وعندما بدأنا مشروع الحجاب كان جزءًا من النشاط لرمزية المسألة. لم يكن هذا لأن المرأة طالبة، ففي الجامعة كان المسجد مقسمًا إلى نصفين؛ جزء للطلبة وجزء للطالبات. وفي طب القصر العيني هناك مسجد للطالبات ومسجد للطلبة. كان التواصل بين الطلبة والطالبات موجودًا ومتحققًا فالطالبة المهندسة والطالبة الطبيبة، إذًا المرأة في الحركة الإسلامية موجودة وفق الأطر الفكرية أو السلوكية لا تُقصَى لكنها موجودة وتستشار وتعلن عن رأيها، وفي المظاهرات كانت الأخوات المحجبات وغيرهن موجودات بصفة عامة.

وتلاه مشروع الكتاب الإسلامي، وكان كل هذا يتم باتصال سلبي بين رؤساء الاتحادات الطلابية الذين كانوا أعضاء الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت داخل الجامعة. والمقصود بجماعة

إسلامية في ذلك الوقت هي الجماعة الإسلامية الطلابية بالجامعة التي لم يكن لها إطار تنظيمي خارج الجامعة، وكانت تضم بين دفتيها كل أنصار التيار الاسلامي داخل الجامعات المصرية. وكان الاختيار فيها بالتوازي بين اتحادات الطلاب وأمراء الجماعة الإسلامية، وكانت تضم جميع المدارس الفكرية في ذلك الوقت، وأود أن أشير في ذلك الوقت إلى حالة السماح التي كانت لدى دوائر السلطة من الرئيس محمد أنور السادات ومستشاره الأول في ذلك الوقت محمد عثمان إسماعيل في أن يترك للتيار الإسلامي فرصة العمل. والبعض يرى أن السادات هو الذي صنع هذه الجماعات من دون أن تكون موجودة. ويستطيع المهندس أبو العلا ماضي أن يتحدث في هذا فهو أكثر خبرة مني، لكن على كل حال هذه أسميها حالة سماح استطعنا أن نستغلها في هذه المشروعات، مثل تمرير مشروع الحجاب، ومشروع الكتاب، والكتاب الطلابي الذي كان جميعه الكتاب الإسلامي، حتى الكتاب الجامعى كان في آخره تُكتب المبادئ الإسلامية والتعليمات الإسلامية، الأمر الذي مَكّن التيار الإسلامي في ذلك الوقت أن يسيطر على الجامعة. وفي الانتخابات كانت تفرز أغلبية ساحقة للتيار الإسلامي. وأعتقد أن آخر انتخابات وفق اللائحة القديمة كانت في سنة ١٩٧٩م وبعدها بدأ السادات يدرك خطورة هذا السماح أو إطلاق الأمر بهذا الشكل، وبدأ يقيد الحركة الطلابية خصوصًا حينما بدأ يكتشف أنها ليست معه، وأنها بدأت توجّه انتقادات حادة له فكان تغيير اللائحة الطلابية، وأدركنا نحن أيضًا أننا إذا لم نقض عليه فسوف يقضي علينا؛ لأنه اتخذ إجراءات حقيقية وضح منها أنه يريد أن يتخلص منا. فحالة السماح كانت من أجل أن يقضي على رجال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ونحن نحقق ذاتنا في التواجد وفي العمل الدعوي وانتشار الفكرة، فترك للجماعات الفرصة للعمل، لكن عندما تصادمت المصالح حدث الصدام ببساطة فهو بدأ يكشر عن أنيابه، وبدأ في سَنّ قوانين سيئة السمعة، وبدأ يقول إن الديمقراطية لها أنياب. أخذ السادات قرار التحفظ على أكثر من ٦٣٦ وكان سيتبعها بقرارات أخرى، وكان الـ ٦٣٦ ثلاثة أرباعهم من الحركة الإسلامية، وهؤلاء كانوا غالبية خلايا التنظيم، فكان لابد أن يتم التخلص منه، ذلك ما كان في أذهاننا في ذلك الوقت.

حضرت جانبًا من انتخابات عام ١٩٧٩م، وفي تلك الأثناء بالمدينة الجامعية في عين شمس تعرفت على الأخ المهندس أبي العلا ماضي، وكان حينها السادات مُصرًّا على أن الذي يتولى رئاسة اتحاد طلاب مصر لا يكون ملتحيًا، وعلى هذا الأساس قدم الإخوة في ذلك الوقت الأخ محمود طلعت الدوكش الذي انتُخِب أمينًا عامًّا أو رئيس اتحاد طلاب مصر؛ لأنه لم يكن ملتحيًا.

كانت الرغبة في عدم استكمال الجامعة والدراسة تتنازعني كما ذكرت سابقًا، وكان هناك تحفيز من جانب الشيخ عبد الله السماوي بأن أتركها، فهو يعطيك الحديث والوعظ ويعمق لك الموضوع بعيدًا عنه ويترك لك الاختيار، لذلك كان هذا الأمر غير منسق بالفعل في تقديري، وتُنازعني الأفكار من حين لآخر لدرجة أني كنت أدخل الامتحان في سنة وأتركه في سنة أخرى، مع هذا التنازع وعدم الحسم أذكر أني ذهبت للشيخ صلاح أبي إسماعيل عام ١٩٧٧م وكنت أزوره في منزله وسألته هل أكمل أم لا في دراسة القانون، فقال لي "يا ابني أنت تبيع بطاطا أحسن من أن تدرس القانون" ورغم هذا لم أترك الدراسة في الكلية. أذكر أن من الأشياء التي كان الشيخ عبد الله السماوي يدعونا إليها أن نرتدي الزي الإسلامي في الجامعة (أنا لا أتحدث عن الحركة الإسلامية بصفة عامة وإنما عن فئة، فأنا لا أحارب الحركة الإسلامية ولا أحابي الجماعة الإسلامية في الجامعة).
أنا أذكر عندما سافرت أول مرة إلى أسوان في الإجازة الدراسية لم يستطع والدي التعرف عليّ من هذا الزي، وعندما عدنا للمنزل تحدث معي في هذا الشأن، وأقنعني بالعودة للزي الشبابي في ذلك الوقت. أنا أطلق على هذه الفترة مرحلة المراهقة الفكرية، وأنا أذكر هذه الوقائع؛ لأن هناك قطاعًا كبيرًا من الحركة الإسلامية أو من داخل الحركة الإسلامية حينها كان يثقف نفسه بنفسه فلم يجد الرعاية اللازمة من المجتمع أو من رجال الدين ومن الوعاظ على الرغم من أن هذا الجيل تأثر بالإخوان الدعاة الذين كانوا يطرقون أبوابنا في الجامعة، فقد حضرت كل محاضرات الشيخ عبد المتعال الجبري والدكتور عيسى عبده، كل هؤلاء كانوا من الإخوان الذين أُفرج عنهم وبدأ يُسمح لهم بدخول الجامعة، تأثرنا بهم كجيل من حيث التجاوب مع الفكرة الإسلامية ومن حيث التعاطف مع التعذيب الذي لاقوه داخل سجون عبد الناصر، هذه ربما هي الفكرة الأساسية التي كان يطرحها دعاة الإخوان ورموزهم داخل الجامعة في ذلك الوقت. لكن تأصيل الأفكار بشكل كاف كان نهبًا بمعنى كل اجتهاد، وكانت العاطفة هي التي تدفعنا، نحن شباب كان من الممكن أن نكون مثل شباب ليس له اهتمامات. لكن الحقيقة كنا نحاول أن نثقف أنفسنا بأنفسنا، كنا نقرأ ونجتهد، ولذلك كان هناك هذه المطبات - إن جاز التعبير - كان يتنازعني هذا الجانب مع الشيخ عبد الله السماوي في تلك المسائل التي أتحدث عنها الآن على أنها مراهقة فكرية.

عنوان هذه المرحلة هو تجاذب الأفكار فكنت أذهب إلى أماكن كثيرة فأتردد على كلية طب القصر العيني لرؤية (إخوانًا) والجلوس معهم وأستمع لخطبهم ووعظهم، بدأت أتحرر شيئًا فشيئًا وأستمع إلى علماء آخرين من باب حب التدين الذي كان موجودًا في هذا الجيل في ذلك الوقت.

بدأنا نستمع إلى الشيخ إبراهيم عزت الداعية الكبير في ذلك الوقت، كان رائدًا من رواد التبليغ والدعوة وواعظًا له تأثير ويُفَجِّر طاقات في القلوب وفي النفوس، نصلي عند الدكتور جميل غازي، ونصلي عند سليمان ربيع في الخلفاء الراشدين في مصر الجديدة وإلى آخره، فكانت تتنازعنا الأفكار والابتعاد عن إخواني في الجامعة؛ لأني كنت أنظر إليهم على أنهم يمارسون نوعًا من الترف، وأذهب لفكرة الانعزال عن المجتمع لكنني حافظت على أن أظل بالجامعة، وبدأت أتنقل ما بين القاهرة وبين الصعيد وتعرفت في ذلك الوقت على الأخ رفاعي أحمد طه القيادي البارز في الجماعة الإسلامية. هو من قنا من أرمنت وكان والده يعمل في أسوان ومقيمًا بها وتعرفت عليه في كلية التجارة بجامعة أسيوط، وتعرفت من خلاله على محمد شوقي السنهوري وعاصم عبد الماجد وعصام دربالة. بدأت أتردد بصفة دورية ما بين هذه المدارس كلها. في هذا الوقت كنا مع الشيخ عبد الله السماوي وقررنا أن ننعزل عن المجتمع، وذهبت مع مجموعة من بعض الإخوة وأقمنا بعض الوقت في كفر طهرمس، وكانت منطقة نائية لا يوجد بها طرق ممهدة ولا عمارات، تضم فقط بعض البيوت لكنها منعزلة عن المجتمع، مكثنا فيها من أجل الصفاء الروحي وتعلُّم العلوم الدينية. كان قائد هذه المجموعة في ذلك الوقت هو أسامة عبد العظيم، وكان داعية معروفًا هنا في القاهرة، ولكن الناس تحت وطأة التشدد أطاحوا بنا خارج كفر طهرمس نتيجة إطالة الشيخ أسامة في الصلاة وذلك بعد مشادات مستمرة، فلم يستطع مَن كان يقوم بحمايتنا وهو واحد من أعمدة الكفر حمايتنا حتى النهاية من غضب الأهالي. فلم نمكث في كفر طهرمس أكثر من شهر مثل تجربة الخطاطبة أيضًا التي انتقلنا إليها مباشرة بعد أن أشار علينا الشيخ عبد الله السماوي بذلك، فقد كان يمتلك بها أرضًا مشاركةً مع نسيبه وصهره الشيخ علي فراج. ولسوء الحظ اشتدت المشاكل بينهما في هذه الفترة فطردنا أيضًا من الخطاطبة. أنا أذكر ذلك؛ من أجل إيضاح الرؤية حول ما كنا نفعله أو جزء منه على الأقل في ذلك الوقت من الانعزال عن المجتمع وجاهلية المجتمع، هذه الأفكار هي التي كانت تتنازعنا.

في ذات الوقت كنت حريصًا على أن أتردد على جميع المنابر في مصر، وعاصرت وأنا في أسيوط المظاهرات التي كانت بسبب السور الذي بُنِي عندما كنت طالبًا، ويمكن القول إني كنت أول طالب تواجد في هذه المظاهرة، كنت أذهب إلى أسوان أمارس الدعوة مع (إخوانًا) هناك، وأقمنا في أسوان أول مسجد للجماعة الإسلامية على أرض مملوكة للدولة في ميدان بارز في أسوان، اخترناها وقمنا بالبناء عليها عن طريق جمع التبرعات من الأغنياء ورجال الأعمال المعروفين الذين لنا علاقة بهم، وكان معنا بعض الإخوة من محافظات الصعيد فكان أول مسجد

للجماعة الإسلامية في أسوان، وبدأنا ننتقل إلي خارج الجامعة. في هذا الوقت كنا نصلي العيد في الميادين ففي القاهرة كانوا يصلون في عابدين ونحن نصلي في ميدان المحافظة بكورنيش النيل أمام محافظة أسوان في حشد كبير. كنا ننظم الصلاة في صلاة العيد في الميدان العام لمحافظة أسوان لكن المنشور كان يأتي من القاهرة والملصق الذي كان يعلق في صلاة العيد كان يأتي من القاهرة، من الجماعة الإسلامية الأم والذي سيعرف فيما بعد أن الإخوان هم من كانوا يغذون هذه الأمور ويقومون بطباعة هذه الأوراق للمساعدة، شيء كبير من الدعم الطلابي الجامعي ومن الدعم الإخواني المعروف عنهم. حسمت هذا الأمر وأنهيت علاقتي بالشيخ عبد الله السماوي في كل الأحوال؛ لأنه كان هناك الكثيرون قد تمردوا عليه فليس من المعقول أن كل هؤلاء على خطأ وأنا الوحيد الذي أرى عكس ذلك. في الحقيقية هذا الرجل أنا أعتبره من المعلمين القلائل للتيار الإسلامي في ذلك الوقت، ومن الذين بذلوا جهدًا في تجويد الفكرة الإسلامية بعد خروجه من السجن، فقد كان من شباب الإخوان ودخل السجن مع المجموعة التي رفضت أن تتوب إلى النظام؛ حيث رفض فكرة الإتابة واختار أن يبقى مع مجموعة قليلة – مثل السيد محمد قطب في سجن أبي زعبل – رفضت أن تبايع النظام، وعندما خرج كان معه شكري مصطفى الذي أسس بعد ذلك التكفير والهجرة. لكن الحقيقة أن أهم الملامح الاختلافية بين شكري مصطفى وبين عبد الله السماوي هي أن شكري مصطفي كان يُكَفِّر المجتمع فكل من لا يسمعه وينضم إليه فهو كافر ببساطة، وكل من ليس في جماعته فهو خارج عن الإسلام، لكن عبد الله السماوي كان يرى عكس ذلك فهو لا يُكَفِّر المجتمع ربما يرى جاهليته لكن لا يرى كُفره، ويرى كفر النظام الحاكم لكن لا يراه في المجتمع. فشكري مصطفي كان يرى أن من خرج على جماعته فهو كافر، هذه مسألة أساسية؛ لأن التكفير والهجرة يُكَفِّر المسلم بالمعصية. وعلى الرغم من أنه في ذلك الوقت بدأ كل إخواننا البارزين في الحركة الإسلامية الطلابية التمرد على عبد الله السماوي رغم أنه معلمهم الأساسي خصوصًا في وجه قبلي وكانوا يقسون أحيانًا في نقده وفي الإساءة إليه، لكنني عندما بدأت أتخلص من هذه الأفكار لم أكن أسيء إلى هذا الرجل ولم أكن أتمرد عليه لكن بدأت أنفتح.

هذا الانقسام بين الجماعة الإسلامية كان عام ١٩٧٩م وبدأت ملامحه في الظهور؛ لأن هناك بعض رموز من رموز القيادة في الجماعة الإسلامية استُقطبت لتدخل في الإخوان المسلمين، وبدأنا نتسامع هذا الأمر وإن لم يكن هناك جزم به، وأنا شخصيًا ذهبت خصيصًا للأخ عبد المنعم أبي الفتوح في منزله وحينها كان مجندًا في الجيش وسألته هل انضم للإخوان؟ فنفي وذكر أنه لم يَرَ

الأستاذ عمر التلمساني رأي العين إلا عندما تقابلنا في المحاضرات أو شيء من هذا القبيل، لكنه في مجلس أشاد بهم لكن لم يحسم مسألة أنهم انضموا، لكن الهاجس لدينا كان قويًّا في أنهم انضموا والذي حسم الأمر بعدها بقليل كان الأخ كرم زهدي عندما اعتُقل مع الأخ أبي العلا ماضي ومحيي الدين عيسى في المنيا وأكدا له أنهما انشقا عن الجماعة أو دخلا الإخوان المسلمين وانضما، المهم أن هذا الكلام حقيقي. وقتها بدأت المفاصلة نحن في أسوان على الأقل رغم أنني في حقوق القاهرة فإنى أحسب على أسوان، وأنا لم أكن منغمسًا في العمل الطلابي داخل الجامعة، وجاء لزيارتنا حلمي الجزار وتناقش معنا وحضرت اللقاء وأكدوا حقيقة الانضمام إلى الإخوان، لكن العمل الطلابي لم يكن بمنأى عن الحزبية. وفي مجمل كلامه قدَّم لنا دعمًا طلابيًّا للعمل في أسوان، نحن فهمنا أن هذا استقطاب، محاولة للاستقطاب بالدعم المالي على حساب إخواننا في أسيوط. فرأينا أن نبقى على الحياد، لكن مواقفنا ستظل متسقة مع الجماعة الإسلامية في أسيوط، وأبلغنا حلمي الجزار بذلك ورفضنا الدعم الذي قدمه لنا. وعلى هذا الأساس جاء إلينا بعد ذلك الأخ كرم زهدي والأخ فؤاد الدواليبي وبدأنا ننسق معًا، ولتعويض الدعم العيني الذي انقطع من الجماعة الإسلامية في القاهرة؛ حيث كانت هي التي تغذي العمل بالمنشورات والمطبوعات، فقد أقمنا في ذلك الوقت سوقًا إسلاميًّا ولم نكن في ذلك الوقت نعلم أنه اُتفق عليها تنظيميًّا داخل الجماعة الإسلامية في وجه قبلي وأقمنا فكرة السوق الإسلامي الخيري في الوقت الذي كانت تمر فيه مصر بأزمة تموينية طاحنة وأزمة اقتصادية، وكان متنقلاً من أسوان إلى سوهاج وإلى أسيوط. أقمناه في منطقة فضاء على كورنيش النيل في أسوان في قلب المدينة وكان من السهولة أن نأخذ موافقة عليه من رئيس مجلس المدينة، وعقدنا سوقًا ضخمًا في سرادق وكأنه مقسم إلى محلات يضم جميع الاحتياجات، واشتُهر في ذلك الوقت ببيع الصابون المُصنع يدويًّا بطريقة بسيطة وبسعر مُخَفَّض. وكان السوق يحقق أرباحًا كبيرة وانتقل هذا السوق من أسوان إلى المنيا، وأقمنا معرضًا لسوق الكتاب الإسلامي، كل هذا بالجهود الذاتية لإيجاد طريقة من طرق التمويل. كل ما يتردد عن وجود دعم مالي من الخارج غير صحيح، مسألة الدعم المالي التي يلوكها كثيرون سواء من السلطة أو من النظام أو من خارج النظام وسواء أنا كملتح أو كتنظيمي أو كمحام مدافع عن كل قضايا العنف، مسألة غير مطروحة على الإطلاق ليقين هذه الشهادة. من الممكن وجود انتهازيين ليسوا عقائديين، هناك عناصر موجودة في الحياة السياسية كانوا يزعمون أنهم مع الإسلاميين في التنظيمات وهم خارج التنظيم أصلاً والنظام يعرفهم وتصعدوا سياسيًّا وحزبيًّا وكانوا يعرفون ويوافقون. نحن

قمنا بعمل أسواق؛ من أجل توفير المال، يمكن أن أقول لك تم السطو على محلات الذهب من أجل التمويل، تم الاستيلاء على محلات ذهب محل في نجع حمادي أو أكثر من محل، وأيضًا في شبرا الخيمة كلها مملوكة لنصارى، نعم تحقق ذلك من أجل توفير المال، لكن التمويل الخارجي لم يحدث إطلاقًا.

المهم أنه في سنة ١٩٧٩م وما بعدها انقسمت الجماعة الإسلامية إلى فريقين: جماعة إسلامية في الوجه البحري وجماعة إسلامية في الوجه القبلي، بدأنا في هذا الوقت نتوجه ناحية العمل الطلابي، خرجنا من الجامعة وأقمنا مسجد الرحمن الذي أصبح له فروع في كلٍّ من نجع حمادي وأسيوط والمنيا تحت نفس الاسم، وأصبحت كلها مساجد تابعة للجماعة الإسلامية. ومن أجل التمييز كنا نقول الجماعة الإسلامية في الوجه القبلي، وكانت تحمل فكرًا سلفيًّا، والجماعة الإسلامية في الوجه البحري و كانت تحمل فكرًا إخوانيًّا. وبالتالي لم يكن لدينا مشروع محدد، نشاط طلابي انتقل من داخل الجامعة إلى خارج أسوارها وصلاة العيد في الفضاء والإقامة في المسجد والوعظ والخطب في الجمعة. وبدأت الناس تلتف من حولنا لكن ليس هناك مشروع واضح، أصبح فكرًا سلفيًّا نستهدي منه أفكارًا من شيوخ الإسلام مثل ابن تيمية وابن القيم وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي، هذه كانت قراءتنا وكانت المراجع التي نستمد منها فكرنا الثوري. أهم ما كان يميز الجماعة الإسلامية في الوجه القبلي عن الجماعة الإسلامية في الوجه البحري ثورية هذا التوجه فقد كنا نثور على السلطة وعلى الحكام بطريقة عنيفة، الناحية الجغرافية كان لها تأثير في وجه قبلي بالإضافة إلى المرجعية الفكرية، كان ذلك له أثره في المشاحنات في أسيوط من مشاحنات مع الأقباط . أنا أرى أن موقف التيار الإسلامي من الأقباط موقف متوتر جدًّا، بعض الحوادث أو بعض المشادات التي حدثت لها أسباب اجتماعية أكثر من أن تكون دينية، ومازلت أقول أن السبب الأساسي فيها يتعلق بمواقف سياسية للقيادة السياسية؛ فالقيادة السياسية لها علاقات أساسية ولها مطامح وكلام كثير في هذا الموضوع ومشاحنات بسبب الاختلاط بين الطالبات والطلاب، وكان تحقيق الفصل بينهم بالقوة يتمثل في منع الحفلات الموسيقية وهو ما اتسم به العمل الطلابي في الوجه القبلي. في ذلك الوقت بدأت المدارس الجهادية تتعدد وتنتشر، وأقيم معسكر إسلامي في أسيوط أعتقد أنه في سنة ١٩٧٩م حضره المهندس محمد عبد السلام فرج، وهو من مواليد الدلنجات محافظة البحيرة وكان يعمل مهندسًا في جامعة القاهرة وأقام في بولاق الدكرور، وحي بولاق الدكرور من المناطق العشوائية التي تتسم بانتشار الفكر الجهادي فيها. حضر هذا المعسكر محمد عبد السلام

فرج وألقى فيه خطبة والتقى بإخواننا في ذلك الوقت، وبدأ يَظهر تأثير كبير عليهم وكأنهم وجدوا فيه مَن يصيغ لهم هذا المشروع الذي يفتقدونه.

التقيت كما أعتقد في أواخر سنة ١٩٧٩م أو أوائل الثمانينيات لا أذكر على وجه التحديد بالأخ عبد الله سالم أحد إخواننا في الجهاد، وكان الأخ أحمد هاني الحناوي أيضًا من الجهاديين في القاهرة، وقد قاما بزيارتي في مسكني بالقاهرة وبصحبتهما شاب يدعى أسامة، علمت أن أسامة هذا بعد رحيله يدعى محمد سالم الرحال وهو فلسطيني أردني كان يحمل الجهاد. وتحدث معي محمد سالم الرحال عن ضرورة توحيد هذه المجموعات الجهادية وأنه لابد من تغيير نظام الحكم الجاهلي بالقوة، وأن هذا المشروع يحتاج إلى توحيد هذه المجموعات الجهادية، وأنه لدينا بعض الضباط الذين انضموا لهذا المشروع وصولاً إلى ثورة شعبية على نمط الخوميني. كان قبلها قد تفجرت الثورة الإيرانية، وهذا يوضح مدى تأثرنا كجيل شباب في ذلك الوقت بهذه التأثيرات الخومينية في الطرح. واتفقنا على أن نتبادل هذا الرأي، وأن أنقل هذه الفكرة لإخواننا في أسوان، وقال لي إن هناك مَن يتكلمون مع إخواننا في أسيوط، وأعطى لي مذكرة بخط اليد تتضمن هذه الفكرة: إسقاط الحكم الجاهلي وتسويد الجماهير إلى آخره. تتشابه - إن لم تكن تتطابق بعد ذلك عرفت أنها تتطابق - مع نظرية الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام. التقيت لقاءً ثانيًا مع الأخ أسامة استكملنا فيه الحديث في مسجد الخلفاء الراشدين، وكان يؤم الصلاة فيه سليمان ربيع (رحمه الله) وهو داعية من الدعاة الكبار، وخرجنا من المسجد وسرنا على الأقدام حتى وصلنا إلى مسجد آخر، واستكمل فيه أسامة عرض فكرته حول جاهلية المجتمع وجاهلية القائمين علي النظام إلى آخره. وسافرت إلى أسوان وأسيوط ونقلت هذه الفكرة إلى إخواننا في أسوان، نبدأ حالة تجاذب دون أن نلتمس، سافرت وعدت إلى القاهرة أعتقد بعد فترة كان هناك موعد آخر معه في المعادي وعلى ما أذكر الميعاد كان في مسجد في أول شبرا كنا اتفقنا عليه في الجمعة الأولى من كل شهر؛ حيث إنه كان ميعادًا دوريًا، فذهبت في الميعاد الذي بعده؛ لأنه لم يأتِ في المرة السابقة، فقد أُلقي القبض عليه كما أخبرني هاني الحناوي عندما التقيت به بعد ذلك، قُبض على محمد سالم الرحال ورُحِّل خارج البلاد، هذه الجماعة سوف تلتقي بعد ذلك في قضية الجهاد فحكم قضية الجهاد أدان جماعتين أو ثلاثًا: جماعة محمد سالم الرحال بعد رحيله تولى مسئولية هذا الدور جمال حميد، وجماعة محمد عبد السلام فرج، وجماعة أخرى.

عندما ذهبت لأسيوط وتحدثت مع رفاعي ومحمد شوقي أدركت أن هذا التوجه تم وأن ما عرضه علينا محمد سالم الرحال قد عُرض على إخواننا في أسيوط وبدأ التوجه الجهادي يغلف طبيعة الجماعة الإسلامية الطلابية في الوجه القبلي، وفي صيف ١٩٨٠م جاء إلينا في أسوان الأخ كرم زهدي ومعه الأخ فؤاد الدواليبي وهما من قيادات الجماعة الإسلامية في صعيد مصر. بالطبع بعد الانشطار كان هناك تراشقات باستغلال الناس هناك، إخواننا في الوجه القبلي كانوا يصرون على أن يترك إخواننا الذين انضموا للإخوان اسم الجماعة الإسلامية. لكن الجماعة الإسلامية في بحري كان من أسباب تمسكها بهذا الاسم عدم الرغبة في الظهور باسم الإخوان، وبدأ يتردد داخل أروقة الإخوان فكرة تغيير الاسم فقد كان البعض من الإخوان يفكر في تغيير الاسم باعتبار أن به ميراثًا نتيجة الصدام مع عبد الناصر. قطاعات كبيرة من الشعب أو قليلة ربما تتحفظ في الانضمام للإخوان أو تتجاوب معها لهذا الاعتبار، فهناك من كانوا يساعدون الإنسانية قُبض عليهم وحُسبوا على الإخوان، احتمال لهذا السبب كان هناك محاولة للتمسك باسم الجماعة الإسلامية. في الحقيقة إن تحركات الجماعة باسم الجماعة الإسلامية في أوساط الشعب كان يحقق جوانب كبيرة في كل المحافظات سواء في الوجه البحري أو الوجه القبلي، كان هناك تجاوب كبير مع كل الدعوات أو المحاضرات أوالخطب أو الصلوات التي كانت تحت اسم الجماعة الإسلامية، على كل حال حُسِم هذا الأمر بعد ذلك ودام هذا الاسم لمجموعة الوجه القبلي.

على أي حال جاء إلينا الأخ كرم زهدي والأخ فؤاد الدواليبي في سنة ١٩٨٠م وأخبرانا أن هناك توحدًا للمجموعات الجهادية وطَلبًا أن ننضم لهذا التنظيم وهذه المجموعات، وأنه سوف نبدأ من باب الردع بإعداد مجموعات تتدرب تدريبًا قتاليًا ومسلحًا لتستطيع أن تدافع عن نفسها عند اللزوم، ومن باب إحياء معانٍ غائبة هي الإعداد وحسن الإعداد البدني والجهادي وكل هذه المبررات. وبالفعل تجاوبنا معهما وبدأنا نعد بعض المجموعات، وبدأت حلقات أو دروس التدرب على السلاح في مناطق مختلفة في جمهورية مصر العربية سواء في الوجه القبلي أو الوجه البحري، في زيارة كرم زهدي وفؤاد الدواليبي اتفقنا فيها الاتفاقات العامة، وزارنا بعدها بفترة قصيرة المهندس محمد عبد السلام فرج والأخ نبيل المغربي وعَمّقا النواحي الفكرية والشرعية وأيضًا الدروس الأمنية، أعطانا المغربي دروس تأمين وأمورًا تنظيمية. بدأ العمل يسير على هذا المنوال لكن لم يكن هناك أي شيء يلوح في الأفق حتى هذه اللحظة، احتمال ذلك بالنسبة للمجموعات المتأخرة مثلنا فلم نكن مجموعات أساسية ربما كان مشروع الكبار، فالمجموعات الثانوية كان يُقدم

لها الفكرة بهذا الشكل من باب الإعداد والاستعداد. ومن الصحيح أن محمد عبد السلام فرج في زيارته الوحيدة لأسوان عرض المشروع بشكل متكامل وعرض ضرورة الإطاحة بالنظام وأن هذا الحكم حكمٌ جاهلي ينبغي الإطاحة به؛ لأنه لا يحكم بشرع الله، وتحدث حديثًا طويلاً يكاد يكون (الفريضة الغائبة)، وتحدث عن الذين يعملون في مؤسسات الدولة ومن هم في العمل البرلماني وعن الذين يؤسِّسون جمعيات ويعملون من خلالها، وكان يوضح مساوئ كل عمل من هذه الأعمال، وكانت الخطة تقوم على أنه لابد من الإطاحة بهذا النظام وأن هذا الانقلاب لابد أن يكون شعبيًّا بتحريك الشعب، هذا الطرح ظهر متأثرًا بالخومينية والثورة الإيرانية.

حديث طويل في هذا الخصوص من حيث الفكرة، الإطار الفكري كان واضحًا فالإطاحة بالنظام كانت واضحًة والأخ نبيل المغربي أيضًا كان واضحًا، لكن فكرة التدرب على السلاح كانت التقدمة لها بهذا الشكل — بأمانة - أنها من باب الاستعداد وأن تكون هناك قوة ردع إذا ما حاول النظام أن يتخذ خطوات ضدنا، فسارت وتيرة العمل التنظيمي بسرعة خصوصًا أن الحركة الإسلامية في ذلك الوقت كان وضح تمامًا فكرة خطأ خروجنا من رهن السادات.

وضح أن الحركة الإسلامية بدأت تُوَجِّه انتقادات عنيفة للرئيس أنور السادات، وكانت في طليعة القوى التي رفضت معاهدة كامب ديفيد، التيار الإسلامي بكل فصائله وبكل مدارسه، فقد كان له موقف في المساجد والجوامع والمؤتمرات والمجلات ضد كامب ديفيد وزيارة السادات لإسرائيل. والمطبوعات التي كانت تصدر في هذا الوقت كانت بدعوة ناطقة من الإخوان تحمل هذا الموقف، مجلة (الاعتصام) كانت تحمل هذا الموقف، ومجلة (المختار الإسلامي) أيضًا تحمل موقفًا رافضًا لزيارة السادات. أما عن المساجد واللقاءات فحدِّث ولا حرج، لم يكن لدينا أحزاب وبالتالي لم يكن لنا جرائد، وأحسسنا أن العمل الحزبي أسقط، لكن الموقف الشعبي وداخل الجامعة كان موجودًا. وكانت خطب الجمعة تشهد في كل المحافظات رواجًا كبيرًا امتزج فيها الكلام السياسي مع الانتقادات العنيفة، خُطب الشيخ أحمد المحلاوي في الإسكندرية كانت تصل إلينا في أسوان في نفس اليوم وتُنسخ وتُوَزَّع، وكان الشيخ أحمد المحلاوي يُوَجِّه نقدًا عنيفًا وكبيرًا للرئيس أنور السادات ولحرمه جيهان السادات. وقضية قانون الأحوال الشخصية شهدت معركة أيضًا من التيار الإسلامي. واستقبال السادات لشاه إيران شهد مظاهرات عنيفة كنت حينها في أسيوط، فوضح أن هناك قطيعة نهائية بين التيار الإسلامي وبين الرئيس أنور السادات ونظامه، وبدأ السادات يُوَجِّه انتقادات شديدة وعنيفة فخطبه الشهيرة تهاجم هذا التيار.

حدثني سالم الرحال أن معه ضباطًا في الجيش، فهل كان يقصد في ذلك الوقت بالفعل أن الضباط الذين معه هم الذين مع محمد عبد السلام فرج؟ لست أدري على وجه اليقين، لكن الفكرة المحورية لدى الجميع قلب نظام الحكم. البعض يرى أن يتم عن طريق الانقلاب العسكري وهذا ما كان يراه أيمن الظواهري، علمنا ذلك فيما بعد؛ لأن أيمن الظواهري من العناصر التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت إلا من قليلين جدًا، فقد كنت أنظر للعمل الطلابي على أنه ترف، وأيمن الظواهري كان يرى عدم جدواه؛ لأنه لن يوصل للتغيير، وأن السبيل للتغيير هو قلب نظام الحكم بالطريق العسكري. لم يكن أيمن الظواهري فاعلاً رئيسيًا في قضية السادات أو في مشروع الاغتيال وما تلاه، لكن أهميته ظهرت بعد القبض عليه وتبين لأجهزة الأمن أن لديه رصيدًا كبيرًا داخل الجيش، وأن عددًا من الضباط حُوكم سرًا أمام القضاء العسكري بقيادة عصام القمري (رحمه الله) فتأكد لنا أن هذا الرجل لديه تنظيم نخبوي عسكري داخل القوات المسلحة. من هنا أدركت أجهزة الأمن خطورته وذاع صيته، لكن على سبيل التنظيم والتخطيط التنظيمي لمشروع الاغتيال لم يكن فاعلاً. فقد كانت الأسس الفكرية لهذا التنظيم هي تكفير الحاكم، وجاهلية المجتمع، باعتبار أنه يحكم بغير ما أنزل الله، ورَفْض الدستور باعتبار أنه دستور وضعي وأن النص الخاص بالشريعة الإسلامية نص مُعَطّل.

أما بخصوص الجهاد والمقاتلة، فكان التدريب ينتشر في الصعيد خاصة في سوهاج ونجع حمادي فقد تدربت مرة في كل منهما، وفي الوجه البحري كان في الخطاطبة وفي صحراء حلوان، وكان التدريب على سلاح آلي وطبنجة بداية من إلفك والتركيب وكل ما يتعلق بالسلاح، كان هناك دروس أمنية لتؤمّن نفسك من المراقبة وكيفية الهروب منها، ودروس تثقيفية لهذا المنهج الفكري الذي يقوم على تكفير الحاكم والمقاتلة، منهج يُدَرّس في مدرسة، من أهم هذه الأشياء طبع كتيب المهندس محمد عبد السلام فرج وتوزيعه علينا، فالمشروع كان واضحًا بداية من سنة ١٩٨٠م. ورأيي بعد هذه التجربة الطويلة أن مَن لعب دورًا محوريًا في توضيح هذه الفكرة هو محمد عبد السلام فرج، ولعب محمد سالم الرحال دورًا هامًا في تجويد هذه الفكرة وفي ضرورة تجميع هذه المجموعات. أنا مدرستي سماوية من حيث البنية الفكرية ولكن تنظيميًا جزء مع الوجه القبلي بحكم القبلية، وأستطيع القول إن التنظيم الوحيد الذي انخرطت فيه من الجائز أن يكون هو تنظيم السماوي. التنظيم الوحيد الذي دخلته وبايعت مثلما كانوا يقولون هو تنظيم عبد الله السماوي. وبعدما دخلت

السجن عرفت أن العلاقات كانت تتم بطريقة المجموعات، لا يعرف بعضها بعضًا، احتمال القادة هم مَن يعرفون بعضهم لكن العامة أو الأعضاء لا يعرفون شكل التنظيم لاعتبارات أمنية كثيرة.

الفتنة الطائفية جزء من الأشياء التي عجلت بالصدام، فكرة هذا المشروع الانقلابي (إذا جاز التعبير)، في رؤيتي الشخصية إن الذي صاغ هذه الرؤية الانقلابية الشرعية هو محمد عبد السلام فرج وبلورها في الفريضة الغائبة، الفريضة الغائبة هي مجرد نقولات من بعض الكتب أو أمهات الكتب أو المدارس السلفية القديمة والحديثة لابن تيمية وابن القيم والشيخ سيد قطب بقدر ما كانت قراءة لهذه النصوص من محمد عبد السلام فرج وإسقاطها على ما يحدث حينها رغم صغر حجم هذا الكتيب، ورغم الحضور القوي للشيخ عمر عبد الرحمن. لكن ما أزعمه أن الشيخ عمر عبد الرحمن لم يكن له دور حقيقي في هذا الأمر، ولم يكن له دور حقيقي في دفع عجلته أو وضع ملامحه الفكرية أو الشرعية. أيضًا من الأمور التي أستخلصها بعد كل هذا الطريق أن الذي وضع المشروع الحركي الانقلابي هو عبود الزمر، عبود الزمر وضع مرحلة زمنية لتحقيق هذا الأمر، وقال إن الحد الأدنى للتحرك ثلاث سنوات، وإن هذه الخطة كانت تهدف إلى اغتيال رئيس الجمهورية، وفكرة الاغتيال تمحورت في أكثر من مناسبة، كان هناك محاولة لاغتيال السادات في القناطر ومحاولة لاغتياله في الإسكندرية ثم المحاولة الأخيرة أو ثم اغتيال السادات في المنصة الذي عمدتها هو خالد الإسلامبولي، لكن فكرة عبود الزمر في مشروعه الانقلابي كانت ترمي إلى اغتيال رئيس الجمهورية، ثم السيطرة على بعض الأماكن الإستراتيجية، والسيطرة على مبنى الإذاعة والتليفزيون، وتثوير الجماهير من خلاله، وتقديم خطاب إسلامي تثويري يحرك الجماهير وتحريكها أيضًا من خلال المساجد؛ بحيث يتحول الاغتيال إلى ثورة شعبية ويحقق الحكم الإسلامي (جمهورية إسلامية)، لكن عبود وضع برنامجًا زمنيًا له؛ بحيث يتم خلال ثلاث سنوات، لذلك عندما جاء خالد الإسلامبولي يعرض فكرته على محمد عبد السلام فرج أنه أُختير ضمن المجموعة التي سوف تشارك في العرض العسكري يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م، كان يعرض فكرة التخلص من النظام فقط. أنا أزعم أن خالد الإسلامبولي لم يكن عضوًا في هذا التنظيم لا في وجه قبلي ولا في الجهاد، وأنا أزعم أن خالد الإسلامبولي كان صاحب مرجعية إسلامية دينية وأنه كان شقيق محمد الإسلامبولي وأن محمد الإسلامبولي لعب دورًا في تثقيف خالد دينيًا كما كان له دور معي أيضًا. لكن الارتباط الحقيقي لخالد الإسلامبولي كان بمحمد عبد السلام فرج وليس بأحد غيره، نعم تأثر بعبد الله السماوي كما تأثرت وكما تأثر غيري كثيرون لكن خالدًا أيضًا كان يحافظ على

علاقته بعبد الله السماوي؛ حيث كان يتبع نصيحته، وظهر ذلك أثناء التحقيق معه في المخابرات أكثر من مرة في علاقته بعبد الله السماوي، لكن الارتباط الحقيقي كان خارج دائرة التنظيم. هذا رأيي وقراءتي لمحمد عبد السلام فرج، والدليل على ذلك أن خالد الإسلامبولي عندما عرض فكرة الاغتيال ذهب لعرضها على محمد عبد السلام فرج فقط، ثانيًا اقرأ التحقيق مع خالد تجده كان يتكلم بمكاشفة؛ لأنه كان مقبلاً على الله، كان يتمنى الموت فقد كان يدرك أنه سيلقى الشهادة في أرض المنصة لذلك كان يقول الحقيقة كاملة، ولذلك عندما سأله المحقق لماذا ذهبت إلى محمد عبد السلام قال له: أنا أرتاح له، وعندما سأله عن الكتب التي كان محمد عبد السلام يعلمها له، تشعر من إجابته أن محمد عبد السلام هو الذي كان يصوغ البنية الفكرية والذهنية لخالد الإسلامبولي، وهو الذي كان يُعلّمه الفتاوى لابن تيمية وكتبًا أخرى، وعندما سأله ماذا لو اعترض محمد عبد السلام على خطة اغتيال السادات هل كنت ستلتزم بهذا؟ فرد عليه خالد: لا. وذلك على الرغم من أن خالدًا لم يكن له علاقة بمشروع الانقلاب، ولم يكن يريد من عملية الاغتيال أن تحدث ثورة شعبية، إنما كل ما في الأمر أنه كان يرى أن السادات حاكم كافر مرتد عن الإسلام، وأقام علاقات مع العدو الصهيوني من خلال اتفاقية كامب ديفيد، واعتبر أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب وبذلك يكون قد أسقط فريضة الجهاد، وسخر من الشعائر الإسلامية ووصف الزي الاسلامي بأنه خيمة، أسباب ساقها خالد. قال: "لذلك أنا أرى أنه هو حاكم يستوجب قتله". لم يُخفِ خالد في أقواله أنه تأثر بأن السادات شتم علماء المسلمين وأهانهم بأن وصف الشيخ أحمد المحلاوي بقوله: "إنه مرمي في السجن زي الكلب"، ووصف الشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية في السويس: "أنه مجنون السويس"، وأنه أهان علماء المسلمين. وتأثر بالتأكيد عندما علم أن محمد شوقي السنهوري كان من الذين شملهم قرار التحفظ في سبتمبر ١٩٨١م، وأنه متأكد من أن أخاه غير متورط وشبه بريء. هذه دوافع خالد الإسلامبولي في الاغتيال.

حاول محمد عبد السلام فرج أن يطور هذه الفكرة، جاء خالد الإسلامبولي يعترف بها يوم ٢٨ سبتمبر و ٦ أكتوبر، الذي صاغ ودبر باللغة القانونية وأسس وأنشأ وأدار وحرك وقاد هو محمد عبد السلام فرج، خالد قال له أريد ٣ — ٤ أفراد أحضرهم له محمد عبد السلام فرج. قال له أريد ٤ قنابل يدوية و ٣ إبر ضرب نار و ٧٢ طلقة، من أحضرهم له هو محمد عبد السلام فرج. إخواننا من مجموعة الوجه القبلي حضروا جانبًا من هذا اللقاء في ٢٨ سبتمبر. وعندما قال لهم خالد الإسلامبولي أنه يحتاج الأربع قنابل التي معهم رفضوا وأخبروه أنه إذا كان سوف يقتل

السادات فهم يحتاجون إليها في أسيوط، فقال لهم إذا لم يُقتل السادات كيف ستحتاجون إليها؟ إذًا من أحضر عطا طاير وحسين عباس وعبد الحميد عبد السلام هو محمد عبد السلام فرج، ومن وفّر ٣ إبر ضرب النار هو محمد عبد السلام فرج من ممدوح أبي جبل الذي كان مقدمًا مهندسًا وأصبح شاهد مالك في قضية الفردان، من أحضر القنابل هو أسامة سيد قاسم من مجموعة الشرقية عن طريق محمد عبد السلام فرج. إذًا المحرك الأساسي والذي صاغ الناحية الفكرية للتنظيم هو محمد عبد السلام فرج وليس أحدًا آخر. الذي وضع الخطة الانقلابية هو عبود الزمر، ولكن عبود الزمر كان له تحفظ كبير على التوقيت، كل الروايات اتفقت عليها. خالد الإسلامبولي وقف عند الاغتيال، محمد عبد السلام فرج حاول أن يحول فكرة الاغتيال إلى ثورة شعبية.

جاء إلينا عبد الهادي حناوي يوم ٥ أكتوبر كمجموعة أسوان وقت أن كنا مختبئين من قرارات التحفظ وأخبرنا أن الرئيس السادات سوف يُغتال غدًا، قرار هام باغتيال رئيس الدولة يمرر من الإسكندرية لأسوان ولا تصل إليه أجهزة الأمن. بالفعل يومها أحمد هاني الحناوي أبلغنا هذا الكلام وقال لنا: "إن السادات سوف يُقتل غدًا وشاهدوا الاغتيال في التلفزيون، وعندما تجدوا هذه الخطة قد تحققت حاولوا أن تسيطروا". لكن السرعة والمفاجأة وقلة الإمكانيات وقلة الاستعدادات كلُّ هذا حَالَ دون أن يتم. قُتل السادات وقُبِض على مَن قُبِض واستمررنا في مرحلة الهروب أنا وأخي رفاعي طه (رحمه الله)، والحقيقة أيضًا في أنه أثناء الهروب الذي امتد ٩ أو ١٠ أشهر حاولنا فيها أن نعيد بناء هذا التنظيم، وكانت رغبة الأخ رفاعي طه قوية في هذا الشأن وكنا أثناء هروبنا نحقق شيئًا بالاتصال بإخواننا داخل السجن، فاتصلنا بعبود الزمر وخالد الإسلامبولي، كنا نتلقى الرسائل من خالد عن طريق الزيارات. وكان من ضمن الهاربين معنا مجدي سالم وهو محكوم عليه حاليًّا بعشرين سنة. كنا نتلقى هذه الرسائل منها الرسالة الشهيرة لخالد الإسلامبولي، أخذناها وأعطيناها للمحامين صوّروها ووزعوها وأخذها فتحي أبو اليزيد وعمل منها مقدمة لكتابه الشهير، ومن هذه الرسائل جاء لنا تكليف أو خطة أو اقتراح بتهريب الإخوة من السجن الحربي وقطعنا شوطًا في هذا الموضوع، لكن كان صدر حكم بالإعدام وتم تنفيذ هذا الحكم. كان هناك محاولة أخرى لتهريب مجموعة أخرى مثل عبود الزمر وعصام القمري فجهزنا لذلك مجموعة في شبين الكوم ومجموعات داخل القاهرة، لكن أجهزة الأمن استشعرت هذه التحركات وأننا بدأنا بالفعل نتحرك فجدّت في طلبنا وسعت في القبض علينا، فأصبحت الملاحقة أسرع وأكبر خصوصًا أنهم تأكدوا من تحركنا، وتم القبض على عنصرين باللغة الأمنية أو التنظيمية من الجيش كانوا معنا، واعترفا أنهما أحضرا لنا

سلاحًا وذخيرة. وبالتالي أصبحت الملاحقة شديدة حتى تم القبض علينا، وقُبض عليَّ في مشهد درامي أو فكاهي جميل، في هذا الوقت لم نستقر في مكان واحد فكنا نتنقل من شقة لأخرى، وآخر أيامنا كنا نقضيها عند شيوعي بارز في العمل الطلابي كان زميلاً لنا في الجامعة وبكل شفافية قبِلَ استضافتنا وهو يعرف أننا مطاردان، ولكن رغم ذلك وصلت أجهزة الأمن لهذه الشقة، في هذا الوقت كنت على كورنيش النيل في الصباح ومعي الأخ عادل عبد المجيد - الآن هو موقوف في لندن على ذمة طلب أمريكي باستلامه؛ حيث حصل على لجوء سياسي في بريطانيا – في انتظار شرطي كان يحاول أن يسهل لنا مهمة السفر خارج البلاد، وأثناء انتظارنا على الكورنيش أمام قسم مصر القديمة وجدنا شخصين يجري وراءهما خمسة أو ستة أشخاص ويصرخون "امسك حرامي" وعندما اقتربوا منا وجدناهم يصوبون إلينا الأسلحة كما لو كانوا يعرفون هذا الموعد. وكان اللواء فؤاد علام على رأس هذه القوة وأول صفعة لي كانت منه على كورنيش النيل أمام قسم مصر القديمة. ذهبنا إلى القلعة وكان مجرد سماع اسم القلعة يجعل الشخص لديه استعداد وجاهزية تامة لأن يقول كل شيء وظللت محبوسًا حتى خرجت سنة ١٩٨٤م– ١٩٨٥م.

كنا نحاكم في ذات الوقت الذي كانت القضية الأولى يُحكم فيها، بدأنا وكانت قضية الجهاد الأولى على رأسها الشيخ عمر عبد الرحمن قد قُدمت، وأنا على رأس قضية الجهاد فكريًا. كنا نحاكم في الجلسة الأخيرة التي كانت ستُحجز للحكم، المرافعات كلها ترافع فيها الأستاذ مختار؛ حيث كنا ١٧٨ متهمًا، كان معي محمد شوقي الإسلامبولي والأخ حماد وغيرهم من الفطاحل، الأستاذ مختار كان يترافع عن ٦٠ - ٧٠ منهم وهذا هو القسم الأكبر، ولم يبق غير متهم واحد ترافع عنه الأستاذ عبد الله سليم. من المفارقات أن الحكم في قضية تنظيم الجهاد الكبيرة صدر وكنا مازلنا نحاكم وكان ذلك في ٩/٣ والشيخ عمر خرج في الشارع أثناء محاكمتنا، وإخوة من الذين أُفرج عنهم في قضية الجهاد الأولى انتظروا حضور محاكمتنا في نفس القاعة التي تمت محاكمتهم فيها؛ حيث خصص لهم في نفس القاعة أيام السبت والإثنين والأربعاء، ونحن أيام الأحد والثلاثاء والخميس، كان لي في كل جلسة كلمة ألقيها في بدايتها. وعندما جاءت جلسة محاكمتي والأستاذ محمد شوقي (رحمه الله) قمت لأقول كلمتي - كان الحكم في قضية الجهاد حكمًا علانيًا أمام المجموعة التي تم الإفراج عنها - فقال لي رئيس المحكمة: "إن النيابة عندها كلمة ستقولها ثم تقوم أنت لتقول كلمتك". المحامي العام وقتها كان المستشار عبد المجيد محمود فوقف وقال: "يؤجل نظر الدعوة إلى أجل غير مسمى وإخلاء سبيل المتهمين فورًا"، فذهلت لذلك وبعد

ذلك قال رئيس المحكمة: "يؤجل نظر الدعوة لأجل غير مسمى وإخلاء سبيل المتهمين من سراي المحكمة"، وكانت هذه سابقة لم تحدث من قبل. من وجهة نظري أرى أن أسباب الحكم التي وردت في قضية الجهاد الكبرى برئاسة المستشار عبد الفتاح محمد كانت صفعة على النظام، صفعة على النظام في التعذيب؛ لأنه أثبت أن هناك تعذيبًا وقع على المتهمين وأدان التعذيب والقائمين عليه، وطالب بمحاكمة الضباط، وأثبت أن الشريعة الإسلامية غير مطبقة وغاية هؤلاء المتهمين سامية قاموا لإعمال النص الدستوري لتطبيق الشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للدستور إلى آخر هذه المبادئ العظيمة الكبيرة جدًّا التي جاءت صفعة على النظام، وأن هذا سوف يتكرر في قضيتنا فرأى النظام أن يكتفي بالصفعة التي أخذها في قضية ٤٦٢.

أنا دخلت السجن وعندي مراجعات وخصوصًا بعد ما حدث من انشقاق بين الجماعة الإسلامية والجهاد، وأصبح هناك قبلي وبحري، فقلت أنا وفريق كبير ممن كانوا معي نحن على الحياد بين الفريقين. وكانت هناك مراجعات أخرى في ظروف مختلفة، فعلى سبيل المثال ونحن في سجن أبي زعبل كانت هناك مراجعات قد صدرت؛ حيث تكلمنا عن غزوة أحد والدروس المستفادة والهزيمة إلى آخر هذا الكلام، وكنا سنُضرب داخل السجن؛ حيث كان يوجد معنا عناصر متشددة، وللأسف هذه العناصر المتشددة جدًّا كانت هي أكثر العناصر تفريطًا بعد أن خرجت من السجن، أكثر المتطرفين يمينًا يكونون أكثر المتطرفين يسارًا، ومنذ خرجت من السجن عاهدت نفسي ألا أعمل إلا بالمحاماة وأن أجاهد من خلالها. رؤيتي أن الجهاد يمكن أن يكون من خلال الكلمة ومن خلال الدفاع عن المظلومين والمضطهدين خصوصًا أن الوحيد الذي كان إسلاميًّا من هيئة الدفاع هو الأستاذ مختار نوح، وكان في وقت محدد؛ لأنه أيضًا دخل السجن أعتقد بعدنا بسنة واحدة. خرجت من السجن وبدأت أبتعد عن أي أشياء تنظيمية تمامًا. كان في وقت من الأوقات من الممكن أن أعمل عملاً سيئًا، فليس من المعقول أن أعمل ذات العمل بعد أن كُشف أمري وأصبحت عنصرًا مستهدفًا، على الرغم من أنني لم أنخرط في أي تنظيم، واتفاقاتي مع سالم الرحال أو مع كرم زهدي كانت اتفاقات على أن نضرب على أشياء، هذه حقيقة لكن لم أتجاوزها ليس خوفًا من المصير أو الاعتقال، فأنا لم أُعتقل مرة واحدة فقط، وإنما اعتُقلت لمدة سنتين و ٨ أو ٩ أشهر، وبعدها اعتُقلت في عام ١٩٨٦م، واعتُقلت في عام ١٩٨٧م، واعتُقلت في عام ١٩٩٤م، ومازالت مفتوحة. لكن الموقف هنا أصبح واضحًا، بدأت تتحول قناعتي لكن أنا رؤيتي أن شباب الجماعات الإسلامية من الممكن الاستفادة منهم فلديهم استعداد للتغيير. كان من السهل أن أتركهم وأدخل

الإخوان المسلمين، والعروض كانت وفيرة من الإخوان عند خروجي من السجن، وكانوا من أوائل الناس الذين حاولوا تجنيدي، لكنني كنت أرى أن هذا الشباب يحتاج إلى من ينصحه ويكون بينهم وهذا أصعب، وحاولت داخل السجن وأيضًا بعد أن خرجت إلى أن جاء عام ١٩٩٣م.

شهد عام ١٩٩٣م محاولة بعض العلماء أن يصنعوا فريقًا ثالثًا بين الدولة وبين الجماعة الإسلامية في خضم أحداث العنف التي أصبحت دامية، فطرح الشيخ الغزالي والشيخ الشعراوي (رحمهما الله) عرضًا للتوسط بين الجماعات وبين الدولة وأرسلا في طلبي وذهبت إليهما وقابلت الشيخ محمد الغزالي، وقال لي: "أنت أدرى بهم منا ونريد أن تتوسط في هذا الموضوع". حضرت لقاءً واحد فقط في جمعية دكتور اسمه السيد الطويل (جمعية دعوة الحق) كان مؤتمرًا وليس اجتماعًا لهيئة. حضر الشيخ الغزالي والشيخ الشعراوي والأستاذ فهمي هويدي وعشرات من الصحفيين، نحن نتداول أمام الصحفيين ويُنشر في اليوم التالي على صفحات الجرائد، الحقيقة أني كنت مستاءً من هذا الطرح، الإعلام كان يصور الدولة في صورة أنها تتفاوض مع بعض أبنائها، كانت الطريقة التي تُدار بها تُمثِّل مساسًا بالدولة، والحقيقة أن الشيوعيين واليساريين والعلمانيين يبدو أنهم استغلوا ذلك واعتبروه فرصة. في نفس اليوم كنا قد ذهبنا للمقابلة الثالثة ولا أريد أن أقول أسماءً، ولكنها كانت مقابلة هامة وسمعنا في الإذاعة خبرًا عن اللقاءات، لذلك أرى أن المد الإعلامي والمعالجة الإعلامية في عام ١٩٩٣م هي التي أدت إلى فشل هذا، مؤكد أن هناك آخرين كانوا يلعبون دورًا من داخل السجن، فأنا شخصيًا تأثرت تأثرًا كبيرًا في هذا الخصوص. المهندس أبو العلا ماضي والدكتور كمال حبيب كان يتكلم في ذلك من داخل السجن، وطرحنا فكرة إمكانية العمل الحزبي، كانت هذه الفكرة صعبة لكنها صائبة رغم ما بها من عقبات كبيرة.

في عام ١٩٩٦م أثناء مرافعتي في إحدى قضايا تنظيم الجماعة الإسلامية طرحت فكرة لوقف العمليات المسلحة في مصر لمدة عامين، محاولة للتخفيف حتى يتجاوب الناس معنا، وقلت إن العدو الصهيوني يتربص بوطننا، وأوطاننا تتهادى بقوة وأن مبادئ الدعوة ضاعت ملامحها مع أصوات الرصاص ودوي المدافع وأشلاء القتلى ودمائهم، فطرحت وقف العمليات المسلحة لمدة عامين، أول رد فعل جاء على ذلك كان من الدكتور أيمن الظواهري، كان عبارة عن بيان "اتق الله يا منتصر ولا تثبط المجاهدين"، ولم تعلق الجماعة الإسلامية على ذلك، وأثبتُّ هذا البيان في المحكمة، ونشرته في مقالين بصحيفة الحياة في يومين متتالين؛ الأول وجَّهتُه إلى قيادات الداخل، والثاني وجَّهتُه

إلى قيادات الخارج وكان بهذا الشكل: "لأني دائما ما آخذ موقفًا قويًّا، وأعتقد أن الإنسان في النهاية يلزم وخصوصًا الداعية أن يكون بلا جبن، إنه يعزف على أوتار الجماهير وأسهل شيء للداعية أو الرمز أن يرضي الجماهير من أجل أن يصعد ويصبح داعية وزعيمًا وأميرًا، سهل جدًا أن أقول ما يرضي الناس لكن أنا من الناس الذين كانوا يرون غير ذلك، دور الداعية أو دور الرمز أو القيادي أنه يقوم بالتوعية وليس التضليل، لذلك أنا إذا كنت في مقام الشهادة أشهدُ الله ثم أشهدكم أن كل ما كنت أقوله لم أكن أقوله إلا من وحي الله سبحانه وتعالي ولإيماني بديني ثم إدراكي لأهمية استقرار وطني وحبًا لبلدي؛ لأني في فترة شبابي كنت أعتقد أن حب الوطن شيء من الجاهلية، إنما مع النضج أحسست أن جزءًا من تكويني الديني هو حب البلد، فكان لا يعنيني ما يمكن أن يطالني من الرزاز بقدر ما أنا أعمل ما أنا مقتنع به". كل هذا كان في إبريل ١٩٩٦م وأعقبته بمقالين في صحيفة الحياة في يومين متتاليين، رد أيمن الظواهري بالبيان، إخواننا في الجماعة الإسلامية صمتوا، وحسن الألفي وزير الداخلية في حينها قال بعد مرور أسبوع: "لا حوار معهم وأن هذه مناورة يصنعها محام" هذا ما نشر في الأهرام كموقف رسمي، وجاء هذا الرد المتأخر؛ لأن الحكومة كانت تدرس الموقف وتريد أن ترى رد الفعل، فعندما صدر بيان أيمن الظواهري وذكر فيه أن الحكومة مرتدة، وعدم الحوار مع الطاغين، وطرد الغزاة، فأصبح هناك حرج فجاء تصريح وزير الداخلية وانتهى الأمر على ذلك.

وأستطيع القول كواحد من هذا الجيل إننا كنا نستنفذ طاقاتنا في معارك وهمية كثيرة، ولم يكن هناك توجيه حقيقي، علمنا أنفسنا بأنفسنا وثقفنا أنفسنا بأنفسنا واجتهدنا بقدر ما كنا نريد الصواب، لكن لم يكن هناك تطبيق حقيقي، لم يكن هناك رعاية متكاملة، وكان هناك صدق والصدق من الممكن أن يدفع بالإنسان إلى الجموح. مع التدين وانتشار الصحوة الإسلامية كان ذلك يدفع بنا إلى الغلو في بعض المواقف، وكان هناك رسائل كثيرة لم تُحسَن قراءتها من النظامين (من نظام السادات ومن نظام حسني مبارك) وفي كلا الأمرين كان يستبد بنا الزمن بالقوة الوهمية، كان شعورنا بالقوة يجعلنا لا نصغي لهذه الرسائل. كان شعورنا بأننا قوة يجعلنا نتعامل كعمل سياسي مع بعض المواقف، وقد عانينا من ذلك واستنفذت طاقتنا، وسُجن من سُجن، وشُرِّد من شرد، وأصبح من الصعب الآن أن يأخذ البعض مواقف من المفترض أن تأخذها.

وخلاصة الأمر أنا مرجعيتي الإسلامية لا أتبرأ منها، ومشروعي الإسلامي أنا متمسك به وأطوره، مواقفي من حيث الوسائل والآليات والنظر إلى الآخرين هي التي تتطور.

أعتقد أن النظام يعرف هذه الرؤية وسهل عليه أن يعتقلني وخصوصًا أني ليس محكومًا بتنظيم، نعم الإخوان يعتقلونهم؛ لأنهم تنظيم حتى إن لم يفعلوا شيئًا، لكن أنا لا أنتمي لأي تنظيم وأفكاري تصب في اتجاه منع العنف.

شهادة مختار نوح

أي نوع من أنواع الشهادة من المفترض أنها تأريخ، وطالما الإنسان يتكلم عن التاريخ فهو لا يصف حاله كما هو وإنما كما كان. أنا أتكلم بعد مرور ٣٠ سنة تقريبًا أو ٢٥ سنة، فالإنسان حدثت فيه تغيرات كثيرة جدًّا تجعل ما أحكيه الآن هو من قبيل الرواية وليس من قُبَيل وصف الواقع، هذه نقطة هامة جدًّا. فأنا علاقتي بالحركة الإسلامية ظهرت مع نفس المنبع الذي ظهرت فيه حركة المظاهرات في سنة ١٩٧٣م في الجامعة و ١٩٧٤م و ١٩٧٢م، وكانت المظاهرات تأخذ الشكل الاشتراكي القوي، والدفاع عن حقوق الفقراء والكادحين، ودائمًا كان هتافها المفضل "حافظ بدوي حافظ بيه كيلو اللحمة بقى بجنيه"، كان الكيلو بـ ٦٠ قرشًا لكننا نقول ذلك من قبيل تشجيع الأفراد.

وكان أن ظهر في هذا الوقت الحركة الإسلامية والتقت الحركة الإسلامية بتيارات فكرية تقريبية. لكن كان هناك ثمة من يكتب في الحرية ومَن يكتب في الدفاع عن حقوق الكادحين، أنا كنت في الجامعة في ذلك الوقت منشغلاً بالفكر الاشتراكي، ولا أستطيع القول إنني من الاشتراكيين الأساسيين، لكنني كنت منشغلاً به، ولم أنسلخ عنه وكنت معجبًا بالحركة الاشتراكية جدًّا. وهناك فتاة تدعى سهام صبري كنا نعجب بنضالها جدًّا، ومعرفتي بها كانت معرفة عادية، وكانت النقاط التي نلتقي حولها: قضية رغيف الخبز، وقضية حقوق الإنسان والكرامة، وذلك عندما أتيت إلى القاهرة؛ حيث قضيت أول عامين في جامعة الإسكندرية، وكانت هي المظاهرة الوحيدة التي قمت بها في الإسكندرية في السنة الثانية، وكانت من أجل حقوق الطلبة، ولكن في السنة الثالثة كانت من أجل حقوق الدولة وحقوق الشعب، أي من أجل حق الشعب في أن يعيش حياة كريمة، فقد قمنا بتحديد الأهداف التي وضعناها، وكانت المظاهرات أقوى في كليات الهندسة لكنها كانت أعمق في كليات الحقوق، كانت أعمق بسبب الوفاء الذي كان بها وأشياء أخرى كتبناها، كل القضايا كانت قضايا المواطنين فقط.

وكانت هذه الفترة بداية الخداع فقد كان الرئيس السادات يجدد الخداع النظري، الكلام العذب المنمق، عصر الرفاهية، ونحن كنا نتصدى لهذا الخداع النظري، فكان التقائي معهم على هذا، ولم أنسلخ منهم ومثلي في ذلك وجدي إبراهيم، فقد حدثت بلورة لهذا الكلام مع الإيمان به، وظلت علاقتي بنفس الشخصيات موجودة في الكلية كذلك وفي النقابة أيضًا أمثال عبد الله خليل ومحمد منيب، كل هؤلاء علاقتي بهم مازالت قائمة، واستمرت وتعمقت بغض النظر عن الخلاف، من هذه الفكرة انبثقت فكرة الجمعية الدستورية التي فكرنا في إقامتها. لكن وزارة الداخلية رفضتها الأسبوع السابق وسوف نقدم فيها طعنًا، هذه الجمعية تقوم أيضًا على أن نتوحد جميعًا حول فكرة واحدة، هي فكرة الحرية، فقد انتقلنا مع بعضنا واستمررنا في حضور جلسات الشيخ إمام، وكان لي قريب اسمه محسن الخوات كان يساريًا صاحب تجربة ومؤلفًا وكاتبًا عظيمًا، وكان من الأشخاص الذين أحب الجلوس معهم، فقد كتب: "عاش اللي قال الكلمة بحكمة" وهي من أغانيه الميثاقية فهو يرى أنه كان يعبر عن أشياء وطنية، وكان مناضلاً طوال سني عمره، وهو خرج أو هرب من مصر إلى ليبيا مع المجموعة التي أسست "صوت مصر"، وقد عاد وأسس "الكلمة الحكمة" في الوقت المناسب. وبعد التناوب الفكري معه وحضور الحفلات شعرت أنه لا يوجد فرق كبير إذا كان هناك هدف، لا يوجد فرق كبير في العقيدة، ليس هناك صعوبة من أن تنظم حركتك مع اثنين يريدان الحصول على شيء واحد هو الحرية، بعد ذلك فإن المسائل الخلافية الأخرى - لو أن هناك سماحة وتسامحًا في الرأي - تستطيع أن تتناولها على مائدة مشتركة وتتوصل إلى نقاط تقريبية، لذلك أمضيت حياتي معهم، فليس معنى التحمس للإخوان أن أذكر أن هؤلاء كفرة. استمررتُ في حضور حفلات الشيخ إمام وأنا بهذه الحالة حتى أوائل الثمانينيات، أذكر أنني حضرت حفلتين، وحضرت حفلة في الإسكندرية في منزل أحد أقاربي اسمه محمود الخواتمي (رحمه الله)، وكانت بها مجموعة كبيرة جدًا من أصحاب الفكر استمرت علاقتي بهم إلى وقت قريب، فلم يحدث انسلاخ بل على العكس فهم معي حتى الآن، نتحدث ونتناقش في قضايا الوطن وأشياء أخرى.

وكنا معجبين جدًا بالشيخ إمام (رحمه الله) ومازلت حتى هذه اللحظة، وأيضًا الأستاذ أحمد فؤاد نجم، فالشيخ إمام كانت كل أغانيه كلمات أحمد فؤاد نجم وكان ذلك من الوعي حقيقة، ولذلك عندما حاولنا تكوين فرقة موسيقية الآن، مجموعة شباب من بلدنا أرادوا أن أشترك معهم في تكوينها، تم تكوينها على نمط الشيخ إمام، قلت لهم الكلمات التي تتحدث عن حقيقة حياتنا مثل غنوة مطلعها: "يا شهر بابا وقف الغلابة على كل باب" أي الكلام الذي يمس حياة الطبقة

الكادحة ولا يوجد تعارض في ذلك. والشيخ إمام كان دائمًا يقول أنا لست شيوعيًا، أنا عندي شريط مسجل بصوته، صوت جميل، كان قارئ درجة أولى وكان رجلاً على فهم. بغض النظر عن حياته الشخصية، فقد أيقظ في الأمة وعيًا، ولذلك لم يكن غريبًا أن الأستاذ رياض رزق يحضر معي بعض هذه الحفلات أو بالأحرى أنا الذي كنت أحضر معه، فالشيخ إمام حالة فريدة من حالات السجع، ولا أقول ذلك نظرًا لحبي للموسيقى والعود. كان يعبر عن انتقاده على سبيل المثال لفكرة تحالف قوى الشعب العاملة، ولا تستطيع القول إنه ناصري، كان يتحدث عن سخريته من تحالف قوى الشعب العاملة، الشعار الكبير الذي ليس له تطبيق، وأيضًا قال: "يعيش أهل بلدي وبينهم مفيش، تآلف يخلي التحالف يعيش، تعيش كل طائفة من الثانية خايفة.." وبعد ذلك يتحدث عن النضال الفعلي (جيفارا) وكل ما تسمعون عنه الآن، ابني أصبح مثلي حتى دون أن أقول له إن هذا هو الشيخ إمام، فقد وجدته واضعًا شرائط الشيخ إمام كلها على جهاز الكمبيوتر، وبعد ذلك وجدته يعزف ألحانه ويجمع أصدقاءه ويقفون في الأوبرا ويقومون بعزف أغانيه. كان كلام الشيخ إمام يقدر الحس الوطني، الخلاصة أن الشيخ إمام في هذا الوقت كان يمثل بالنسبة لنا وعيًا وليس مجرد غنوة نتغنى بها، كان نوعًا من أنواع الوعي، كان نوعًا من أنواع شرح القضية وشرح المعركة وشرح الخصم، فكنا نستمع لهذه الأغاني.

كنا منسجمين جدًا مع هذا الكلام وهذا الإطار الفكري، وكان يفيدنا هذه التحولات، وكنا نشارك في الحفلات الموسيقية بشتى صورها إلا أن هناك قصيدة للأستاذ عصام الغزالي في الحقيقة أثرت فيّ كثيرًا. والأستاذ عصام الغزالي شخص لم أقابله أو أره طوال عمري ولا أعرف أين هو، إنما دائمًا أقرأ له في كل مكان (ربنا سبحانه وتعالى يرزقني بمجلة فيها قصيدة لعصام الغزالي أذهب لشرائها) فهو شخص دائما يتكلم عن الحرية ويتكلم عن الإسلام لكن بالمفهوم الليبرالي والدفاع عن حقوق الإنسان، والدفاع عن حرية الإنسان وكرامة الانسان، وهذه النقاط لم تكن موجودة في كتب الفقه الإسلامي بكثرة. ونلاحظ أن العلماء والفقهاء وأيضًا الفقه السلفي (زوما) اهتموا كثيرًا بالتحدث في مسائل فقهية مثل فقه الصلاة والوضوء (المياه توصل لغاية الكعبين أم لا تصل)، اهتموا بحقائق متعلقة بالوضوء والصلاة وتركوا حقائق هي أشد قوة وأشد عمقًا وأشد تأثيرًا في حياة الإنسان مثل الحقائق المتعلقة بحقوق الإنسان وكرامته، حتى التاريخ الإسلامي لم تكن هذه النقاط بارزة فيه وحتى تاريخ الخلفاء – ليس كلهم نستطيع أن نقول عنهم خلفاءً راشدين ولا خلافة راشدة إنما هي الخلافة بصورة أو بأخري – كان هناك من اللحظات بها ارتباك شديد لحقوق الإنسان، هذه

النقاط كانت عقبة بين الإنسان وبين أن يؤمن بكل الأفكار على علتها. إلا أنه بصورة أو بأخرى وجدت القصيدة تتكلم عن حقوق الإنسان، وكان عنوانها "يعيش الإنسان" وأذكر منها أبيات كانت تقول:

يا شعبٌ خائفٌ... مَن تخشى؟ فعليك التفَّ الثعبان

خشبُ البوابةِ مسروقٌ ولصوصُ المنزلِ سكانهُ

إن الحرية لا تُعطى لا تلمس ثوبَ الغلبان.

كانت قصيدة ذات تأثير نفسي كبير، وبدأت أتابع المجلة التي كان ثمنها في ذلك الوقت قرش صاغ وتصدر تحت اسم (واإسلاماه) وأتابع هذه القصائد، وبدأنا ندرس من هذا المنظور الذي كنت مهتمًا به حتى وأنا طالب سنة ١٩٧٤م كنا نحضر قضايا الفنية العسكرية، وكنا نحضر قضايا الاشتراكيين، وكنا نحضر كل التحقيقات التي تتم مع الطلبة المعتقلين في ذلك الوقت. كان يلفت نظري جدًا قضية توافق الإنسان، كانت هذه النقطة هي التي ركَّز عليها عصر السبعينيات "انتهاك حقوق الإنسان في الستينيات" من أجل أن يُجعَل هناك حائل فكري بين الاشتراكيين والديمقراطيين من جهة، وبين عهد عبد الناصر من جهة أخرى كصورة من صور التحول الاشتراكي. سرعان ما تخرَّجنا في الكلية وبعد ذلك قُيِّدت في نقابة المحامين، شاركت في قضية الفنية العسكرية كمتفرج. أعجبت جدًا بمرافعات الدكتور عبد الله رشوان فقد كانت مرافعات تهتم بالجزء التاريخي أكثر ما تهتم بالجزء القانوني، وهي في الحقيقة بالرغم من أن القضية كانت قضية الفنية العسكرية فإن هذه إحدى القضايا التي كانت تُعبِّر عن الفكر الانقلابي بصفة عامة، إنه كان تنظيم إحدى روافد الفكر الجهادي وكان مؤسسه "صالح سرية" وكان هو المتهم الأول فيه وصدر عليه حكم بالإعدام، فالفكر الجهادي ظهر في مجموعات فلسطينية قبل أن يظهر في مصر؛ لأن في مصر الفكر الإسلامي كله مرتبط بحركة الإفراج عن المعتقلين في السجون.

خرجت كل الطوائف حتى شكري مصطفى خرج جاهزًا بفكرة التنظيم وبفكرة القتل، وحسن هلاوي سلسلة حياته كانت قاتمة؛ نظرًا لما تعرض له من تعذيب، المهم في هذا الوقت (وقت خروج الإسلاميين) كان منذ أيام الجامعة في الحركة الفلسطينية بعض الأفراد المؤمنين بالفكر الجهادي الإسلامي، ليس فقط سالم الرحال وليس صالح سرية فقط، فقد جاء تقريبًا عشرون أو ثلاثون شخصًا كانوا يحضرون الاجتماعات بمقر الحركة الفلسطينية هنا. كنت أراهم وأتعرف عليهم وأنا

في الجامعة، وهذا العدد كان صالح سرية على ارتباط به، وذكر عدة شخصيات منهم في التحقيق الذي أُجري معه. هذه المجموعة الفلسطينية أرادات أن تربط بين حركتها وحركة الإخوان المسلمين، زاروا الحاجة زينب، والحاجة زينب استمعت لهم جيدًا وكان بيتها مفتوحًا لكل الناس، ولكن في النهاية لم يجدوا عندها ما يرغبون فيه فخرجوا غاضبين، واختلفوا فيما بينهم (كانوا حوالي ٦ أو ٧ فلسطينين وكان معهم مصريون منهم طلال الأنصاري) على مصير الحركة، وكان التساؤل الذي يدور ما بينهم هو هل نربط أنفسنا بحركة الإخوان أم نرحل؟ لكن من تبقى منهم على مدى السنين – فقد سافر أغلبهم إلى دول أوروبا — هو صالح سرية، وقد كانت كل تجاربه مصدرها الأردن وفلسطين. في البداية كان حزب التحرير، وحزب التحرير نشأ في الأردن بين الفلسطينيين، وأيضًا تقي الدين النبهاني قيادي حزب التحرير من الأردن، ولذلك فأفكاره ورصيده الفكري كانت من الأردن حتى محمد سالم الرحال كان كذلك، لكن العملية سحبت منه رغم أنه جاء إلى هنا وابتدع هذه الفكرة لكن كل التكوينات الجهادية التي جاءت من بعده لم تأخذ منه شيئًا، وهو نفس ما حدث مع محمد سالم على الرغم من أنه في عام ١٩٧٩م كان يتنقل بين القرى والمدن، فقد ذهب إلى كفر الدوار وإلى المحمودية وإلى المنيا وإلى غيرها من الأماكن، كان يذهب إلى هذه الأماكن بهدف عمل تجمعات ولكن بمجرد انتهاء محمد سالم انتهى الفكر الجهادي، وعلى الرغم من أنه كان يعتبر نفسه هو الذي دعا عبود الزمر، وأنا لا أعرف حقيقة هذا إلا في التحقيقات، لكن الفكر الذي جاء بعد ذلك كان مختلفًا تمامًا عن فكره. فعلى سبيل المثال كانت الجماعة الإسلامية قد تبنت في حركة أسيوط فكرة الثورة الشعبية، بينما لم يكن عند محمد سالم فكرة الثورة الشعبية، لم تكن عندهم حرب العصابات فهم يرون أن الأساس لابد وأن يكون هناك انقلاب. لكن لم تنجح في الاستمرار ولا في التأثير.

إلا أن القضية أثارت كثيرًا من العواطف فقد كان في هذا الوقت هناك تعاطف مع القضايا المخالفة لأسلوب السادات في الحكم ليس للأمام لدرجة أن أغلب المترافعين كانوا من الاشتراكيين وكان بينهم ليبراليون كثيرون، لكن كلهم كانوا إما من الناصريين أو من الاشتراكيين التقليديين أو من الشيوعيين. وكان الغرض هو إظهار جرائم عصر السبعينيات من معتقلات وسجون، وإن كان في الحقيقة أقل فترة تم فيها اعتقال هي فترة السبعينيات خاصة حتى أحداث ٥ سبتمبر، نستطيع القول إنها فترة نموذجية في تاريخ مصر في عدد المعتقلات، لكنها ليست فترة نموذجية في قضايا الديمقراطية، أنا أتحدث عن عدد المعتقلين فقط.

قضية ١٩٧٤م بكل ما فيها من حديث عن الديمقراطية والكرامة استهوى الناس، حتى الخطبة التي قيلت من داخل الأسوار كان لها قيمتها، قيمتها في تحريك الهمم وتحويل الفكر، كانت نقطة تحول مهمة جدًا في حياة أي إنسان أنه يرى شخصًا يستقبل حكم الإعدام بخطاب سياسي. الأستاذ أحمد فؤاد نجم كان يصف لنا قتلة السادات وهم ذاهبون إلى السجن في إحدى الندوات في الكويت ويقول: "أنا لأول مرة أرى أناسًا يذهبون إلى حبل المشنقة وهم يبتسمون" هذا وصف الأستاذ أحمد فؤاد نجم، وهذا بالطبع يثير الإعجاب ويدفع الإنسان إلى أن يبحث في هذا المجال بعمق. مدخل الحرية هو المدخل الحقيقي للفكر الإسلامي الذي لم يكن منفتحًا على الآخرين في ذلك الوقت، فكانت الموجة الغالبة دراسة الفكر الإسلامي من الناحية السلفية أو من الناحية التقليدية (الأحكام الشرعية)، فأول كتاب يُعبِّر عن فكر متقدم أو مستنير كان كتاب الأستاذ القرضاوي في ذلك الوقت الذي نعتبره مجتهد عصره، فقد وصل إلى درجة الاجتهاد، وهذا الكتاب أثار ضجة كبيرة بين الناس؛ لأنه كان يتحدث عن الحلال والحرام وظهر في فترة السبعينيات، فلم يتصور الناس أن تتسع دائرة الحلال إلى هذا الحد. كان الإسلام يؤخذ بشدة وبتقليدية، لكن الخلاصة أن دخولنا من هذا الباب كان لابُدَّ أن ينعكس علينا فكان أول تعارف لنا.

كان في الفكر الذي يطلق عليه السلفية الجهادية، رفاعي سرور والشيخ عبد السماوي وهذه المجموعة، لكن الصلة كانت أكثر مع رفاعي سرور؛ فرفاعي سرور كان مرحلة هامة جدًا من حركات التكوين الفكري، كان له مجموعة كتب منها "عندما ترعى الذئاب الغنم". يؤمن بأن كل شيء في هذه الحركة أو في الواقع قدري، حتى في كتبه "قدر الدعوة" و"حكمة الدعوة" يتكلم عن فلسفة الدعوة وطريقة دعوة الآخر.

لكن في كتاب "عندما ترعى الذئاب الغنم" يتكلم عن قدرية الدعوة، يربط بين هبوط أو نزول أو وجود آدم وحواء على الأرض ونزول الشيطان معهما في معركة قدرية حقيقية، ما يحدث في العالم كله منبثق من هذه الواقعة، فكل ما يحدث على أرض الواقع يربطه بالشيطان؛ لأن الشيطان صاحب المعركة التي تحدث في إريتريا وأثيوبيا، وجند الله واحد هو آدم "فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ". وليس معنى أني لم أعد صاحبًا لرفاعي سرور أن آراءه أصبحت لا تعجبني بل على العكس فهناك جزء كبير من آراء رفاعي على المستوى الإسلامي وأنا مؤمن بها ومقتنع بها جدًا، ولكن ليس كل شيء يدفع الإنسان ليسير في الطريق هو الإقناع بالكلام "الفلسفة"، فلسفته

الرائعة في وحدة الوجود الإنساني، ووحدة القضية ووحدة المعركة، حتى إنه مثلاً يقول في ذلك: "إن من الأدوات التي يستخدمها الشيطان (المرأة)" لماذا المرأة؟ يقول لك خلق قضية المرأة، ليس معناه أنه يريد المرأة أن تظل رجعية لا، يقول لك إن الشيطان يتجاوز قضية حرية المرأة بالعقل البشري إلى قضية تعرية المرأة، الرجل يتجاوز حدود الحرية إلى أن يصل لدرجة التحلل، هو استخدم الرجل والمرأة في قضيتين ظاهرهما جيد لكنه ذهب بهما إلى مستوى أبعد. وبالتالي تستطيع أن تقول إن كل كتبه وكل أفكاره تنصب على وحدة الفكرة الإسلامية من أول النزول (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) تظل هذه العداوة قائمة كسنة في جميع الأفعال، الحروب تستطيع تفسيرها على هذا الأساس، هذا مضمون كتاب "عندما ترعى الذئاب الغنم"، فقد استدل بحديث في المراجع والكتب القديمة وفي بداية ونهاية أن الرسول ﷺ حكى للناس، و قال لهم: "بينما راع يرعى الغنم خرج منها واحد فأخذ في إثره يطلبه وكان الذئب على إثره، كان الذئب سوف يأكله فأمسك بغنمه وعاد، فقال له الذئب: "استنقذتها مني الآن، فمن لها يوم السبق يوم لا راعي لها غيري؟"، إن الذئب يقول للراعي أنه في يوم من الأيام سوف أرعى أنا غنمك وحينها أنا الذي سأوجهها. فقال الصحابة: سبحان الله ذئب يتكلم فقال لهم مَن يؤمن بهذا؟ سكتوا، فقال أنا أؤمن بهذا وأبو بكر وعمر. من خلال هذه الرواية يتبين أن المعركة مستمرة وأنه في النهاية الشيطان سيُهزم على أيدي الفئة التي قال عنها الرسول ﷺ، كل الأحداث التاريخية تُفسر هذا الكلام. أما عن فكرة السياسة فله فلسفة أنه ينبغي تواجد الفئة الصحيحة والتمكين دون سبب بشري، ومن قدر التمكين أن يتم على قدر الإثبات، أثبت نفسك على المنهاج يحدث التمكين حتى دون سبب بشري — هذا رأيه - لكن أنت عندما تجلس معه تشعر أنك تجلس مع فيلسوف كبير، فهو عاش حياته بمفرده في بيته يصلي الفروض ولكنه طاقة فكرية وقدرة عقلية لم تُستَغَلّ. هذه الكتب كلها ظهرت في أواخر السبعينيات و كان لها أثر كبير جدًّا في تكوين جيل كامل، وصل اهتمام هذا الجيل أن هذه الكتب كانت تُباع بالتداول.

استمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات كاملة وهي بحث الإنسان عن نفسه، نهتم فيها بكيفية عمل المعجزة التطبيقية بين ما يؤمن به الإنسان وبين الواقع فكنا نريد تطبيق الفكر، لكن لم تكن الحركة الإسلامية في ذلك الوقت منشغلة إطلاقًا بقضية حقوق الإنسان، ولذلك لم يجد الإنسان نفسه في هذا الفكر، ولم أجد أنا شخصيًّا نفسي في هذا الفكر، وليس معنى هذا أن فكري خاطئ أبدًا، كان

هناك فكر وكل إنسان يعمل على قدر اجتهاده، إنما لأن الجانب المتعلق بالإنسان وكرامة الإنسان لم يأخذ منا كثيرًا من الوقت، أيضًا عنصر استيعاب الآخر لم يكن موجودًا بل العكس كانت المناظرات تأخذ شكلاً عنيفًا بعض الشيء، صحيح ليس هذا هو الطابع العام لكن أتكلم عن الطابع العام للمجتمع الذي عايشته وليس الطابع العام للحركة الإسلامية. كان في ذلك الوقت الإخوان موجودون لكن علاقتنا بالإخوان كانت بسيطة؛ لأن الإخوان لم يكونوا موجودين في هذه المناطق العشوائية. أنا نشأت في منطقة حلمية الزيتون، وهي منطقة تعتبر من مناطق الفقراء الكادحين، قريبة منها منطقة المطرية وقريبة منها منطقة العرب أيضًا، مناطق ليس بها رفاهية. فهذه المناطق العشوائية هي التي ساعدت أيضًا على ظهور انتماء إسلامي عشوائي عصبي، حتى عندما كانت تتم مناظرة بين شخص وآخر في مسجد تتحول إلى مشاجرة، وكان البعض يرفض أن يصلي خلف البعض لمجرد أن هذا الرجل له مؤلفات في موضوع معين، الناسخ والمنسوخ على سبيل المثال، فيقول هذا الرجل من قال الناسخ والمنسوخ فلن نصلي وراءه.

العملية النقدية مهمة جدًّا، فأنا أعتبر الحركة الإسلامية الآن لا تحتاج إلا العملية النقدية؛ لأن المفترض أن تطور نفسها إذا كانت حقًّا تريد أن تستعيد مكانتها في قيادة العالم، فلابد أن تكون العملية النقدية هي الأساس وليس عملية البروزة. كانت الحركة الإسلامية في ذلك الوقت مهتمة جدًّا بمسألة الاستحواذ الفكري، الفلسفة التقليدية التي تقوم على الاتباع النظري والالتزام بالمتن كما هو، ولذلك أنا أعتبر أن أهم وأكبر الحركات في ذلك الوقت - ومازالت - هي الحركة السلفية التقليدية، التي تهتم بالنصوص وبتفسيرها كما هي، والاجتهاد عندها قليل والتكفير قليل والاهتمام بقضايا حقوق الإنسان قليل، ومن هنا كانت النظرة لعملية المحاماة ذاتها، بعد أن تخرجت حينما استشرت البعض وافق صديق على أن أُعيِّن مثلاً في جهاز خطير جدًّا بدلاً من العمل في المحاماة، فقد قال لي لا تعمل في المحاماة فسألته لماذا؟ قال لي إنها مهنة غير شرعية، وكان من أول البحوث الرائعة في هذا الموضوع بحث للدكتور عبد الله رشوان وبحث آخر للدكتور توفيق الشاوي في المحاماة، أنا أخذت هذين البحثين وأكملت عليهما بحثًا ثالثًا في المحاماة بعنوان "وكالة الخصومة" التي هي عين العمل الشرعي. أظهرت اللغويات حينها أن العمل في الضرائب خطأ، وأن العمل في المحاماة خطأ وهكذا. لم أجد في الفكر التقليدي السلفي ما يعين على استيعاب قضايا حقوق الإنسان لمدة سنوات طويلة، كنا نبحث في هذا الموضوع وكنا نهتم. انحصر التعديل عن إيماني

بفكر الإنسان في مجرد حضور الجلسات، مجرد حضور التحقيقات لكن لم يتبلور إلى واقع أو تكوين جيل أو إضافة للفكر الإسلامي من زاوية حقوق الإنسان، لم يحدث ذلك.

كنا نحضر فقط ونتواجد في النيابة نحضر مع المهندس أبي العلا على سبيل المثال، كان تعارفًا طيبًا، فقد كان طالبًا وأنا كنت موجودًا وأذكر هذا اليوم؛ حيث كانت النيابة في شارع زكي وهو شارع ضيق ومزدحم، فكان من الممكن أن تتواجد سيارات الشرطة به بسهولة؛ لأن عدد المعتقلين كان بسيطًا، ويسجنون لمدة ومَن يُفرج عنه يخرج. عندما تطور الأمر وازدهرت الحركة الاعتقالية نُقلت النيابة إلى الجبل الأخضر حيث الصحراء الواسعة، إلا أن مقام المبنى نفسه كان متواضعًا لا يليق بمقام أمن الدولة، فالمبنى كان في البداية لنيابة المخدرات، ونُقل بعد ذلك إلى مصر الجديدة في مبنى فخم جدًّا معدٍّ، رغم أن هناك حركة اختناق لكن حجم المساحة التي أمامها كانت مخصصة لسيارات الشرطة. اهتممنا بحركة حقوق الإنسان التطبيقية فحضرت كل القضايا التي عرضت في ساحات القضاء بلا استثناء ولا أتذكر قضية لم أحضرها أو موضوعًا تركته حتى عام ١٩٩٩م، حتى قضايا تنظيم الطلائع التي أمام القضاء كانوا أربع أو خمس قضايا، اخترت واحدة منهما فقط حضرتها؛ لأنها كانت تُعرَض في أوقات متقاربة وفي وقت واحد، حتى قضايا الشيعة وقضايا الاختلاق وقضايا القرآنيين. حضرت كل الجماعات والأفكار واستطعت أن أحصر في الفكر الإسلامي تشوهات تصل إلى وجود ٨٦ تنظيمًا في عام واحد، ٨٦ تنظيمًا مشوه الفكر، ومن هذه التنظيمات تنظيم في مدرسة ثانوية اسمه تنظيم أشرف وهو معروف في الإسكندرية كان طالبًا في الثانوية، وكوَّن جماعة حقيقية من طلبة الثانوي في مدرسة السعيدية تتخذ قرارات وترتكب أفعالاً، وسنده في ذلك آية من الكتاب. قضايا كثيرة جدًّا كانت كلها قضايا تدور حول أشياء كثيرة، لم تكن قضايا ذات فكر عميق فيما عدا قضية حزب التحرير وقضية تنظيم الشيعة، فقط كانوا أصحاب فكر عميق ومرجعية، بالإضافة إلى بعض قضايا التجمعات الإسلامية السرية. لكن غير ذلك حصرنا أكثر من ٨٥ – ٨٦ تنظيمًا مصابًا بتشوهات فكرية في الفترة من عام ١٩٧٦م إلى عام ١٩٧٩م، هذا جعلني أراجع طريقة العمل والتفكير في هذه التجمعات العشوائية وأيضًا طريقة تفكيره هو شخصيًّا ؛ لأنه عشوائي نشأ في بيئة عشوائية ونشأ مع جماعة عشوائيين فأصبح فكره يتمتع بذات العشوائية.

وأذكر من ضمن التجمعات التي دافعت عنها مجموعة كانت في الجزيرة عند منتصر في أسوان، وهذه المجموعة أيضًا من التنظيمات العشوائية في التفكير كان كل هدفها ضرب السائحين في الجزيرة في أسوان في عام ١٩٧٩م.

هذه كانت كلها إرهاصات لتنظيم الجهاد الأول سنة ١٩٧٩م، وتنظيم الجهاد الأول كان تنظيمًا كما وصفه الأستاذ المستشار عبد الفتاح محمد سنة ١٩٨٣م في حكمه التاريخي بأنه لم تكن وزارة الداخلية ولا الإدارات المصرية على علم به ولا بشيء من هذا لا قبل القضية ولا بعدها، وقال ذلك بصراحة وطلب محاكمة الضباط؛ لأن كل المعلومات أخذوها بعد القضية بالتعذيب، وكان هذا كما أعتقد في أكتوبر، وكانت هذه القضية من القضايا المفتعلة، التي كان فيها مصدر حيث اعتمدت فيها الداخلية على مصدر يثبت التنظيم، وكانت الداخلية لأول مرة في ١٩٧٩م تتسم بالذكاء الشديد. وتتسم باحترام الحريات، حتى في هذه القضية يُذكر أن حجم ونسبة مخالفة قواعد حقوق الإنسان لا تزيد عن ٥ - ٦٪، (من ١١٤ متهمًا ٦ -٧) هم من تعرضوا للتعذيب الشديد. كما أنه حدث في هذه القضية أن قتل ضباط مقدمًا وهذا الضابط قتل الذي قتله، فقد كانوا ذاهبين لإلقاء القبض على شخص اسمه عادل المغربي في ترب المندرة بالإسكندرية واستخدمت الشرطة القوة دون أمر، وأطلقت عليه الرصاص (١١ رصاصة) فمات متأثرًا بالرصاص وهو على فراشه، وعند حصرهم خسائر المعركة وجدوا أن هذه المجموعة قتلت أيضًا مقدمًا أعتقد اسمه نبيل. حل الرئيس السادات هذه المشكلة سنة ١٩٧٩م بأنه وقف في البرلمان ووجه الشكر للنبوي إسماعيل وأغلق القضية تمامًا بكل ما فيها؛ لأنه كان لا يريد حدوث مشاكل في هذا الوقت. في قضية الجهاد سنة ١٩٧٩م الذين تعرضوا للتعذيب ستة أذكر منهم: محمد إسماعيل وعنتر عبد الصمد قطب وكمال عبد الحميد فياض. يمكن حصر جميع أسمائهم عند الرجوع إلى أوراق القضية، لكن هذه كانت نقطة تحول في طريقة تفكيري، هذه القضية كانت هي الأساس الذي كان لابد أن يبني عليها أي شخص كل تحليلاته السياسية في ذلك الوقت، حب الشباب للتغيير، الحب غير المنظم، احتياجهم للقائد الراشد. الفكرة تعرض بطريقة ساذجة جدًا باستغلال حماس ٢٠—٣٠ شخصًا فيُعرض عليهم قلب نظام الحكم وأخذ قنابل من الجيش وعمل أفكار. تعرفت على الأستاذ منتصر منذ هذه الفترة؛ حيث كان أحد المتهمين حتى سنة ١٩٨٥م في قضايا من هذه النوعيات.

في قضية ١٩٧٩م كان أول نواة لتنظيم الجهاد،١١٤ متهمًا، وكان المصدر فيها اسمه محمد عبد القوي، هذا المصدر طلبت منه المباحث أن يحمل قنابل ويتواجد بها في مكان معين، وهذه الاعترافات مُسجلة بمحاضر رسمية للتاريخ. وجدت أن هذا الموضوع في منتهى السذاجة ويتم في إطار ساذج وهناك تنظيمات كثيرة، حزب الله في الإسكندرية، وتنظيم أحمد طلعت، كل خمسين فردًا يستطيعون أن يكونوا تنظيمًا، حتى طريقة العرض أن ناسًا يضحون بحياتهم في أهداف لا

يعرفون مدى شرعيتها، ومدى الأسلوب الذي يتم به لتحقيقها. كانت المراجع جديرة بهذا الموضوع، جمعت كل القضايا وعملت دراسة فكرية لها، قضية مثل قضية أحمد حسن في تنظيم اسمه تنظيم أحمد حسن، فالداخلية كانت تعتمد على أسلوب علمي – من وجهة نظرهم وليس من وجهة نظري – وكانت تدعي أنها تعرف أن عندهم قنابل وأنها تريد أن تقبض عليهم، فكانوا يرون أنه ليس أمامهم إلا أن يتفقوا مع أحد الأشخاص ويدخلوه بالقنابل. أسلوب علمي للضبط والتحضير للقضية لكن لا يوجد أسلوب علمي في العلاج والمبادرة وملاحظة الظاهرة التي تنتشر.

ولو قمت بعرض هذه القضايا من سجلات النيابة أو إذا أراد أحد أن يقوم بعمل حصر لهذه القضايا يجد أنه في شهر واحد (مايو) يوجد ٥٠٠ قضية في نيابة أمن الدولة وهذا رقم رهيب، مما يدل على أن الأمر أصبح ظاهرة اجتماعية. وكان قبل ذلك عندما تعرض قضايا تصل إلى ٣٠٠ قضية في السنة كلها يكون أمرًا مقبولاً، وكان ضمن هذه القضايا قضايا الرشوة وقضايا أخرى كثيرة. أما في هذا الوقت فلم نكن قد وصلنا إلى نصف العام ولكن القضايا وصلت إلى ٥٠٠ قضية، وفي حصر آخر تصل إلى ٦٤٢ قضية وكنا لا نزال في شهر مايو. وقد أزعجني هذا الشكل المتطور، والطريقة التي كان يتم بها معالجة الأمور كانت شكلاً ساذجًا جدًّا، فبدأت حوارًا مع الإخوة الموجودين في قضية الجهاد وبدأت أفهم الأمور، فمجرد القبض على شخص في مدينة البحيرة يتم على إثره جمع أكثر من ٤٠ آخرين من البحيرة في قضية التنظيم، والشخص عرض عليهم ببساطة كيف يتم قلب نظام الحكم، يتم قلب نظام الحكم بالانقلاب أو بالثورة الشعبية، والانقلاب يكون من خلال كذا وكذا، ويكون هناك أحد الأشخاص موجودًا يسجل كل شيء ثم يقدمون القضية للرئيس السادات الذي كان حريصًا حينها على ألا يحدث ذلك، حتى الموضوعات التي كانت تسحب منه كانت موضوعات تعد على الأصابع، وذلك حتى ٥ سبتمبر ١٩٨١م، هذا كله حقيقة ولكننا لا نستطيع حصر ١٥٠ معتقلاً في العشر سنوات التي تولى فيها الرئيس السادات الحكم، وهذه شهادة للتاريخ وليس حبًّا في السادات. السبب الحقيقي في ضياع النظرية الأمنية هو الجهالة التي كان عليها فؤاد علام والنبوي إسماعيل في ذلك الوقت وعدم علمهم بدراسة الظواهر الاجتماعية والاهتمام بها، كانوا مهتمين فقط بمنصبهم وتقديم التقارير الخادعة وكانت الظواهر تتنامى أمامهم وكانت تستحق الدراسة، خرجت بهذا كله سنة ١٩٧٩م، بانتهاء قضية الجهاد رقم ٦٨٧ في شهر أكتوبر، وحفظها كانت نقطة تحول كبيرة جدًّا.

بدأ التعذيب في المرات الشاذة في قضية جاسوس إيراني اسمه الأول لا أذكره "فلاح كدب"، ففي هذه القضية كان هناك ضابط أمن دولة هو طارق عليوة ابن اللواء عليوة زاهر وكان ضابطًا معينًا حديثًا، وقام بإطفاء السجائر في جسد هذا الإيراني، وكانت هذه هي أول قضية أترافع فيها من جانب واحد أو من زاوية واحدة وهي زاوية حقوق الإنسان فهذا لم يكن جاسوسًا إنما كان إيرانيًّا قادمًا من إيران، جاء ليرسم خريطة فكرية لمصر لمعرفة إمكانية تصدير الثورة وإمكانية التعاون بين الثورة الإيرانية ومصر. وهذه الخريطة الفكرية اضطروا إلى أن يضيفوا لها خريطة مساحية من باب التزوير، هذا الإيراني جاء بخريطة فكرية، يتكلم عن إمكانية اقتناع الآخرين بهذا الفكر وإمكانية التقارب بين الفكر الثوري الإيراني وبين الفكر الثوري المصري وإمكانية ترشيده، هذا الرجل شاهدناه في التلفزيون وكان أنيقًا جدًّا، واكتُشِف في التحقيقات — التي كان رئيسها في ذلك الوقت المستشار سيد الخشن (رحمه الله) — أن جسده مليء بأعقاب السجائر فحوله على الطب الشرعي الذي أثبت أن جسده مليء بالكهرباء وبأعقاب السجائر، واتهم فيها الملازم أول طارق عليوة زاهر وكان ابن مدير أمن الدولة في ذلك الوقت.

ومن هنا بدأنا نركز نشاطنا في جانب حقوق الإنسان ونضعه موضع التنفيذ، وكان الأستاذ نبيل هلالي في ذلك الوقت هو شيخ المهتمين بحقوق الإنسان فكان هو مَن وضع الطريق الذي سلكته. ونبيل هلالي كان ماركسيًّا، ولكننا كنا نطلق عليه قديس الشيوعيين، وكان ذلك في الحقيقة؛ لأنه كان رجلاً يتطابق قوله مع فعله فكان رجلاً مذهلاً بكل المقاييس فعرضت عليه الأمر، وقلت له: "لماذا استُخدم هذا الكم من التعذيب في هذه القضية؟" فبرر ذلك بالعداء الشديد بين السادات والخوميني، وتحدثت معه لأول مرة في حركة قومية تناهض هذا الأسلوب.

كان هذا هو المدخل للعمل في مجال حقوق الإنسان داخل نقابة المحامين في سنة ١٩٧٩م، ومع بداية النشاط داخل لجنة حقوق الإنسان أو لجنة الحريات داخل نقابة المحامين، ومع توظيف الأستاذ أحمد نبيل هلالي ولإمكانياته وطاقاته في ذلك الوقت، كانت حالة تبنٍّ كاملة، بالمناسبة كان في ذلك الوقت في نقابة المحامين توجد حالة تسمى "التبني"، وهي لم تعد موجودة الآن، كنت أذهب للأستاذ عبد العزيز الشوربجي وفي هذا الوقت كان ضعيف النظر كنت أقرأ له قضية تنظيم الجهاد وهو يملي خطة الدفاع وكيفية النقاط، وكنت أجلس معه ليلاً نهارًا ونتناول معًا الغداء حتى ينتهي الموضوع، ويقول لك انطلق، ويرسل معك شخصًا يشاهدك كيف تترافع. الأستاذ نبيل هلالي قام

بنفس الشيء معي، في البداية عرفني على منظمة العفو الدولية تعريفًا مباشرًا ليس مجرد عضوية يرسلون إليك أوراقًا فقط بل كعنصر نشط في منظمة العفو الدولية، وجاءت المنظمة بصحبته إلى مكتبي وتعارفنا وبدأنا نعمل بطريقة أخرى. لم يكن دوري أن أكون مراقبًا لكنني قمت بهذا الدور بعد ذلك؛ لأن العمل كمراقب كان مسألة كبيرة تستلزم السفر للخارج والكتابة في منطقة غير منطقتك، لكن هم اعتبروا في ذلك الوقت أن الأستاذ نبيل هلالي تقديمه لي تعتبر أساسًا في أخذ تصور كامل عن وضع حقوق الإنسان في مصر.

بدأنا في بلورة العمل المتعلق بحقوق الإنسان في داخل نقابة المحامين إلى أن تعرفت في عام ١٩٧٩م بالأستاذ عمر التلمساني في أحد اللقاءات بمكتبه بشارع التوفيقية. كان الأستاذ عمر التلمساني في ذلك الوقت رجلاً متفتحًا جدًا، كان محاميًا من المحامين الذين ينطبق القول منه على العمل مثل الأستاذ نبيل هلالي، وكان مشهورًا بالبالطو الذي كان كثيرًا ما يرتديه، وكان رجلاً له نظام لا يغيره فلو أنك قلت لي إنه سيذهب إلى مكان محدد أقول لك ماذا سيرتدي وماذا سيركب وهكذا. ومن الأمور الظريفة أنه كان يوجد وفد سوداني في مصر، وطلب أن يقابل الأستاذ عمر فعندما أخذتهم لمقابلته كانوا لا يصدقون أنفسهم، إنهم ذاهبون إلى منزل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين؛ فقد كان رجلاً مختلفًا في طريقة تفكيره، مختلفًا في مبادئه عن أية شخصية من الممكن أن تقابلها في حياتك، كان رجلاً متطورًا يهتم جدًا بالدفاع عن حقوق الإنسان وقضايا التعامل مع الآخر. فقد كان في الحقيقة مدرسة في التعامل مع الآخر والانفتاح على الغير، وكان من ضمن من انفتح عليهم الأستاذ التلمساني شخصي المتواضع، وكان ذلك في لقاء كان قد دعاني إليه في منزله بالتوفيقية، وكنا نجلس حوالي عشرين شخصًا وأنا لا أعرف الكثيرين منهم، وكان من بينهم الأستاذ محمد أبو العينين من الإسماعيلية، كانوا شخصيات معدودة. وبعد أن فتح باب النقاش لكل واحد طلب مني أن أتحدث في مشكلة نقابة المحامين، وكانت نقابة المحامين حينها تعاني من انقسام ليبرالي كبير جدًا والأستاذ أحمد الخواجة كان له فريق، وكانت النقابة لم تتوحد إلا بعد اعتداء الرئيس السادات عليها وإصدار قرار بقانون عُيِّن فيه جمال العطيفي نقيبًا بالتعيين، فتوحدت النقابة، وكتب الدكتور محمد عصفور (رحمه الله) عريضة الدعوة للطعن فيها أمام المحكمة الدستورية على هذا القرار، فتوحدت النقابة في أوائل الثمانينيات بعد أن كانت متفرقة في أواخر السبعينيات؛ حيث صدر حكم تاريخي من المحكمة الدستورية، ومن الغرائب أن الذي أصدر الحكم في هذا الوقت كان المستشار فاروق سيف النصر وهو الذي فرض الحراسة على نقابة المحامين، رغم أنه قال في حكمه

التاريخي: "إنه لا يجوز أن تفرض حراسة على النقابات ولا أن يتدخل أحد في إدارتها وإن صاحب الوصاية الوحيد عليها هو الجمعية العمومية". لكن في ذلك الوقت توحدت نقابة المحامين لمدة سنتين أو ثلاث فقط إلى أن تمت انتخابات ١٩٨٤م، فتفرقت ليس تفرقًا إنما اختلاف بيني جذري يصل الأمر فيه إلى الشقاق، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك مكان للفكر الإسلامي داخل نقابة المحامين يُعبر عن وجهة نظر الزاوية الإسلامية فلم يكن استحواذًا مقصودًا، إنما الاستحواذ في ذلك الوقت جاء نتيجة عدم رغبة الآخر في تمكين الفكر الإسلامي من أن يأخذ دوره.

كان الأستاذ أحمد الخواجة (رحمه الله) نقابيًا عبقريًا، حريصًا على أن يضع في كل مجلس نقابة ممثلاً لكل جماعة ولكل فكر، فكان يضع للتيار الإسلامي الأستاذ محمد المسيري، ويضع للتيار المسيحي الأستاذ إسحاق أو الأستاذ فهمي ناشد، لكن عندما يأتي للتيار الليبرالي يفلت منه الرقم فيصبح ٩ أو ١٠ وبعد ذلك يضم لهم ثلاثة أو أربعة من الخارج فيصبحون أغلبية ويبدأ في تشكيل مجلس، ويستبعد ويستقبل وتبدأ الخلافات. ماذا عن دور التيار الإسلامي هنا؟ هذا كان موضوع الندوة، أعتقد بنفس هذا الشكل جلسنا في حجرة الأستاذ عمر التلمساني نناقش دور التيار الإسلامي في هذه الخلافات فلابد أن يكون له وجهة نظره، لم يكن مسموحًا في هذا الوقت أن يكون هناك أكثر من الحدود التي تُرسم، فكان لابد من تكوين جيل على فهم ووعي قادر على خلط نظريته الخاصة في الإيمان بالحرية والإيمان بالديمقراطية في نسيج واحد في نقابة المحامين. والتجربة كان لها سلبيات بالطبع فلم تتحقق كل الأهداف المرجوة لكن في النهاية كانت بداية جيدة وكان تطورًا فكريًا معقولاً جدًا نبدأ به العمل. الأستاذ عمر التلمساني عندما بدأنا نتكلم عن بعض السلبيات في بعض الأشياء استوقفني وطلب مني بحدة ألا أكمل الحديث وطلب مني زيارته في منزله، وعندما ذهبت إليه قال لي: "أنت بتتكلم براحتك إزاي؟" نصف الحاضرين كانوا من أمن الدولة وهو الذي أرسلهم فقد دعوت سبعة أفراد فقط فجاء أكثر من عشرين. وقال لي: "نحن نريد أن نشق طريقنا بهدوء وتروٍّ ونفهم الذي يدور حولنا". وكانت علاقة الأستاذ عمر التلمساني بالأستاذ أحمد الخواجة علاقة وثيقة جدًا ونظيفة، وعلاقة الأستاذ أحمد الخواجة بالجميع كانت تتسم بالاستيعاب، أقول بالذكاء الشديد لذلك كانت المدرسة الكبيرة التي تخرجت فيها، تستطيع أن تأخذ المزيج الإسلامي النقي من الأستاذ عمر التلمساني، وتأخذ التطبيق الفعلي للتجارب والذكاء السياسي من الأستاذ أحمد الخواجة، تستطيع أن تأخذ من كل واحد صفة، لكن تأخذ من الأستاذ أحمد الخواجة مدرسة كاملة في العمل النقابي، فالأستاذ أحمد الخواجة على

سبيل المثال أراد أن يجامل الأستاذ عمر التلمساني؛ حيث كان معاش الأستاذ عمر التلمساني ٧٦ جنيهًا فقط، فأنا عندما دخلت المجلس أخذت ملف الأستاذ عمر التلمساني بناءً على طلب الأستاذ أحمد الخواجة؛ لكي يضيف إلى هذا المعاش رقمًا آخر أي ٢٠ أو ٣٠ جنيهًا ونسميه قرارًا استثنائيًّا، فعندما علم الأستاذ عمر التلمساني قال لي: "أنت تريد أن تبدأ حياتك النقابية باستثناء إذًا سوف تنهيها برشوة، قال لي: استثناء لماذا؟ ولماذا عمر التلمساني؟" وكان الأستاذ عمر التلمساني يعيش على ما يحصل عليه من معاش، حتى إننا عندما ذهبنا إليه — أنا والوفد السوداني — قدم لنا أكوابًا بلاستيكية لدرجة أن الوفد عندما رأوا هذا التصرف تعجبوا، فقلت لهم إن هذه هي طباعه وإنه لا يفعل ذلك ليقول الناس عنه إنه متواضع.

من هنا كان المدخل إلى فكر الإخوان المسلمين، لم يكن ذات الفكر نصوصه، عندما تقرأ كلام الأستاذ الإمام حسن البنا تجده كلامًا رائعًا لكن في لحظة من اللحظات لا تجد له تطبيقًا، تجد كلامًا في التجرد وفي الثقة كلامًا رائعًا لكن لا تجد له تطبيقًا وحينها سوف تضطر أن تؤمن بكتاب تاريخي وتقول أنا مؤمن بهذا الكتاب. لا تستطيع أن تقول أنا مؤمن بهذا العمل ما لم يتحول هذا الفكر إلى مجموعة تطبيقية حقيقية، لن تؤمن به وسيظل فكرًا في ذهنك مثل أي فكر تقرؤه، مثلما تقرأ لرشيد رضا ومثلما تقرأ للإمام محمد عبده وغيرهم، سيصبح فكرًا أنت مؤمن به، لكن إذا تبلور أو إذا تحول هذا الفكر المتجرد إلى واقع متمثل في شخص مثلما نقرأ عن الديمقراطية الآن، بينما ٩٠ ٪ من الأحزاب الموجودة أعتقد لا تمارس الديمقراطية فيما بينها. تصبح النظرية عبارة عن صديق لك تأخذه معك إلى المنزل تجلس معه تكلمه وتناجيه لكن في الواقع التطبيقي لن تجده. نفس الأمر كان الأستاذ عمر التلمساني هو البداية الحقيقية لحركة الإخوان المسلمين في السبعينيات بعدما أنهكت قوتها في السجون وبعدما استغرقتها الأحداث ولدت مرة أخرى من جديد على يد الأستاذ عمر التلمساني تطبيقًا مجردًا، الذي كان يسب ولا ينفعل وفي نفس الوقت كان رجلاً متفتحًا ومحبًّا للموسيقى وكان لديه عود ويتكلم عن الموسيقى والألحان، وعندما كنت أسافر معه كان يجيد الضحك وفن الدعابة المتزنة، فهو شخصية مبهرة بكل المقاييس وصل إعجابي به لدرجة أنه عندما دعاني لمنزله طلب مني عدم إخبار أحد بذلك، ومن فرط سعادتي أخبرت الكثيرين أنني سوف أذهب إليه، وعندما علم بذلك لم يغَضب مني بل قال لي ألم أخبرك أن لا يعلم أحد بقدومك فقط؟ في الحقيقة تحدث معي حديثًا طويلاً في هذا الوقت، وكان معه الأستاذ كمال السنهوري وحدثنا عن كيف يبني الإنسان فكره "فن الدعوة" وكيف يترفق بالآخرين وكيف يتعامل معهم وكيف

يُدخل لهم مداخل، وقال لي: "إن هذا اللقاء الأول وليس الأخير بيني وبينك، أنا أريد أن تأتي لي دائمًا". والحقيقة كان مترفقًا بغروري؛ لأنكم تعرفون أن المحاماة تزيد فيها الثقة بالنفس بعض الشيء، وأنا أجلس مع عمر التلمساني الند للند وأعرض عليه وجهات نظري فكان مترفقًا بغروري جدًّا رغم أنه كان غرورًا ليس له أساس في الواقع؛ لأن حجم التجربة بالنسبة لي كان بسيطًا جدًّا، لكن في نفس الوقت كان عنده قدرة على التنبؤ بما سيحدث في نقابة المحاماة، ومن البداية لفت النظر إلى كثير من مسالب جنون القوة فأنا أتذكر الحديث كأنه كان بالأمس. حدثني عن الفكر الإسلامي ومتطلبات ظهوره في الواقع وأنه لابد أن يبُتلى المرء، وأن المرء يُبتلى على قدر دينه وأن الجماعات والتكونات الجماعية أيضًا تُبتلى على قدر دينها. وأنه كما قال الإمام الشافعي: "لا يُمكن المرء حتى يبتلى"، و"لابد للمسلم أن يكون له مواصفات أولها التواضع". كان حديثًا طويلاً وأذكر أنه كان لمدة ساعتين من الروعة وخرجت يومها مبهورًا بشخصية الأستاذ عمر. الأستاذ عمر من مواصفاته أن يقوم بتوصيل الزائر حتى المصعد وهو تواضع ليس مفتعلاً. فالتواضع ليس مجرد أن تقول أنا قررت أن أكون متواضعًا بل كان تواضعًا طبيعيًّا، فكان من الممكن أن يفتح لك الباب بملابس المنزل وإن كانت هذه الملابس يظهر عليها علامات الثراء التي كانت موجودة عنده والتي كانت تظهر في بعض المسائل مثل استخدامه للشوكة والسكين حتى ولو كانت بلاستيك، أي أنه كان يجيد استعمال أدوات العصر بصورة متواضعة حتى أنك كنت لا تشعر بأنك تتكلم مع باشا، كنت تشعر أنك تتكلم مع عمر التلمساني وكان هذا شعورًا عامًّا عند كل من يقابله، فكان هذا الرجل مدخله إلى القلوب من هذه النقطة أي تواضعه، وكان بعد أن ينتهي اللقاء يصطحبني إلى المصعد، وكان يهتم بي جدًّا في استقبالي، ولم يكن يناديني أبدًا بمختار وإنما كان دائمًا يقول يا أستاذ مختار مع أنني في وقتها كنت سأكون سعيدًا لو ناداني باسمي فقط. وأذكر أنه في يوم قابله أحد القضاة فوقف وخرج القاضي من عنده محرجًا من نفسه، وعندما هم بإغلاق الباب وجد من يوصله إلى المصعد بل أكمل معه حتى نزل إلى الشارع، فقلت له: "والله هذا ليس من أجلك فقط بل إنه يفعل ذلك مع كل من يزوره فهذه طبيعته"، فكان الأستاذ عمر التلمساني هو المدخل التطبيقي لفهم الإخوان المسلمين.

لقد بدأت علاقتي بالأستاذ عمر التلمساني ونظريته الشهيرة "كيف تبني بيتًا بالطوب المكسور" فعنده ليس شرطًا أن يكون الطوب سليمًا بنسبة ١٠٠٪ حتى تبني بل على العكس فمن الممكن أن تبني بطوب مكسور. وأخذ يشرح لنا هذه النظرية، وبدأ يتابع الحركة الإسلامية، ففي انتخابات

نقابة المحامين كان يقف مع الدكتور عبد الله رشوان وينزل معه المحاكم كما كنا ننزل مع أي شخص لعمل دعاية انتخابية له. فكان محاميًا يمارس هذا الاهتمام الشديد مع التواضع، مع الفهم والتنبؤ والقدرة علي التعامل مع الآخر، كل هذه الصفات وغيرها مما لا يمكن عَدُّه ويمكن أن تقال في حق الأستاذ عمر التلمساني ولا توفيه حقه. ومع ذلك حتى الآن كل ما كتب عنه لم يتعد ما جمعه أحد الأشخاص؛ حيث قام بجمع المقالات التي كتبت في وفاته وأصدر شريطًا عن جنازته التاريخية، ولكنه لم يأخذ حقه كمفكر جبهوي. ونحن في الفكر المتقدم نتمنى أن يجتمع أصحاب نظرية الحرية في وعاء واحد ثم يختلفوا على التفصيلات الأخرى بعد ذلك، فكان هو الوحيد الذي استطاع أن يكسر جمود التغريب الذي وضعت الحركة الإسلامية فيه نفسها، واستطاع أن يلتقي بالوفد واستطاع أن يعقد لقاءات وصلت إلى حد الدخول معه في انتخابات مشتركة، وهذا كان من دواعي إعجابي بالأستاذ عمر، ولم يوجد أحد بعد ذلك كرجل تطبيقي مثل الأستاذ عمر سواء من الإخوان أو من خارج الإخوان. الأستاذ عمر التلمساني في منطقة الوعي مهم جدًّا؛ لأنه كان دائمًا يخاطب فيك منطقة الوعي وليس منطقة التخدير. فقد كان الشيخ إبراهيم عزت يقول: "إن الإسلام حديقة، ويدخلها الناس من أبواب متفرقة، فهناك من يدخلها من باب بر الوالدين، وهناك من يدخلها من باب الكلام عن الآخرة، وهناك من يبكي من العذاب في القبر، كما أن هناك من يأتي إذا كلمته عن حقوق الإنسان، وهناك من يصحبك إذا كلمته عن خلاص الأمة وأن هذه الأمة يجب أن تكون هي الأسبق في تطبيق المبادئ". ولابد من عدم القول إن جان جاك روسو هو الذي أنقذ العالم من قضايا القيود العقلية، نقول إن التراث والفكر الإسلامي هو الذي أنقذ العالم من القيود الفكرية ودعاها إلى التحرر من كل قيد، جان جاك روسو موجود من ٢٠٠ سنة فقط. فكان الأستاذ عمر التلمساني يتحدث معك بهذه الطريقة، لكن على الرغم من أن كلامه لم يقنع آخرين فكان يتبع هذه الطريقة في إيقاظ الوعي الخامل في عقل الإنسان، إبراز حجم العدو وقوته، هذه نقطة أساسية.

وفي المحاماة أيضًا وجدنا مدرسة مثل مدرسة نبيل الهلالي كان المدخل فيها مدخلاً تطبيقيًّا؛ لأنه كان رجلاً تطبيقيًّا؛ فنادرًا ما كنا نسمع الأستاذ نبيل هلالي يتكلم. لذلك كل ما كان يكتبه الأستاذ عمر التلمساني كان يفعله، من ضمن ما قال إنه يجب أن يدخل في نقابة المحامين وفي كل النقابات المهنية تيار جميل متلاحم مع الآخر. من الممكن أن يكون الذي حدث غير ذلك لكن هذا هو كلامه، والمهندس أبو العلا ذكر أن هذا الكلام قيل له في نقابة المهندسين. والأستاذ عمر

التلمساني كان صاحب أول حركة منظمة لدخول الفكر الإسلامي داخل النقابات المهنية، وبالطبع كان من ضمن النماذج المنفتحة وكان على شاكلته الأستاذ جابر رزق. والأستاذ جابر رزق حتى سنة ١٩٨٥م قبل وفاته بمدة بسيطة كنت أحضر معه حفلات الشيخ إمام، ويلتقي كل أصدقاء اليسار ويفتح معهم حوارًا وطنيًّا جيدًا وكانوا يحبونه كثيرًا. كان الأستاذ جابر رزق هو المعاون في هذا الوقت لإعداد هذه الفكرة. ومن هذا الباب دخلنا في العمل الإسلامي داخل نقابة المحامين، وأنا في الحقيقة كنت أتمنى أن أدخله من باب حقوق الإنسان، ولكن للأسف وجدت افتقارًا؛ لأن التربية وإعداد الناس ليس أنت من تقوم به ولا تستطيع القيام به، وجدت افتقارًا في الإيمان بهذه القضية مع أني أعتقد أنها أصل كبير جدًّا من أصول الإسلام. يقول الرسول ﷺ "لقد دُعيت في دار ابن أبي جدعان إلى حلف لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت". هذا مدخل كبير؛ لأن الإسلام في الأصل مدخله حرية الإنسان ومع ذلك هذه النقطة لا نهتم بها كثيرًا حتى قوى السياسيين الموجودين في مصر كانوا يحاكمون أمام محاكم عسكرية، إذا لم يدعوا كضيوف يأتون من أجل أسماء القوميين، وتجد المسألة لا تأخذ حيزًا من اهتمامهم. ونفس الأمر حدث عندما دخلت مراكز القوى أمام محكمة عسكرية لم نجد الإسلاميين متحمسين للدفاع عنهم. الفكر والنضج الذي يجعل الإنسان يضع مسألة الحرية وحقوق الإنسان في أولوياته لم يكن موجودًا وبالأخص في الفكر الإسلامي التطبيقي في ذلك الوقت، لذلك اضطررنا لأن نحاول العمل في حقوق الإنسان بمجموعة من الناس مؤمنة بهذه الفكرة، وأيضًا نسعى لتكوين لجنة الشريعة الإسلامية على مستوى الأقاليم تحمل فكرًا إسلاميًّا راشدًا ونتحاور مع الآخر ونطبق هذا الكلام في معسكرات كنا نقيمها وندعو لها وفق كل الأفكار والتوجهات. كنا نتكلم فيها عن كل شيء، فعلى سبيل المثال الدكتور زغلول النجار كان يحضر ويكلمنا في الإعجاز العلمي قبل أن تظهر مسألة الإعجاز العلمي، كان يأتي مندوب من الأزهر يتحدث معنا وأيضًا مفكر قومي، كنا نجمع في هذه الجعبة كل الأفكار السياسية، وأقمنا مسرحًا في لجنة الشريعة الإسلامية، الشيء الوحيد الذي لم نتخطاه هو عمل فرقة موسيقية، بدأنا في تكوينها هذه السنة والحمد لله لا تتبع لجنة الشريعة الإسلامية إنما كنشاط مستقل. ازدهرت لجنة الشريعة الإسلامية لوجود احتياج نفسي لدى المحامين للفكرة الإسلامية. في هذا الوقت داخل النقابة تجد الدكتور جلال رجب والأستاذ نبيل الهلالي ممثلين للفكر اليساري، والأستاذ صبري ممثلاً للفكر الناصري، ولا تجد إطلاقًا إلا الأستاذ محمد المسلماني الرجل المتعاطف مع الفكرة الإسلامية والمتحمس لها، لا تجد إلا فردًا واحدًا داخل النقابة بينما تجد من الوفديين تسعة أفراد، كانت هذه

هي الزاوية التي دخلنا فيها نقابة المحامين وهي احتياج نقابة المحامين إلى رؤية إسلامية تطبيقية داخل النقابة حتى يكتمل الإطار المعنوي لها والفكري أيضًا.

بعد لقاءات ١٩٧٩م تعمقت المعرفة بالأستاذ عمر التلمساني، نتزاور ونتشاور حتى حدثت أحداث ٥ سبتمبر ١٩٨١م فحضرت التحقيقات مع الأستاذ عمر التلمساني. ويحضرني هنا موقف تجاذب الاتهام، فالمتهمون دائمًا يقومون بشيء اسمه تدافع الاتهام وهو أنه عندما تسأل أحدهم يقول لك: "إنه لست أنا من فعل ذلك ولكن فلانًا هو مَن قام بذلك". أما تجاذب الاتهام فهو عكس ذلك، وهو ما حدث في هذا الوقت ففي هذه التحقيقات كان الأستاذ صالح عشماوي يقول: "أنا الذي فعلت كذا"، فيقول الأستاذ عمر التلمساني: " لا هو لم يفعل هذا بل أنا المسئول فهو لا علاقة له بأي شيء نهائيًا"، فيُسأل: "فما قولك في المقالة التي سُب فيها فلان؟" فيقول: "أنا المسئول أيضًا"، ثم قال: "إذا كان هناك أي خطأ فأنا المسئول أيضًا" وقد أعجبني هذا الموقف جدًا. وبعد ذلك بقليل دخلنا السجن في ١٩٨١م بعد مقتل السادات، ودخلت معنا دفعات كثيرة جدًا من الإخوان المسلمين، وكانت فرصة أن أحتك بالناس وأرى الطليعة الجديدة من الإخوان المسلمين وأتعرف على كل الأفكار. وفي هذا الوقت كان المهندس أبو العلا هاربًا مع المهندس محيي الدين عيسى، وكانت هناك قصة عنهما في التليفزيون. المهم قبض على زميل لهما اسمه الدكتور صالح عبد الستار وضربوه ضربًا عنيفًا ثم أتوا به إلى زنزانتنا، وكانت فرصة أيضًا للتعرف عليه عن قرب فكان لها أيضًا أثر طيب في الوصول والوقوف على بعض جوانب هذه الحقبة.

خلاصة الأمر أنني بقيت ما يقرب من سنة في ١٩٨١م فكنت ضمن آخر دفعة خرجت من السجن تقريبًا بتظلم، كان أول تظلم أو من التظلمات الأولى لقانون ١٦٢ لسنة ١٩٥٨م بتعديلاته الخاصة بالطوارئ، وانطبقت علينا عملية التظلم للخروج من الاعتقال، وبالفعل خرجت لأقابل عمر التلمساني مرة أخرى وحينها طلب مني أن أرشح نفسي في النقابة ولم تأخذ المسألة شكل التكليف كما قد يظن البعض إنما هي أخذت شكل أنه يعرض علي أن أنظر في إمكانياتي ثم أرد عليه، وقال إنه يريد أن أمثل الفكر الإسلامي داخل النقابة وتحركنا كمجموعات، وهذا يسمى في حركة الإخوان وتاريخ الإخوان عصر النهضة النقابية، وهو يبدأ من بداية الثمانينيات وينتهي ١٩٩٥-١٩٩٦م. وأنا أعتبر أن هذه الخمسة عشرعامًا هي عصر النهضة النقابية داخل فكر وفهم الإخوان المسلمين. بعد ذلك هذا الفهم يحتاج لإعادة صياغة ويحتاج أشياء كثيرة جدًا ينبغي أن يهتم بها الإنسان، أنا

أعتقد وأزعم أن نقابة المحامين أفادتني كثيرًا جدًّا وأنها ساهمت في تكوين شخصيتي خصوصًا من خلال الانفتاح على الآخرين. الشخصيات التي كانت في فترة الثمانينيات كانت شخصيات فوق العادة بغض النظر عن الخلافات التي بينها لكنها عقليات فوق العادة، أذكر الأستاذ نبيل هلالي، ومحمد فهيم أمين وهذا كان مقاتلاً فوق العادة لدرجة أننا أحيانًا كنا نغضب من نضاله، ونقول له: "أنت مناضل زيادة عن اللزوم". وكان موجودًا أيضًا الأستاذ أحمد ناصر، وحينها كان أكثر حركة من الآن وأكثر فاعلية. وكان هناك الأستاذ محمد عيد الذي كان يطلق عليه اسم الزعيم وهو من الإسكندرية. كانوا رموزًا للحركة الوطنية تعلمنا الكثير منهم في الثمانينيات، وأنا أعتقد أنها فترة النضج في التكوين والانفتاح على الآخر. فالأستاذ أحمد الخواجة كان صاحب هذه المدرسة ويدير عمله بقناعته وإن كان البعض يعتبره ماكرًا أو خادعًا، إنما هذا هو الذكاء المتطلب (من وجهة نظري) لقيادة حركة متباينة وللتفاعل مع الآخرين، وكان محل إجماع فعندما يرشح نفسه في الانتخابات كل الذين يسبونه تجدهم ينتخبونه، كان محبوبًا فعلاً وكان محترمًا في فكره وفي إنتاجه.

بعد تجربة نقابة المحامين في انتخابات ١٩٨٩م حدث خلاف في نقابة المحامين كبير جدًّا؛ حيث كانت تجربة مجلس الشعب، وكانت نقابة المحامين اختيارًا كبيرًا، وكان مجلس الشعب صدفة كعمل قدري. توفي الأستاذ عمر التلمساني (رحمه الله) بعد أول تجربة قام بها في التعامل مع الوفد، ونجحت التجربة نجاحًا كبيرًا في أن تطرح اسم الإخوان في الشارع، ونجح فيها عدد بسيط من الناس وكانوا أناسًا طيبين، استطاعوا أن يضيفوا للحركة لكن نبغ منهم الأستاذ حسن الجمل بمفهومه الخدمي، ونبغ منهم الأستاذ صلاح أبو إسماعيل وكان مستقلاً في ذلك الوقت لكن كان أيضًا يحسب على الفكر الإسلامي. لكن التجربة لم تثمر عن عناصر نقابية متفهمة لقضايا الوطن؛ لأن أغلبهم كانوا متخصصين في علوم الدين مثل الشيخ المطراوي وآخرين. التجربة الخاصة في ١٩٨٤م كان المفترض أني بداخلها فقد كنت مسئولاً عن المعركة النيابية لمنطقة شرق القاهرة وكان وقتها نظام القوائم، فالتجربة التالية - كانت بين انتخابات نقابة المحامين ١٩٨٤م وبين انتخابات نقابة الحقوق ١٩٨٩م فجاءت في المنتصف انتخابات مجلس الشعب - أنا دخلت فيها كمسئول عن الحركة النيابية، وهو تنظيم الانتخابات ذاتها. لكن كان الخلاف بينهم في ذلك الوقت على الترتيب، من يصبح الأول؛ لأن الأول كان مضمونًا في القائمة، وكان هناك توجه حكومي واضح بأنه لن يؤخذ إلا الأول والثاني من كل قائمة من أجل أن يصبح عدد أعضاء المعارضة لا يزيد عن ٦٠ أو ٧٠ حسب عدد الدوائر، فكان الكل متشككًا بل متأكدًا أنه من الممكن أخذ الثالث في أية قائمة، كنت

أنا الثالث في هذه القائمة لكن لم أدخلها باختيار الإخوان، دخلتها؛ لأن الثالث انسحب من القائمة وهو الأستاذ سالم الزقلة، انسحب ومعه اثنان من فريقه؛ لأنه غضب واستكثر أن يكون الأستاذ مهدي عاكف – مرشد الإخوان بعد ذلك – الأول على القائمة وقال: "من مهدي هذا الذي جاء لتوه من ألمانيا ولا أحد يعرفه ثم تضعونه على رأس القائمة؟ وأنا سوف أجلب لكم أصوات العرب كلهم". فتشاجر معهم وانتظر لآخر يوم ثم انسحب، وكانت القائمة الناقصة تشطب فقالوا: "لابد وأن تأتوا بأي اثنين". هذه هي الحقيقة وهذا ما حدث فقد كنت من ضمن هؤلاء الثلاثة الذين تم اختيارهم. ولكن لأن علاقتي بالناس في الأحياء الشعبية ومنطقة الزيتون والمطرية كانت قوية جدًّا، فالقائمة الحقيقية كانت قوية جدًّا وأخذت أصواتا كثيرة جدًّا فكان لابد وأن يختاروا بين أمرين، إما أن يحذفوا عددًا من الـ ٣٦ شخصًا الذين نجحوا بالفعل، أو أن يأخذوا الثالث ويظل العدد كما هو، لكن كان القاضي قد أعلن النتيجة أي الستة والثلاثين الناجحين وكذلك كان الكنترول في وزارة الداخلية قد أعلن نفس النتيجة، فلم تجد الحكومة بدًّا من أن تعلن النتيجة كما هي وذلك بعد أن عطلها زكي بدر لمدة أسبوع كامل، وبذلك نجح الثلاثة أعضاء وكانت هذه هي الدائرة الوحيدة التي نجح فيها الأعضاء الثلاثة. وقد كنت مع الأستاذ مهدي عاكف والدكتور عبد الحي عبد الرحمن، لم يحدث أنهم أخذوا الثالث من قبل وكانت هذه فرصة قوية لممارسة العمل المتعلق بحقوق الإنسان، فقد قدمت استجوابًا عن التعذيب واستجوابًا آخر عن سوء استخدام قانون الطوارئ، وقلت لهذه الأسباب نتمسك بقانون الطوارئ. وهذه القضية ظلت في ذهني حتى الأمس القريب ولقد كتبت مقالة نشرت في جريدة الحياة قبل هذا اللقاء بثلاثة أيام فقط وقلت فيها أيضًا: لهذه الأسباب نحن نريد قانون الطوارئ حتى يطبق؛ لأن قانون الطوارئ وضع لحالة الطوارئ وما دامت الطوارئ معلنة فلابد من وجود قانون منظم، وشرحت هذه المسألة ومن يومها وهذا الأمر هو شغلي الشاغل، بالإضافة إلى استجوابات قدمتها إلى وزارة الداخلية، وقد حدثت ألفة فكرية بيني وبين الدكتور رفعت المحجوب. وحدث كذلك تدرج ومناقشات واسعة تمت معه في منزل الأستاذ أحمد الخواجة، وتمت في أماكن كثيرة جدًّا استطعت من خلالها أن أستوعب كثيرًا من أفكار الدكتور رفعت المحجوب.

بعد ذلك حدثت انتخابات ١٩٨٩م في نقابة المحامين، ولوجود خلاف بين فريقين، استصدر فريق منهم حكمًا قضائيًا أو ١٦ حكمًا قضائيًا ضد الأستاذ أحمد الخواجة في ذلك الوقت فوجدنا أننا لابد أن ننسحب، فكان هذا موقفًا مبدئيًا من المواقف التي تحسب لفريق الشريعة الإسلامية

في نقابة المحامين، إلا إنني أعتبر العصر الذهبي أو الفترة الذهبية كانت فترة ١٩٩٢م؛ وهذه فترة قاومتها الحكومة بشتى الطرق، قاومتها عن طريق الضرب والتعذيب والسجن؛ حيث تم حبسنا في هذه الفترة في أحداث أو حادث مدني. وفي هذه الفترة مات أحد المحامين أثناء التعذيب، وكانت آخر ما توصلت إليه الحكومة مع النقابة أنها قامت بفرض الحراسة عليها، ولكن نقابة المحامين كان من الصعب على أي إنسان أن يتخيل أن تلجأ الحكومة إلى فرض الحراسة عليها بحكم محكمة. كان هذا الحكم واضح الاصطناع والمجاملة، كان مكتوبًا بخطين، وكان القاضي فيه غريب الشكل كانت المسألة مكشوفة جدًّا. فرضت الحراسة على نقابة المحامين وقاومنا هذه الحراسة حتى استصدرنا حكمًا قبل دخولنا السجن في ١٩٩٩م بمدة بسيطة لإنهاء الحراسة أقيم فيه حكم نقض، في يوم حكم النقض طلبوا من المحكمة - يوم ١٠/١٠/١٩٩٩م- التأجيل إلى يوم ١٢/١٠/١٩٩٩م من أجل انتخابات الرئاسة، في يوم ١٤/١٠/١٩٩٩م قُبض علينا في أحداث ١٩٩٩م وسميت القضية بقضية الأحداث النقابية، وضمت عناصر كثيرة جدًّا من الأفراد. وفي الفترة ما بين ١٩٩٢م و ١٩٩٩م أكاد أجزم أنه حدث تغير كبير في التناول الفكري والنقابي لشخصي المتواضع لهذه الأمور، ازداد إيماني جدًّا بعملية التحالف مع الآخر ووجوب وقوف الشعب وقفة واحدة من أجل الحرية، ضرورة أن تكون قضية الديمقراطية هي أم القضايا. إن كان هناك قضية يجب أن نهتم بها فلابد أن تكون قضية الحرية؛ وذلك لأنه لا معنى إطلاقًا لأي شيء يحدث على أرض تستذل، وكان لابد أن نقوم بثورة مثل الثورة التي قمنا بها من أجل تعذيب الأمريكان للعراقيين وذلك في حالة تعذيب أي مصري. وهذا الكلام ولحسن الحظ قد قال به الأستاذ فهمي هويدي وهو قد أعجبني جدًّا، فنحن نتحمس لتعذيب الأمريكان وكأنه إذا وقع على أيدي الأمريكان صار مختلفًا عن إذا وقع على أيدي المصريين أو أيدي أحد غيرهم.

فترة الحبس أو السجن قربتني جدًّا من الإخوان أي أنه كانت هناك شخصيات موجودة حينها كنت أحبها جدًّا فأنا دائمًا مداخلي من خلال الأفراد؛ لأن الفكر من الممكن أن تحصل عليه من أي كتاب، فقد كنت معجبًا جدًّا بشخصية عبد المنعم أبي الفتوح. كان ونحن في السجن يمارس دور الزعيم مع أنه كان صغيرًا في السن أو من سني أنا وعصام وأخ اسمه حسن الشبيني، إنما كان يعجبني الأناقة في التعامل، واللباقة في التعامل مع الآخر، وخضنا سويًّا تجارب، فعلى سبيل المثال قمنا ذات مرة بعمل حفلة اشتركت فيها أنا وعصام وأُلقي علينا قمامة من الأعلى في السجن؛ لأن في ذلك الوقت كان قد أُعدم خالد الإسلامبولي. حدث احتكاك داخل السجن في سنة قربت

بيني وبين هؤلاء الأفراد، حتى عندما خرجنا تعمقت العلاقة بيني وبين المهندس أبي العلا وعصام وتزاورنا في البيت فهذه كانت نقطة الانطلاق. في حادثة ١٩٩٤ (عبد الحارث مدني) كنت أشعر لأول مرة بأنني محبوس لشيء له قيمة؛ لأنني اشتركت في مظاهرة وخرجت من أجل وحدة الفكر، وكانت هناك خطة من خصومنا مع أنهم كان من المفترض ألا يكونوا خصومنا؛ حيث وصلت أخبار للنقابة كانت تريد أن تشير إلى أننا نحن من قمنا بهذه المظاهرة. للأسف كانت هذه الأخبار من الأقلية الانتخابية، لم يكونوا أصحاب اتجاه محدد، هم أفراد ونماذج فأنا لا أستطيع القول بأنهم الناصريون؛ لأنه كان معي في المظاهرة ناصريون مثل سامح عاشور رغم كل الخلاف الذي بيني وبينه كان جانبي في المظاهرة. وهو ليس ناصريًا (حتى لو هو قال إنه ناصري) أعتبره مدنيًا، لكن في هذا الوقت كان بطلاً؛ لأننا لابد أن نذكر التاريخ الحقيقي، ولكن هؤلاء كانوا أشخاصًا معينين كانوا يستفزوننا. كان بعضهم منضمين للحركة الإسلامية، ومع ذلك كانوا يتمنون لو أن هذه المقاومة تدك. وكان هناك أشخاص تتصل بالأمن وتقول له لا تفرج عن أحد فهناك تعليمات من الإخوان بعدم الخروج؛ لأننا قمنا بذلك من أجل الإفراج عن عدد من المعتقلين. نحن قلنا الرجل مات والتحقيق أثبت أن هناك آثار تعذيب، ولا يمكن أن يقوموا بحبس ضابط، منذ أن اشتركت في قضية التعذيب وأنا عضو في مجلس الشعب، والأستاذ الدكتور رفعت المحجوب قال لي نصيحة ولقد مات (رحمه الله) ولكن الله هو الشاهد أنه قال لي حينها: "يا بني ألا تعرف القراءة؟ هل هناك دولة تحاسب رجالها؟" وكنا حينها نطمع في أن نأخذ حكمًا ثم نذهب للمستشار سليمان أيوب، ويقول لنا: "أنا أريد أن تركزوا على الفرق بين التعذيب واستعمال القسوة". فالخصوم حينها كانوا يريدون أن يحولوا الأمر لمجرد استعمال القسوة، ومن المفارقات التي لا تصدق في التاريخ أن عدلي حسين والذي كان يقوم بالتعذيب كان مستشارًا لرفعت المحجوب في مجلس الشعب، ثم بعد ذلك أصبح محافظًا لعدة محافظات، وكان سليمان يقول حينها: "إنها ستكون عقوبات مخففة". وكنا نصدق ذلك ونخرج، ولكن محجوب قال لي: "فكر بشكل صحيح". ففي هذا الوقت كنت أثور جدًا وأخطب في الناس وفي نفس الوقت أجد أن الضباط جالسون على المقاعد يضحكون.

ساهمت الدولة في هذا الوقت في تكويني؛ حيث جعلتني عصبيًا جدًا، خاصة في مسألة حقوق الإنسان، فهي أعطت لمن كانت تريد محاكمتهم البراءة وعددهم ١٥٣ بل وأرسلتهم لأداء مراسم الحج على نفقتها الخاصة، فالمحكمة قالت إن كل هؤلاء الشهود متلقنون، لكن هذا كلام غير منطقي. ومع ذلك ففي هذا الوقت استفدت كثيرًا من هذا الموضوع، ولكن الخلاصة التي

أقولها هي أن سجن ١٩٩٤م كان من أجمل السجون؛ لأنني كنت أشعر بأنني سجنت من أجل شيء جميل هو أن يخرج المحامون المسجونون. وكان الأستاذ عادل حسين (رحمه الله) له كلمة شهيرة هي: "لولا انتفاضة المحامين لأصبحنا أمة من النعاج"؛ لأنه لم يكن يوجد أحد يتكلم عن التعذيب، فهذا أهم شيء له قيمة في حياتي قمت بعمله، على الرغم من أنه لم يُهتم به أحد ولا حتى الإخوان، وأنا عندي شريط مُسجل لم يطلبه مني أحد أو بمعنى آخر لم يعرني أحد أي اهتمام، والأخبار أيضًا سكتت ولم تعد تتكلم عنها، وهناك أحد الصحفيين في جريدة الوفد كتب "أفرجوا عنهم حتى لا تصنعوا منهم أبطالاً".

كنا ٤٩ في زنزانة ٧من الإخوان، ٣ من حزب العمل، و٤ مسيحيين. المسيحيون كانوا في المظاهرة وحققنا فيها التكامل الفكري الحقيقي، وأخبرناهم أننا لا ندافع عن شخص قُتِل من الجماعة الإسلامية، نحن ندافع عن محامٍ ضُبِط وعُذِّب فمات في ٢٤ ساعة، استطعنا تحقيق هذا النموذج وخرجنا آلافًا وقمنا بعمل جنازةٍ وهمية. هذا الشريط لو عُرِض فسترى فيه نموذجًا لحركة نقابية في مواجهة ظلم وقع على أحد الأفراد، ودخلنا السجن متهمين بسبعة اتهامات. وخرجنا بسبب انتفاضة المحامين في باب الخلق، المحامون ظلوا يهتفون في باب الخلق يوميًا، حتى استُدعيت في أمن الدولة واتفقوا معي على فك الإضراب مقابل الإفراج عنا، ٤/ ٤/١ هذه ليست طريقة لعب كرة نحن كنا تسعة.

في ذلك الوقت كان هناك لواء اسمه أحمد حافظ — مدير أمن الدولة بالقاهرة — وكان في منتهى الرقي، حينها قال لي: "التعليمات التي عندنا أنه ٤/٤/١، فقلت له: "الواحد منتصر" أي أن ٤ ثم ٤ ثم منتصر، فقلت له "التسعة يا بلاش"، واستأذنته ونزلت إلى أسفل وشربت الشاي، وكانت الساعة حينها الثالثة صباحًا، وفي هذا الوقت أخذوني من السجن، فقالوا ٨ و ١ فقلت له "يا التسعة يا بلاش"، فقال لي لا تفاصل نحن لم نرسلك لتتفاوض، ولكن أنا قلت له: "طالما أننا نريد أن نصلح الأمر فمن الأفضل أن نخرج كلنا مرة واحدة، وطالما تريدون أن أقول للناس المضربين عن الطعام أن ينهوا إضرابهم". قال: "لا بأس من الممكن أن تخرجوا أنتم التسعة، ولكن لا نريد شغبًا بعد ذلك". ووعد أن ينظر في أمر كل المعتقلين الباقين وكانوا حينها ٣٥ معتقلاً، وبالفعل نظروا في أمرهم وبلغوا بعد ذلك ٥٦ محاميًا، وبالفعل صدر قرار الإفراج عن التسعة ولكن أثناء خروجنا فوجئنا بأن سيارة منتصر ذهبت في اتجاه وسرنا نحن في اتجاه آخر. وعندما سألناهم عن السبب قالوا: "من يريد

أن يرى منتصر يأتي إليه في النيابة عند حلول الليل". وبالفعل ذهبنا إليه فقال لنا المحامي العام: "سوف يخرج وكل ما في الأمر بعض الإجراءات". وكنا حينها نلبس ملابس ملكية، للأسف حُكم على منتصر بالحبس وبدأت ستة أشهر من التضييق عليه. وهذه كانت بداية تعرفي على منتصر، كنا خصومًا شدادًا لذلك أقول لك كان هناك خصوم من كل الأفكار، وفترة الحبس هذه من أقيَم الفترات التي سجنت فيها، أقيَم من فترة الحبس في ١٩٩٩م التي امتدت ثلاث سنوات ولا أدري حتى الآن السبب وراء حبسي فيها، فقد كانت وجهة نظرهم هي القبض على قسم المهنيين.

ونحن في سنة ١٩٩٩م كان المفترض ألا يقبض علينا؛ لأننا قدمنا لهم عرضًا جيدًا وهو أن الإخوان يشارك منهم ٦ في الانتخابات، وأن سياسة الاستحواذ تنتهي وكان قد حدث نضج في التفكير في هذه الفترة. وسياسة الاستحواذ هذه سببت لنا أضرارًا كثيرة. ولم نكن كلنا أكفاء فقد نجح منا قبل ذلك ٣٦ ولكن الكفاءة منا كانوا ٤ أو ٥ هذه حقيقة، ولابد أن تستعين بكل الطاقات المصرية وليس هناك خلاف موضوعي بينك وبينها، فطرحنا وقتها الاستعانة بالنقابيين، الحرفيين، نكتفي من ٤ لـ ٦، اقترحنا ٦، والأستاذ كمال الشاذلي قال ٤ حسبما عرفت، وبعد ذلك قال: "ولا كرسي، ولا رجل كرسي". قدمنا عرضًا حقيقيًا ووافقت عليه الجهات المسئولة حتى أعلى جهة، وحذرنا الأستاذ رجائي (كنت أنا والأستاذ خالد بدوي) من أنه سوف يقبض عليه فانزعج من ذلك، فقد كان طيبًا وحسن الظن بهم، فقدمنا هذا المشروع مقابل رفع الحراسة، وظلوا يسوفون في وقت إجراء الانتخابات (من مايو حتى شهر سبتمبر) واستمر هذا الحال لمدة ثلاث سنوات، رفعنا دعوى لرفع الحراسة لم أضع اسمي فيها، والأستاذة فاطمة ربيع قامت فيها بدور كبير. وفي آخر جلسة الأستاذ مصطفى عمر المحامي زميلي في المكتب وضع اسمه، فعرفوا أن لنا دورًا في القضية، فأرسل جهاز أمن الدولة في طلبي وسألوني عن القضية، وأنا لم أكن أعرف ما حدث فأخبروني. المهم صدر الحكم ونحن تعمدنا ترك القضية في أول درجة؛ لأننا نعرف أن محكمة أول درجة سوف تصدر حكمًا برفض الدعوة، وطلبنا حجز الدعوة للحكم أمام القاضي وأصررنا على ذلك؛ لأنه أحيانًا كان القاضي يذكر أن الحارس القضائي أخبره أن القضية مؤجلة لـ ٤/١٦ قبل الجلسة، وهذه تعتبر إهانة من وجهة نظري، وأُجلَت الدعوة لتاريخ ٤/١٦ مثلما جاءت له الأوامر بالضبط، وذهبنا إلى مرحلة الاستئناف وأخذنا الحكم في الجلسة الأخيرة. أثبت الأستاذ مصطفى عمر وغضبت المباحث، ولا ندري لماذا غضبوا فكنا قد اتفقنا على ألا يستحوذ الإخوان، فالمشروع الذي قدمناه كان متكاملاً لإنهاء هذا الصراع والعمل النقابي المتجدد، الشيء الغريب أن أصحاب هذه النظرية

هم الذين دُبِّر لهم كمين؛ لأن وقتها كان القسم الغاضب هو قسم المهنيين، المهنيون هم الذين استوعبوا هذه النظرية ورحبوا بها، ووقتها كنا جالسين نشرح لهم كيف نرفع الحراسة، ونتحدث في الانتخابات المشتركة بين كل القوى السياسية. وقد قابلت في هذا الوقت الأستاذ فؤاد سراج الدين من أجل معرفة رأي الوفديين، وقابلت الأستاذ داود لمعرفة رأي الناصريين. كان مجلسًا قوميًا حقيقيًّا، ولا مجال فيه للاستحواذ. وكانت الفكرة مرتبطة إلى حدٍّ بعيد بالأشخاص الذين ينادون بها، فهي ليست عقيدة عامة.

بعد جلسة النقض يوم ١٤/ ١٠ قُبض علينا جميعًا وفُتح باب الترشيح، وهذا قلة عقل في التفكير فنحن كان دورنا إنهاء الموضوع، بعد ذلك أفلتت الأمور وحدث ما حدث، لكن الخلاصة في هذا الموضوع أن هذه الحبسة الجميلة كنا نحاول فيها حل المشكلة المؤرقة لدفع البلد للتقدم إلى الأمام، أكيد هناك فريق وفريق. داخل الدولة هناك فريق وفريق، لكن عندما سجنت في سنة ١٩٩٤م كنت أشعر لأول مرة بأني أسجن من أجل حقوق الإنسان، فخرجت منها قويًّا جدًّا، وخرجت منها فرحًا؛ لأن حلمي تحقق أخيرًا في أن أسجن بسبب قضية حقيقية، لو عرض علي ألف مرة قضية أو موقف جماعي شعبي من أجل حقوق الإنسان فسوف أكون سعيدًا به أكثر من أية مواقف أخرى قد تدرس فيها التضحيات بعض الشيء، إنما من أجل الإنسان تجدني منفعلاً بها، وأنا أعتبر أن دفعة قضية ١٩٩٤م أقوى من دفعة قضية ١٩٨١م وقضية ١٩٩٩م.

المهم أن قضية التعذيب هذه لم تأخذ حظها على الرغم من أننا أعلى بلد تصدر التعذيب للخارج فنحن يُرسل إلينا الناس من دول أخرى لنعذبهم ونرجعهم لدولهم ثانية. وعلى الرغم من هذا فإن هذه القضايا لم تأخذ من الاهتمام ما أخذته غيرها من قضايا أقل منها أهمية ولكنها أخذت حظها. وأكاد أؤمن من خلال هذه الأحداث وما تكوّن عندي منه من حصيلة ومن خلال عملي في الحركة الإسلامية بصفة عامة، أكاد أؤمن بأن الأولوية لابد أن تكون لحرية الإنسان، وأنا الآن وكأني أعود إلى أول يوم أقرأ فيه قصيدة لعصام الغزالي والتي قال فيها: "إن الحرية لا تُعطى لا تلمس ثوب الغلبان". وفي الحقيقة جلست في السجن لمدة ثلاث سنوات أفكر في هذا الموضوع وكنت أتعجب من حالي فأنا قد جلست في السجن لمدة عشرين عامًا، وفي النهاية عدت إلى بيت القصيد الذي كان السبب في سيري مع الحركة الإسلامية من البداية، نعم تغذيت جيدًا وأكلت جيدًا على موائد الفكر الإسلامي ولكن لم أعط المعتقلين أو الحركة السياسية مجهودًا كبيرًا من أجل توحيد القوى

في هذا الموضوع، وربما لذلك قمت بعمل مركز الدراسات الإنسانية وحقوق الإنسان؛ حيث قمت بتسجيله كشركة مدنية. لكن وعلى الرغم من ذلك فلم أشعر بأني قد أديت ما عليَّ من الواجب اللازم تجاه قضية حقوق الإنسان. كان لابد للناس أن تتوحد على ذلك، وكان عليَّ أن أبذل عمري كله على هذا الأساس. ثلاث سنين قضيناها في السجن وخرجنا منه نحاول قدر الإمكان أن نطبق هذا المفهوم الجديد في عالم الفكر الإسلامي، وهو مفهوم التوحد على أساس مبادئه. وأنا أعتقد أن قضية الديمقراطية أيضًا لم تأخذ منا الجهد المطلوب، ولذلك نحن ندفع الثمن، نعاني من افتقار كل واقع نعيش فيه من غياب الديمقراطية. من الواقع الأسري إلى الواقع البيئي الكلي الذي نعيش فيه لأنها تسربت.

الحركة الإسلامية بشتى روافدها سواء كانت مجموعة الجماعة الإسلامية التي خرجت أو الإخوان المسلمين أو الحركة السلفية لم يكن عندهم تصور لفكرة الدولة، فأنا أعتبر أن الفترة السابقة لهم هي فترة الإرهاصات التقليدية أو التحركات العفوية ليس هناك تخيل. الإمام حسن البنا كان أسبق من الجميع في أن يرسم بعض الخطوط العريضة لفكرة الدولة، واقترب من مسائل مازال هناك أشخاص كثيرون – بعد مرور ٧٠ عامًا – خائفين من الاقتراب منها. فقد ذكر بمنتهى البساطة أن نظام الانتخاب بالقائمة النسبية هو أقرب النظم إلى الإسلام، واستدل بأقوال الليبراليين وأقوال السنهوري وأقوال الدكتور صادق ومجموعة من الناس. وانتهى من خلال هذه الدراسة إلى أن فكرة القائمة النسبية هيَ أقرب في ذلك الوقت إذا طبقت بصورتها الصحيحة وعلى النحو التالي. أنا لا أرى أن هناك تصورًا بل هناك اجتهادات للدكتور توفيق الشاوي والدكتور سليم العوا والدكتور عبد الله رشوان على هيئة مقالات بينما الأسماء الأخرى على هيئة كُتب، رأيت اجتهادات جيدة جدًّا لفقهاء الشيعة في فكرة الدولة وتخيلهم لها، والحقيقة في المعاصرين وفي التجمعات الكبيرة تحديدًا مثل الجماعة الإسلامية وحركة الإخوان المسلمين أرى كلامًا محددًا في هذا الموضوع.

مفهوم الدولة بالشكل المعاصر درسناه في كلية الحقوق، من أول نظرية العقد الاجتماعي إلى نظرية الالتقاء الشامل، من واقع ملاحظتي بعد تجربة ٢٠ سنة كل هذه الأشياء لم يكن الفكر الإسلامي فيها نظرية. وإجابة خالد الإسلامبولي مازالت مطروحة عندما سئل في التحقيق لو تولى الإسلاميون الحكم ماذا يفعلون؟ قال نستعين بأهل الخبرة. إن عملية التميز في أنه ماذا لو تولى الإسلاميون الحكم آن الأوان لكي تنتهي؛ نظرًا لما يحدث في التقارب الاجتماعي الموجود الآن

ناحية الاتفاق حول الأصول الإسلامية من نشاطات الفضائيات. تجد أن المجتمعات نفسها أخذت الشكل الديني وأصبح هناك قبول، فالذي يدافع عن الفكرة الوطنية اليوم من الممكن أن تجده البابا في فلسطين، يدافع عن الفكرة الوطنية بصفة عامة. والالتقاء حول المفاهيم الوطنية التي كانت في يوم من الأيام تمثل كفرًا تأثرًا بأن جنسية المسلم هي عقيدته، أصبح الآن الوطن جزءًا من جنسية المسلم. الالتقاء بين الجيل المطروح الآن هو الذي سيصنع نظرية الدولة المشتركة، لن تخرج من فريق واحد أبدًا، هذا رأيي بعد هذه المدة. مسألة أن الإسلاميين سوف يقدمون دولة إسلامية، أنا لا أعتقد أنه سوف يصبح هناك ما يسمى دولة إسلامية بهذا المعنى، إنما دولة تتمتع بتطبيق تخرج من نطاق أنه "قد حُبست امرأة في هرة عذبتها لا هي أطلقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض". هذا المفهوم الحديث يتحول من مجرد مفهوم حديث إلى مجموعة نصوص، لذلك هناك رسالة دكتوراه جريئة جدًا عن قانون الإجراءات الإسلامي، وأثبتت أن قانون الإجراءات الإسلامي سيأخذ ٩٠ ٪ من النصوص الموجودة ولكن لا تطبق، وأن مهمة المسلم ستتحول من مجرد أنه يقوم بعمل نصوص ويطرحها على أنها إسلامية إلى أن يجعل دور الإسلامية هو أن تجعل التطبيق هو الأصل بمعنى أخذ نص الحرية العقائدية بدلاً من القول بأن الإسلام ينادي بأن "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد". فالحرية الدينية والاعتقادية موجودة في الدستور، يصبح دور المسلم أن يأخذ من الدستور ويضع تطبيقًا. هذه كانت نظرية السنهوري في وقت من الأوقات، كان هذا أسلوبه عندما بنى أصول القانون المدني من الشريعة الإسلامية، ولم يقم أحد ضده بثورة ولا هو تميز.

وقال القانون المدني الإسلامي أنني أخذت ٨٠–٩٠ ٪ من النصوص من أصول إسلامية. فأنا أعتقد أن نظرية الدولة من مفهوم إسلامي لم تكتب حتى الآن، لكن أزعم أننا كمجموعة شباب كحركة فاعلة موجودة في التيار الإسلامي بدأنا نثور على التقليديات، وبدأنا في عمل نموذج مصغر لدولة ليست إسلامية، دولة تنطلق من فهمنا الإسلامي، لا نقول دولة إسلامية بل دولة قائمة على فهم إسلامي لا يتعارض مع الواقع، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك أمورًا في الواقع لابد للدولة التي تقوم على فهم إسلامي أن تأخذ منها موقفًا، وأمورًا أخرى سيكون موقفها منها إطلاق حرية الاعتقاد رغم المخالفة. وهناك أمور ستضع فيها حجم المعاداة للغرب. حتى الآن ما زلت متأثرًا بما قرأته منذ عشرين سنة لرفاعي سرور في نظرية الغرب، وأن الغرب كتلة واحدة. لكنني مؤمن بعد ذلك بوجوب التفاعل والتعامل مع هذه الكتل لاستقطاب أفراد منها أو لمحاولة تحييدها أو ما شاكل ذلك. لكن الغرب كنظرية اجتماعية أو نظرية دينية مازلت حتى الآن متأثرًا بها. لكن ليس معنى

تأثري أن تفكيري صحيح، بمعنى أنني الآن موقن بأن أمريكا عدو حتى لو قلت لي إن هناك فريقًا في أمريكا وإدارة أمريكية قادمة، أنا لم أستطع التخلص حتى هذه اللحظة من اعتقاد أن كلهم سواء، وأن النظرية الأمريكية للشرق تقوم على أساس التفتيت وتقوم على أساس الاحتلال وتقوم على أساس الاستعمار بنفسها أو بغيرها. وأقول إن الخطأ الذي وقع فيه بوش أنه أخرج ما تحت المائدة إلى فوق المائدة، وأنه تكلم كلامًا صريحًا، الأول كنا نُضرَب بحكام يتبعونهم، الآن نضرب بهم وهم الذين يستبعدون الأتباع، هذه فكرتي ولا أستطيع التخلص منها أو لم يظهر من الواقع حتى الآن ما يحررني من هذا، لكني مؤمن جدًا بأسلوب الاستقطاب. والحركة السياسية التي من شأنها أن تجعل النصوص الثابتة أحيانًا مستبعدة. أنا مؤمن بأنه يجوز للمسلم أن يستبعد كثيرًا من النصوص الثابتة للمصلحة، مثلما كان يفعل الإمام ابن القيم حينما كان يرى التتار وهم يشربون الخمر، يقول أصحابه له: "ألا تنهاهم عن المنكر؟" فيقول لهم: "لن أنهاهم؛ لأنهم لو استفاقوا فسوف يقتلونكم، أتركهم في المنكر؛ لأنهم سوف يرتكبون منكرًا كبيرًا". أنا مؤمن بأن الحركة التي تقوم على المفهوم الإسلامي يجب أن تتسم بمرونة أوسع في التعامل مع الغرب، لكن ليس باعتقاد مختلف، وإنما بمرونة أوسع، وبقدرة على التحرك أوسع.

في النهاية نستطيع أن نقسم كل ذلك إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل الأستاذ عمر التلمساني والتعرف عليه، ومرحلة ما بعد التعرف على الأستاذ التلمساني وكان هو المدخل الحقيقي لخلق كثير من الشخصيات العامة، لست وحدي وليست نقابة المحامين وحدها، إنما صناعة كثير من الشخصيات العامة، وانتهت هذه المرحلة بوفاته تقريبًا. أصبحت الانطلاقة بمفعول الدفعة التي أعطاها لهذه الحركة، لقد عشت حتى يومنا هذا بالدفعة التي أعطاها لي، دخولي في منطقة المهندس أبي العلا والدكتور محمد عبد اللطيف والدكتور عبد المنعم أبي الفتوح أعطاني دفعة جيدة جدًا للبقاء والاستقامة على أفكار متفق عليها أكثر ما هي داخل دائرة تنظيمية أو على مجموعة أشخاص تفكر، وعندما تناقش مسألة سياسية تكون محل اتفاق وتوافق واحترام للعقلية ليس هناك بُعد كبير بينها، من الممكن حدوث خلافات كثيرة، ومن الممكن أن أكون بالنسبة لهم غير منضبط لكن في النهاية هم يتوافقون لمصلحة وغايات معينة، يتغاضون عن أشياء غير متفق عليها مقابل الاستمرار، ومهما يحدث عندما تقابلنا مشكلات يكون التوافق أو الاتفاق الفكري أكثر من مسألة الانضباط، هذا من وجهة نظري. مسألة الانضباط التنظيمي رأيي فيها أنه لا يوجد ما يسمى سنة ٢٠٠٤م انضباط تنظيمي، إنما كان هناك اتفاق وتوافق وتبادل لوجهات النظر؛ لأن هذه المسائل لابد أن

تؤخذ بشكل يتلاءم مع طبيعة العصر، من هذا المنطلق ومن خلال هذه الأرجوحة التي تدور في الذهن ذهابًا وإيابًا يحدث نوع من أنواع الانفلات أو عدم الانضباط، لكن كيف تحقق هذه المعادلة؟ أن تخلق منفردًا وتظل متوافقًا مع الآخرين فهذه معادلة، والله هو الذي يوفقك فيها. حركة الإخوان حركة تشعرك بتحقيق غايات شريفة ونبيلة، فكيف أنك تجمع بين الحسنيين؟ هذه مسألة تتطلب شيئًا من تحمل النقد الشديد، تحمل بعض الاستبعادات وأشياء كثيرة، نوع من أنواع الرصد. لم تكن المعاناة تسبب الحدة في التعامل، هناك آخرون تجد أن المعاناة من هذا الانفلات ترتب عندهم حدة وتحديًا وإجراءات، فالزمن والأيام تختلف، فهناك مَن يكسر الكلام، وهناك من لا يهتم، ومَن يتعامل مع الواقع، ويتعامل مع الطاقات التعامل المثمر في تحقيق الهدف النبيل المشترك. وعندما ينتهي مفعول الدفعة أعتقد أن الإنسان يحتاج إلى مراجعة أو بحث عن دوافع أخرى أو طرق أخرى لمواصلة طريقه.

إذا أردت شهادتي في أشياء لا علاقة لي بها، فأنا أذكر أن محمد عبد السلام فرج جاء لي وقال: "أريد زيارة رفاعي سرور"، فاصطحبته وذهبنا إليه. عبد السلام فرج أنا أعرفه؛ لأنني كنت أترافع عن هؤلاء كلهم، وفي إحدى المرات طلبني لأترافع عنه وكنت حينها محبوسًا وهو لا يعرف وكان مصرًا على ذلك، فقالوا له: "وكِّل محاميًا آخر" فقال: "أنا أريده"، فسألوني ما علاقتك به؟ وغير ذلك من أسئلة كثيرة. ومحمد عبد السلام فرج كان عقلية كما وصفه منتصر وكان رجلاً يبحث بشدة ويريد أن يصل وكان نشيطًا جدًا لكن كان هناك من هو أنشط منه وهو محمد سالم الرحال. فمحمد سالم هو الذي أسس تنظيم الجهاد ١٩٧٩م، وكان تنظيمًا حقيقيًا، وكانت حركته خفيفة بعض الشيء أي أنه إذا قابل أحدًا في الشارع كان يكلمه، ولدرجة أنه كان إذا قابل امرأة تتسول ولكن محجبة كان يكلمها. والحجاب في هذه الفترة كان موضة أكثر منه عقيدة، فأية امرأة تريد أن تتسول كانت ترتدي الحجاب فقد كان يكمل الدور، وذهب إلى إحدى البلدان وجمع الناس وأخذ يحدثهم عن أفكاره فكان أنشط ولكنه أخف. بينما كان محمد عبد السلام أقل حركة ولكنه أعمق فكان يأتي إليّ ولا يقول لماذا يريد مقابلة رفاعي؛ لأن ما يريد أن يتكلم مع رفاعي فيه لا يستطيع أن يُحَدِّث أحدًا عنه؛ لأن رفاعي كان أنضج فكرًا منا وأعقل بالإضافة إلى أنني محام، ومسألة محام هذه كانت في السبعينيات شيئًا مكروهًا، كانت بلطجة بل كان إذا ذهب أحد المحامين للزواج من فتاة يقول الناس لأخيها: "وما الذي يجبرك على تزويج أختك من محام، هل هي بها عيب؟ اتق الله يا رجل". وغير هذا من التعليقات.

احتمال أن محمد عبد السلام من هذا المنطلق طلب مني فقط أن أصحبه، والحقيقة عندما صحبته لمنطقة (الرشاح) وهي منطقة عشوائية، فكل المناطق التي في المطرية مناطق نشأت ثم جعلت الحكومة منها أحياء، والرشاح ظلت البيوت بها أكثر من ٣٠ سنة تشتم رائحة المجاري والصرف الصحي، جمهورية مصر العربية كلها كانت كذلك، وكانت هناك ترعة كبيرة والبيوت عليها آخر انسجام، وقرى ونقطة شرطة وكل شيء، لم يلتفت أحد إلى هذا المكان إلا بعد فترة طويلة جدًّا؛ حيث قاموا بردمه ورصف الطريق. ورفاعي وغيره من آلاف الناس نشأوا في هذا المكان، وتركت لهم الحكومة سواء عن ضعف أو عن رغبة إدارة هذه المناطق، فكانوا مثلاً هم من يقومون بجلسات التحكيم، وكان رفاعي من كبار أهل هذا المكان أي كان من الكبار في المكان أو من شيوخ هذه المنطقة. وبدأ محمد عبد السلام يعرض ما يريد. لقد ذكرت أن فكرة المناظرة أو احتمال الرأي الآخر أو التسامح الاجتماعي كل هذا ليس ضمن الأفكار التي نشأت عليها الحركة الإسلامية في مصر في فترة السبعينيات، فمن الممكن أن أربيك على أشياء كثيرة جدًّا فعلى سبيل المثال من الممكن أن أربيك على أن تقف ساعة أو اثنتين أو ثلاث على قدميك ولكن لا أستطيع أن أربيك على تحمل الرأي الآخر أو أنني قد أهملت في تربيتك على أنه كما تستطيع أن تقف على قدميك ساعة أو ساعتين عليك كذلك أن تقف للحوار والاستماع ساعة أو ساعتين. اهتموا بجانب جيد في بناء النفس الإنسانية، وإعداد المجاهد وغيره، لكن الجانب الثاني كان مهمًّا، لذلك في كل مرة كان يتم فيها حوار كان ينتهي بمعركة.

وأنا جالس لا أعرف ما هو الموضوع، لكن عندما عرفت الموضوع قررت التدخل؛ لأن أنا من أحضرت رفاعي، وسمعت كلامًا عن تكتلات وجيش وأنا ليس لي علاقة بهذا فتدخلت من هذا المنطلق، أنا لا أدافع عن نفسي، فالقضية حكم فيها وانتهت، ولكن لأني وجدت أن الموضوع يدور حول ترتيبات معينة من أفراد، وهذا ما يؤكد لنا أن أمر اغتيال السادات لم يكن سريًّا، فكل الناس كانت تعرف ذلك جيدًا إلا الأمن بالطبع، وأكثر من ذلك قضية الفنية العسكرية، المُبَلِّغ فيها كان أستاذ دكتور - هو دكتور الآن في الجهاد - ذهب وأبلغ بنفسه قبل الحادث. ولكن لا أدري إذا ما كان رجال الأمن قد صدقوه أم لا، فهذا كلام لابد أن يذكر؛ لأني عندما أرى الأستاذ فؤاد علام يتحامل على التقارير في إحدى شهاداته، فأنا أرى أن هذه الشهادة كانت زائفة؛ لأن الشهادة الحقيقية أنه لابد من الاعتراف بحقيقة وضعه في هذا الوقت، ولابد من الاعتراف بأن الجميع كانوا يعلمون بأمر مقتل السادات، أما لماذا لم يتحرك أحد؟ وماذا كانوا ينتظرون فهذا أمر آخر، فقد كان

كل واحد يقول لصاحبه: "فلننتظر إلى الغد فسوف تكون هناك مفاجأة في العرض"، وكان هذا الكلام يقال علنًا. من ضمن الكلام العلني طريقة انتحار محمد عبد السلام فرج (خذ عندك معلومة "ضعها في شهادتك) أن محمد سالم الرحال مؤسس تنظيم الجهاد سنة ١٩٧٩م جاء لي البيت وقال لي: "أنا مستعد أدفع رشوة كما تشاء لعدم مغادرة مصر". قبل قضية الجهاد بستة أشهر ذهبوا له بيته طالبين ترحيله، هل هناك متهم أول تذهب له الداخلية تطلب ترحيله! هذه أسئلة لابد من الإجابة عنها، ليس هذا فقط أنا ذهبت بنفسي وقدمت طلبًا للإبقاء على محمد سالم الرحال، محاميه يطلب الإبقاء عليه! وأتعهد بأنه سوف يلتزم بالقانون؛ لأنه كان مقبوضًا عليه ١٩٧٧م، وأنه لن يشكل خطورة ووعدتهم بذلك. ورُفِض طلبه وحاولت التوسط له عند أشخاص. وبعدما سافر بأربعة أشهر اكتشفوا أنه هو المسئول الأول في قضية الجهاد سنة ١٩٨١م. وهذا لابد له من أحد أمرين: أنهم كانوا يعلمون ذلك لكن أخفوه لعلة ما، أو أنهم لم يكونوا يعلمون بذلك، ولكن هذا ظهر في التحقيقات مع الخمسة الذين قبضوا عليهم واعترفوا بكل شيء تحت التعذيب؛ حيث ذكروا تفاصيل كاملة لكل ما حدث في ١٩٨١م وذكروا أسماء شخصيات ومعلومات، ولابد أن نعلم أن ٢٢٪ من الأسماء المتهمة في قضية الفنية العسكرية اتهمت في قضية ١٩٧٩م وهي نفس أسماء الذين اشتركوا في أحداث ١٩٨١م.

لكن كل الأمور كانت واضحة وتحركات محمد عبد السلام كانت واضحة وعلنية، وهذا ما شجعني على التدخل والقول له آسف توقف هنا، وقلت لمحمد: "أنا لم آت إلى هنا لهذا الكلام ولم آت بك إلى هنا لهذا"، وأحدثت ضجة في ذلك اليوم وحدثت مشادة بينهما ولكني أصلحت بينهما وتركنا المكان على هذا بعد أن أُقفل الموضوع؛ لأنني كنت طرفًا فيه، ولكنهما التقيا بعد ذلك سويًّا، وهذا ما حدث يوم أن كنت معهما. وكان الكلام عن عمل سري ولكن في شكل علني، وهذا كمن يصرخ على شخص ما بصوت منخفض جدًّا ولكن وهو واقف في شرفة المنزل والجميع يراه وإن لم يكن يسمعه. فالشكل الذي تم به العمل كان سريًّا ولكن العمل نفسه كان علنيًّا جدًّا. وتكلموا مع شخص ما ولم يقتنع به، ألم يعرفوا أن هذا الشخص سوف يقوم بالإبلاغ عنهم، نفس الأمر ونفس المنهج اتُّبِع مع (سامبو) الذي حكى عنه منتصر، سامبو كان سواق تاكسي، وأثناء إحدي الجلسات اشتد الحديث عن أحداث الزاوية الحمراء، فتحمس وقتها وقال لابد أن يكون للمسلمين قوة، "سامبو" هو صبري عبد النعيم، وقال: "نعمل إيه؟" تصادف أن الذي كان يجلس إلى جانبه هو نبيل المغربي، قال له: "نقاتل"، قال له: "كيف؟" قال له: "نحضر سلاحًا أما أنت

فقاتل بما في يدك"، قال له: "أنت ما هو عملك؟" قال له: "أنا سواق تاكسي"، قال له: "قاتل بالتاكسي"، قال له "كيف؟"، قال له: "أنت تصحبنا إلى صحراء الفيوم ونتدرب". سامبو بعد مرتين شعر بأن الموضوع خطير، وفي إحدى المرات ركب بجانبه ضابط، فقال له ماذا لو أن أحد أصحابي وقع في مشكلة كذا وكذا، وحكى له الوضع فماذا يفعل، فرد عليه الضابط يجب أن يبلغ الشرطة، وأنا سوف أكون بجانبه وسوف أساعده؛ لأني في مديرية الأمن وأرسل لي بعد أن يبلغ عن نفسه. ولكن بمجرد نزوله من السيارة أخذ رقم التاكسي. ولم ينتظر "سامبو"؛ حيث قام بالإبلاغ بالفعل في نفس اليوم، وكان هذا الكلام قبل ١٩٨١م.

وهناك عملية سطو على سلاح تمت قبل أحداث سيد قصراوي، وسيد قصراوي كان في نفس المنطقة التي كنا فيها وقتل فيها سيد، وكان فيها نبيل المغربي، كل هذه المعلومات كانت متوافرة وعلنية ومصورة فيديو، والبوليس كان يعرف موعد اللقاء الخاص بموضوع الرشاش، وأخذ كاميرا فيديو وصور الناس وهم يهربون، وكان يعرف نبيل المغربي ومع ذلك تركه، وبعد ذلك قبضوا عليه في ١٩٨١م. كلام الحقيقة غير مهضوم، كل هذه كانت ألغازًا منها الجزء الذي ذكرته أن طريقة كلام محمد عبد السلام مع رفاعي كانت طريقة علنية جدًّا عندما كان يعرض عليه أمر قلب نظام الحكم لكن في السر. هذا باختصار شديد ما رأيته في الشهادة.

شهادة عصام العريان

أنا نشأت في قرية ريفية من ريف الجيزة قريبة من القاهرة على بُعد حوالي سبعة كيلو أو ثمانية كيلو من الأهرامات اسمها (ناهيا) درست فيها التعليم الابتدائي، ونشأت في بيت متدين، الوالد يعمل في التعليم وخلفيته في الأساس أزهرية، والأم ربة بيت مصرية عادية جدًّا لم تكمل تعليمها أو لم تدخل المدرسة، وإخوة كلهم في مراحل التعليم المختلفة كنت أنا أصغرهم. درست الابتدائي في هذه القرية، أنا نشأت يتيمًا؛ لأن والدي توفي وأنا في سن ست سنوات تقريبًا أو ثماني سنوات والذي تولى تنشئتنا هي أمي التي كانت ترعى أرضنا وتأخذ معاش الوالد وتدير شئوننا. إخوتي كلهم سبقوني في التعليم ولم يتجه أحد منا للعمل في فلاحة الأرض إطلاقًا، كلنا تعلمنا؛ فأخي الأول دخل الأزهر ثم دار علوم، والثاني هندسة، والثالث تعثر في التعليم وحصل على الشهادة الثانوية وانتسب لكلية الحقوق ولم يكمل فعمل بالشهادة الثانوية. أنا التحقت بمدرسة الأورمان

الإعدادية النموذجية في منطقة الدقي، وهذه كانت نقلة بالطبع، وقد أكملت دراستي في مدرسة الأورمان الثانوية أيضًا.

فأصبح لدي فريقان من الأصدقاء ورفقاء الدراسة، فريق المرحلة الابتدائية في بلدنا ومازلت كلما أعود للبلد – لابد من الذهاب إليها باستمرار أسبوعيًا أو في الأسبوع مرتين أو على الأكثر كل أسبوعين أو ثلاثة في مناسبات عائلية أو مناسبات اجتماعية أو لقضاء واجب العزاء – أتقابل مع زملائي الذين تحول البعض منهم إلى العمل في فلاحة الأرض أو التجارة والبعض الآخر ممن يستكملون دراستهم، الفريق الثاني من زملاء الدراسة الحضارية وهؤلاء من مستوى طبقي مختلف تمامًا من سكان مناطق الدقي والعجوزة والمهندسين وكنا نطلق عليهم لقب (شلة الأورمانجية) وحتى الآن مازالت العلاقة مستمرة. أكملت تعليمي الثانوي وحصلت على مجموع كبير فكان من التلقائي أن أتجه لكلية الطب فاتجهت لكلية الطب.

نشأت نشأة دينية عادية؛ حيث كنت أحافظ على الصلاة والصوم، منذ الصغر عندي نوادر كعادة كل الشباب الصغير في التدين في بدايات التدين في الصلاة وفي الكُتَّاب، ذهبت إلى الكُتَّاب وحفظت القرآن لكن المفارقة أني تنقلت بين عدة كتاتيب؛ لأنه من الواضح أني كنت طفلاً مشاغبًا فلم أستطع الاستقرار في كُتاب واحد أثناء الدراسة، وبالتالي حفظت القرآن بأكمله ولكن بجهد خاص بعد ذلك ليس في الكُتَّاب، وإنما في الدراسة الجامعية وساعدني في ذلك أحد الأقارب فقد استطعت حفظ ثلث القرآن والباقي أكملته بجهدي الذاتي والحمد لله ثَبَّتُّه في السجن تثبيتًا قويًا، أظن في الثانوية العامة أو في السنة الثانية كان لدي رفقة أصدقاء نذهب للصلاة معًا، وأتذكر أول كتاب قمت بشرائه؛ حيث كان في منزلنا مكتبة خاصة فإخوتي يحبون القراءة كانت هذه المكتبة تمثل بالنسبة لي ثروة قيمة لما تضمه من المجلات (المصور، روز اليوسف، صباح الخير) الخاصة بفترة الأربعينيات والخمسينيات فقد كنت أقضي معظم أوقاتي في قراءة هذه الكتب خصوصًا في فصل الصيف. تكوَّن جزء من ثقافتي من قراءة قصص إحسان عبد القدوس تقريبًا كلها، ومقالات فكري أباظة القديمة، وتقريبًا سلسلة روايات عالمية والقصص المسرحي، إلى أن قامت والدتي (رحمها الله) في صيف من الصيفات بالإطاحة بها فجأة ونحن مشغولون فاعتبرت أننا خسرنا ثروة لا تُقَدَّر بثمن.

في الصيف الذي كنت فيه في فترة الثانوية العامة كدت أصعق بالكهرباء من سلك أباجورة على المكتب، هذه الحادثة لها تأثير كبير في حياتي؛ حيث خرجت بعدها للسير على الجسر بمفردي

وظهرت فكرة الموت في هذه الحادثة أمامي وكانت فرصة لمحاسبة النفس على ما قدمته في حياتي. عُدت من هذه الجولة بقرار داخلي هو أنه لابد لي من معرفة ديني أكثر من ذلك، وخدمته والتعمق فيه. في عام ١٩٦٩/١٩٧٠م كان هناك مدرس يدعى محمد شعبان من مجموعة التنظيم الطليعي أسس لجنة أطلق عليها اسم (لجنة مساندة العمل الفدائي) فاشتركت في هذه اللجنة مع بعض الأصدقاء عن طريق عمل لقاءات في المكتبة، هذا ساعد في تشكيل جزء من وعيي السياسي في مساندة القضايا العربية وما يتعلق بها. كان محل إقامتي فترة الإعدادي والثانوي في القاهرة في حي الأزهر في شقة مع مجموعة من الطلبة الأزهريين وكنت أصغر فرد بينهم. ولحسن الحظ كان بجوار السكن بائع للجرائد كنت أمر عليه أثناء عودتي من المدرسة وأقرأ كل المجلات والجرائد من غير أن أدفع له نقودًا مقابل هذه القراءة، وكنت أرجع لبلدتي يومي الخميس والجمعة.

دخلت الجامعة وخلال هذه الفترة بدأت التعرف على الخطباء المشهورين، وكان أشهرهم الشيخ كشك، الذي كان ذا جاذبية شديدة جدًا وفي نفس الوقت كان مرحًا ولطيفًا وخطبته مؤثرة جدًا، وكنت أذهب لسماع خطبه وأقوم بتسجيلها والاستماع إليها مرة أخرى مع أفراد أسرتي. وقد تعرفت عليه شخصيًا بعد ذلك عن قرب وتعرضنا للسجن سويًا، وكنت أذهب لزيارته في منزله، واستمررت على هذا المنوال فترة ليست بالقصيرة من التردد على الشيخ كشك ومن بعده بدأ الشيخ إبراهيم عزت يلقي خطبة الجمعة في مسجد المدينة المنورة بحي المهندسين ثم في مسجد أنس بن مالك، إلى أن بدأت التعرف على الكتب الإسلامية التي بدأت تظهر آنذاك مثل كتابات سيد قطب، ومحمد قطب. خلال هذه الفترة سكنت في المدينة الجامعية بحكم أني من الريف وكان بها مجموعة كبيرة من المتدينين وأول شيء يحتاجه هؤلاء هو وجود مكان لأداء الصلاة فبدأنا البحث عن مكان لإقامة الصلاة وبالفعل نظمنا صلاتنا والدروس الدينية أيضًا. أنا أتذكر أن أول كتاب اقتنيته شخصيًا كان كتاب "رياض الصالحين" قمت بشرائه من أحد الأصدقاء، وهذه النسخة مازلت أحتفظ بها على الرغم من شرائي عشرات النسخ من نفس الكتاب بعد ذلك لكن أتذكر أنني دوّنت عليها عبارة (الأورمان الثانوية)، وهو من الكتب اللطيفة المفيدة السهلة التي تعطي ثقافة إسلامية متنوعة في مختلف مجالات السلوكيات الحياتية.

خلال هذه الفترة بدأنا كمجموعة طلبة في كلية الطب العمل على وجود نشاط طلابي وإن كان هناك مجموعة قد سبقتنا في النشاط من خلال جمعية دينية (الجمعية الدينية) وكان يرعى هذه

المجموعة أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد المنعم أبو الفضل. لم نكتف بهذا إطلاقًا وتجمُّعنا في المدينة الجامعية كان يمنحنا فرصًا مختلفة لتبادل الأوراق، المذكرات، الكتب الممنوعة في هذا الوقت. ووجودنا أيضًا في القصر العيني أعطانا فرصة للاحتكاك بالمعتقلين السياسيين الذين كانوا يترددون علينا لتلقي العلاج. كان نشاطنا الطلابي يتوجه دائمًا إلى اللجنة الثقافية ويقوم بالترشح لها في اتحاد الطلبة من ذوي الميول الإسلامية أو الدينية وكانوا يلاقون تعنتًا شديدًا جدًّا في الحصول على ميزانية محترمة، فبدأ التفكير في ترشيح أنفسنا في الاتحاد كله. وفي هذه الفترة أرادت اللجنة الثقافية بكلية الطب وبعض اللجان في كليات أخرى أن تنظم معسكرًا إسلاميًّا على مستوى الجامعة كلها. وأعتقد أن هذا كان أول معسكر في عام ١٩٧١/١٩٧٢م. وهذه المعسكرات أدت إلى إيجاد نوع من تبادل الخبرات أكثر واحتكاك بالوعي لكنه اصطدم بالشغب الكبير الذي حدث في الجامعة في عام ١٩٧٢م الذي عاصرناه في بداية الدخول للجامعة فاسترعى انتباهنا من خلال الحيوية التي تميز بها. لكن الحق أنا أستطيع القول أنه لم يتعرض أحد لي أو يناقشني في الأفكار التي كانت مطروحة (الأفكار الاشتراكية، الأفكار الناصرية، الأفكار الشيوعية) فلم يكن هناك توجُّه مباشر إلى شخصي، فقد تعرفت على هذه الأفكار من خلال ما قرأت عنها في الكتب وبدأت التعرف عليها من خلال شيء من الجدل النظري الداخلي. وكان اقتناعي بالفكرة الإسلامية اقتناعًا نهائيًّا ومصاحبًا لي منذ قدومي من بلدتي ولا يوجد أدنى شك عندي في أن هذه الفكرة فكرة صحيحة وسليمة، وأنها فكرة صالحة للتطبيق على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

حدث تطور في حياتي الجامعية وهو أني انتقلت إلى مرحلة العمل والدعوة لهذا الأسلوب في التفكير ولهذا المنهج في الحياة وكان العنصر المؤثر في ذلك هو إدراكي أن الموت قريب في أية لحظة بالنسبة لي، وبالتالي فأنا كرجل مؤمن بالله ومؤمن بالآخرة وبالحساب أتساءل ما هو كشف حسابي قبل أن يتحدث معي أحد عن العمل الإسلامي والعمل الجماعي فقد كان شعورًا شخصيًّا داخلي. أتصور أن النقلة الكبيرة في نشاطنا الطلابي والتي أدت إلى قفزة نوعية هي قرار دخولنا انتخابات اتحاد الطلبة كاتحاد كبير؛ لأنه كان يقتضي قدرًا كبيرًا من التنسيق مع أعداد أكبر، وعندما بدأ لم يكن في كلية واحدة؛ لأنه من خلال المدينة الجامعية كانت تتوفر لنا أطراف من كل الكليات متدينين، فكانت الأفكار تتناقل بسرعة والتحمس يزداد لها خصوصًا إذا كانت ذات جاذبية وقابلة للتطبيق فهذا ما حدث أعتقد في عامي ١٩٧٢/١٩٧٣م. وكنا نرى مشاكل تمويل المعسكرات الإسلامية على مستوى الجامعة، وحجم الفساد في أوجه الصرف لاتحاد الطلبة السابق، اتحاد الطلاب في هذه

الفترة كان يمر بمشاكل مفصلية؛ لأنه انتقل لمرحلة التنظيم الاشتراكي الشمولي وإلى مرحلة مختلفة وغالبية الذين عارضوا السادات في هذه الفترة كانوا ينتمون لمنظمة الشباب التي كانت تشرف على اتحادات الطلبة، وبالتالي حدثت خلخلة شديدة في هذا المجال.

من واقع احتكاكي باتحاد الطلبة منذ البداية إلى أن استقر خلال سنتين بسيطرة شبه تامة على كل اتحادات طلاب الجامعة بل انتقل لجامعات أخرى أستطيع القول بكل صدق بأنه لم يكن هناك توجيه من أية جهة ولا صفقات، لكن الأمر كان يسير بطريقة طبيعية. وأنا أتذكر على سبيل المثال اللقاءات التمهيدية لأول اتحاد كنت فيه واللقاءات التي حدثت بعد ذلك كان تفكيرنا متجهًا إلى الخدمات فغالبيتنا من المدينة الجامعية وهي دائمًا مليئة بالمشاكل فكان لابد من تنسيق اتحاد الجامعة مع اتحاد الكليات واتحاد المدن الجامعية. وكان اتحاد المدن الجامعية هو الأهم؛ لأنه كان به نوع من الصفقات أو "التفاوض الصعب مع الإدارة" حول الوجبة الغذائية، ومتعهد توريد اللحوم، وتكدس الطلبة في السكن، وتوفير ملاعب وتجهيزها. كل هذه الأشياء تحتاج إلى عمل جاد وأنت تمتلك قوة ضغط في أنك من الممكن أن تُضرب عن الطعام ويؤيدك في ذلك أربعة آلاف طالب تقريبًا في المدينة، فكان التوجه الطبيعي والتلقائي هو التوجه الخدمي. وأنا أرى بعد إعادة النظر أنه اذا كانت الاتجاهات الأخرى خاصة الاتجاهات اليسارية تعتني بتوجه النواحي الفكرية وما يسمى بالقضايا الكبرى فإنه يمكن القول بأن اليساري كان من الأولى له أنه يهتم بالنواحي الاجتماعية خاصة الطبقات الفقيرة ويدافع عن مصالح الفقراء عن طريق تقديم الخدمات لهم لكنه منشغل بـ (سنة الضباب، والصلح مع إسرائيل). في حين أننا نحن كاتجاه إسلامي كان الأفضل أن نهتم بالقضايا الكبرى، على أي حال تركز تفكيرنا وعملنا في اتحاد الطلبة على الجانب الخدمي في هذا المجال.

تنوع النشاط الخدمي الطلابي في طبع كتب رخيصة الثمن أو عمل رحلات بأسعار مخفضة. أنا أتذكر رحلة الأقصر وأسوان التي كانت حلمًا لمعظم الطلبة فقمنا بتوظيف الميزانية لعمل رحلة إلى الأقصر وأسوان في الجامعة بتكلفة خمسة جنيهات مثلاً وهذه رحلة تستمر لمدة أسبوعين وقيام الاتحاد بها يعتبر إنجازًا كبيرًا جدًا. من المفارقات أن الاتحاد نجح في الفوز باللجنة الفنية ولم يكن لديه أي تخطيط للأعمال التي سوف يقوم بها، ودار نقاش حول عمل هذه اللجنة، واستقر بنا الحال إلى الموافقة على اقتراح أمين مساعد اللجنة محمد عبد اللطيف على دعوة الفنان محمد نوح الذي كان في بداياته الفنية عامي ١٩٧٤/ ١٩٧٥م بالمسرحية الغنائية الشهيرة (مدد مدد شدي حيلك

يا بلد). المشكلة الحقيقية في ذلك الوقت كانت التعارض بين إقامة حفلة موسيقية غنائية والاتحاد يمثل الاتجاه الاسلامي وبدأت نقاشات وجدال حول إمكانية اختلاط ورقص بين الطلبة والطالبات أثناء ذلك الحفل. فيما يتعلق بنشاط الجوالة فقد كان يشترط لمن يريد الترشح للجوالة أن يكون جوالاً ونحن لم نختر في قائمتنا الانتخابية أحدًا منهم ولكن الكثير منهم عندما شاهد عملنا في المجال الخدمي انضم إلينا ومعظمهم تدينوا وأصبحوا الآن من الإخوان. من الأعمال الجادة للنشاط الطلابي في ذلك الوقت هي الدخول في مفاوضات من أجل تعديل جداول الامتحانات لاستبدال أيام الامتحانات بيومين بدلاً من يوم ويوم. هذا الزخم للنشاط الطلابي أدى إلى وجود شعور عام بأن هذا الاتحاد مسنود بقاعدة شعبية لأول مرة في تاريخ انتخابات اتحاد الطلبة، فقد وصلت نسبة الحضور إلى ٨٠٪، ووسط هذا الحضور الكثيف لم يكن من الممكن أن يدعي أحد أن الانتخابات فيها تلاعب وأحيانًا كانت توجد منافسة شديدة بيننا وبين الاتجاهات الحكومية خاصة بعد انسحاب الاتجاهات اليسارية من الساحة مبكرًا باستثناء كلية الإعلام والسياسة والاقتصاد، لكن في معظم الكليات لم توجد مقاومة، وهذا تكرر بعد ذلك في العمل النقابي. هذا الاتهام يتردد كثيرًا أن الاتجاهات الإسلامية أو الإخوان المسلمين يسيطرون باكتساح وأنا شخصيًا أرى أن هذا ليس في صالحنا (أقولها بمنتهى الصدق) لا على المستوى الطلابي ولا على المستوى النقابي ولا البرلماني ولا حتى في الحكم أن يوجد اتجاه اسمه مكتسح؛ لأنه لابد من حدوث توازن، فكانت المنافسة دائمًا مع اتجاه حكومي أو مدعوم من الحكومة وهذا الاتجاه لا يصمد في المنافسة؛ لأنه أمام الناس الحكومة دائمًا مكروهة وأعتقد أن أحد أسباب شعبية الاتجاهات الإسلامية أنها تقع تحت ضغط من الحكومة. وأنا أعتبر أن فترة السجن تمثل راحة بالنسبة لنا من الضغط الشعبي بدلاً من التواجد خارجه وعدم القدرة على إحداث التغيير المطلوب في الأحداث.

هذه الفترة شهدت تحولاً آخر مهمًا جدًا غير دخول اتحادات الطلبة وهو أنه منذ دخولي اتحاد الطلبة إلى أن تخرجت في الجامعة كنت أول شخص يطلق عليه (أمير الجماعة الإسلامية) في جامعة القاهرة، وكانت بالصدفة؛ لأني أظن في اجتماع لصوفي أبي طالب مع اتحاد طلبة الجامعة ذكر أنه يعرف بوجود جماعة إسلامية في كلية الطب، فقالوا له إنها موجودة على مستوى الجامعة، ولم يكن يعلم ذلك فأخبروه أن الدكتور عصام العريان هو أمير الجماعة على مستوى الجامعة، وأعتقد منذ عام ١٩٧٥م أو ١٩٧٦م بدأنا في عقد اجتماع وإنشاء مجلس شورى. القرار الثاني الخطير هو أننا بعد فترة بدأنا نفكر في هذا المد الإسلامي الكبير الذي استقر وبدأ ينتشر في الجامعة، وامتد لجامعات أخرى

فبدأنا في زيارة جامعات أخرى ودعوتهم لحضور المعسكر السنوي لجامعة القاهرة. هذا المعسكر كان يعقد في المدينة الجامعية باستمرار وكان يحضره ما بين ألف وخمسمائة لألفي طالب غير الطالبات اللاتي اقتصر حضورهن على فترة النهار والانصراف بعد ذلك عكس الطلبة الذين كانوا يبيتون في هذا المعسكر الذي يُعد فرصة جيدة جدًّا لترشيد الأفكار وتقويم السلوك. وكنا على هامش المعسكر نناقش برامجنا للسنة القادمة ونقيِّم ما قمنا به في السنة الماضية ونقوم بطباعة بعض المطبوعات ونقوم بتوزيعها على المعسكر وغير ذلك. وقد أخذ المعسكر دفعة قوية عند استضافته للشيخ محمد متولي الشعراوي مرتين؛ الأولى كانت في إستاد الجامعة وكانت مفتوحة للجمهور وحضرها عدد غفير جدًّا، أما المحاضرة الثانية فكانت في قاعة الاحتفالات الكبرى (قاعة جمال عبد الناصر سابقًا) وقد اعتذر الشيخ محمد متولي الشعراوي عن الحضور وكنت أنا المسئول عن المعسكر في ذلك الوقت ورفضت أن يحاضر أي شخص آخر مكان الشيخ الشعراوي وانصرف الجميع.

عندما التحقت بالجامعة كان هناك ما يسمى (الجمعية الدينية) في كلية الهندسة وأظن (لجنة التوعية الدينية) في كلية الطب، لكنها كانت غير مقنعة بالنسبة لنا؛ لأنها لم تكن تمثل نشاطًا حقيقيًّا وكانت أشبه بالشكليات. عندما تبلور تفكيرنا نتيجة قراءات مختلفة وأدركنا أن النشاط الإسلامي نشاط مكتمل به رحلات ومعسكرات وندوات أصبح، هناك احتياج إلى أن يكون النشاط أوسع من ذلك، وهذا دفعنا إلى الدخول في الاتحاد فنحن نحتاج إلى مجال أوسع من أجل ممارسة هذا النشاط ونحتاج إلى تمويل لم نستطع توفيره ونحن طلبة، ووفر لنا الاتحاد هذا التمويل في هذه الفترة، وأصبح البحث عن اسم لهذا الاتحاد هو الشغل الشاغل لنا بدلاً من (الجمعية الدينية) وكنا بدأنا نقرأ للأستاذ المودودي فعرفنا أن في باكستان جماعة اسمها الجماعة الإسلامية، وهذا الاسم كان أكثر تعبيرًا عن التوجه الإسلامي.

خلال هذه الفترة ما بين عام ١٩٧٢م وعام ١٩٧٥م تقريبًا بدأ التفكير في توسيع النشاط فبدأنا في استضافة الطلاب من جامعات أخرى مثل المنوفية، والزقازيق، وقمنا بزيارات متبادلة مع جامعة الإسكندرية التي كانت تسير في نفس الخط تقريبًا دون اتفاق فكان هناك نوع من التوافق وليس الاتفاق والاستفادة بالخبرات فكل جامعة كان لها ما يميزها عن الأخرى، بمعنى أن هناك نوعًا من الاختلاف التنوعي لكن في نفس الاتجاه وإنما الاختلاف في طريقة التنفيذ والتفكير. هذا التميز بالنسبة للإسكندرية مرجعه أنها مدينة واحدة وجامعة تمثل هذه المدينة، والمدينة كلها على شريط

ترام والوجود الإخواني كان أسبق كبلورة، عكس جامعة القاهرة التي بدأت أساسًا الكتلة الأساسية في المدينة الجامعية. نحن في هذه الفترة كنا المجموعة التي يمكن القول إنها تشكل قيادة هذا النشاط من كليات مختلفة، وكانت تمثل القيادة في كلية طب قصر العيني، وسيطرتنا على الاتحاد أتاحت لنا أن نأخذ مقر الاتحاد وتوسيعه والإقامة فيه ليالي والمبيت ليلة الخميس في الكلية حتى الفجر. وأنا أتذكر جيدًا أنها كانت من الليالي العظيمة في تاريخنا وفي حياة كل فرد منا يتذكرها؛ لأننا كنا ننام على الأرض ونصوم ونفطر، وفي الصباح نمارس الرياضة، ونذهب أحيانًا لزيارة المقابر، وأحيانًا أخرى نذهب إلى المقطم في رحلة خلوية فامتزجنا امتزاجًا كبيرًا جدًّا جدًّا نتيجة هذا السهر الأسبوعي المتوالي، فالإسلام كدين يعطي آليات وليس فكرًا يعطي نوعًا من الأشياء التي يضفي عليها صبغة العبادة، وإذا أحسن استخدام هذه الآليات فستكون مادة قوية جدًّا لتشكيل الإنسان مثل الصيام، وقيام الليل، والاعتكاف، كل هذه الممارسات لها قدرة كبيرة في تشكيل الإنسان.

العبقرية أيضًا في التفكير في توظيف هذه الآليات لإحداث تغيير في فكر وسلوك الإنسان والتي تجلت في الجماعات الحركية وخاصة في جماعة مثل حسن البنا (الإخوان المسلمين)؛ حيث وظف هذه الأمور لصياغة إنسان مكتمل من الناحية الفكرية، ومن الناحية الروحية، ومن الناحية البدنية، ومن الناحية السلوكية، نوع من التوفيق العجيب أن الإنسان لا يكون متضخمًا فكريًّا وضامرًا سلوكيًّا، على سبيل المثال تجد إنسانًا مفكرًا عظيمًا، زعيمًا كبيرًا — من الأشياء التي سببت لي صدمة كبيرة جدًّا في سعد زغلول على سبيل المثال أنه زعيم كبير لكن (قماراتي) يلعب القمار فكيف أضمن أنه لن يقامر بالبلد كلها إذا كان هو يجلس على الترابيزة ويلعب بآلاف الجنيهات - لكن التركيبة الإسلامية لهذا الإنسان أنه مع ضرورة فكره الواضح والتزامه الفكري يجب أن يكون لديه التزام سلوكي، أن يكون عنده بُعد روحي، وله صلة بالله وليس إنسانًا جافًّا، وهذا يحفظ على الإنسان توازنه في أشياء كثيرة. والقدرة الروحية هي التي تساعد في النهاية على تحمل فترة السجن والتمسك بالمبدأ والأفكار عند الخروج منه، وهذه هي أكثر الأشياء التي ميزت جيل الإخوان، إنه جيل تمسك بعقيدته، بفكرته، بمنهجه، برؤيته رغم كل ما حدث له من أحداث بشعة وقد تأكدنا من ذلك عند دخولنا السجن.

هذه الليالي التي تحدثت عنها كانت في كلية طب القصر العيني. أما في كلية الهندسة فقد كان لها طابع خاص وعصام الشيخ كان له طابع (هو صديق عزيز جدًّا ومازالت صداقتنا متصلة حتى

الآن) لم يكن من الإخوان ولكن كان له موقف فكري متقدم واتخذ موقفًا من الإخوان على الرغم من أن من قاموا بتربيته أشخاص يعتبرون من الإخوان لكن موقفه لا أدري إذا كان والده له تأثير عليه في ذلك أم أنه هو الذي قرر ذلك. سارت بقية الكليات تقريبًا في اتجاه كلية الطب في جامعة القاهرة ومعظم الجامعات كانت أيضًا قريبة التأثر بمنهج طب قصر العيني الذي كان من الكليات الأساسية في تشكيل الحركة الطلابية ليس فقط في جامعة القاهرة، وإنما في جيل السبعينيات بأكمله على مستوى مصر. قامت الكلية باستضافة أشخاص عالميين أمثال عبدالله شليفر المسئول عن مركز آدم بالجامعة الأمريكية، وصبغة الله مجددي رئيس أفغانستان بعد التحرير لإلقاء محاضرات صغيرة، وأيضًا الشيخ محمد نجيب المطيعي كان له دروس منتظمة أحيانًا.

بدأنا نفكر كيف يعني هذا الزخم؟ وإلى أين سوف يذهب هذا المد الذي بدأ في الانتشار؟ فقد كان أمامنا أحد طريقين ظللنا أشهرًا أو سنة تقريبًا نفكر إلى أي منهما ننضم كمجموعة أساسية تتكون من سبعة أفراد من كلية الطب وكلية الهندسة وكلية الزراعة، وقد انحسمت في نهاية عام ١٩٧٥م. ومعظمنا كنا في كلية طب القصر العيني من الأساس واحد أو اثنان من كلية الزراعة والهندسة من خارجنا الذين يعتبرون قريبين جدًا من نفس طريقة تفكيرنا وكانوا يمثلون المرجعية لهذا النشاط منهم الدكتور عبد المنعم والدكتور محمد عبد اللطيف والدكتور محمود غزلان والدكتور عصام حشيش وأنا والدكتور سناء ومحمود غنيم، وحسن توفيق، الطريق الأول هو أن نكون شيئًا مستقلاً أي جماعة مستقلة؛ لأن فكرة العمل الجماعي استقرت تمامًا لدينا بعد الإحساس بفائدتها من خلال النشاط الذي قمنا به، فهي فكرة تضم إليك أنصارًا جدًا وتضم إليك امتدادًا مكانيًا في كل الجامعات وفي كل الكليات، والطريق الثاني أن ننضم إلى جماعة قائمة ولم يكن هناك جماعة قائمة لها منهج مستقر ونحن على اقتناع به إلا الإخوان فبدأنا ننظر إلى منهج الإخوان بطريقة نقدية.

فكرة انضمامنا إلى الإخوان لها ثلاثة مصادر، المصدر الأول: كان من الكتابات الإخوانية وبالطبع كتابات سيد قطب كانت لها رونق كبير جدًا وكتابات محمد قطب أيضًا، وبدأت تتسرب إلينا كتابات حسن البنا وهذه كتابات مركزة جدًا لكن بها نضوج شديد للفكرة فهي كتابات تتميز بوضوح الفكرة ووضوح المنهج. المصدر الثاني: كان الدعاة والمشايخ الذين لهم صلة قديمة بالإخوان أو مازالت؛ لأنهم كانوا الزاد الرئيسي الذي كان يأتي منهم لإلقاء محاضرات في المناسبات أو في المعسكرات مثل الشيخ الغزالي والشيخ السيد سابق والدكتور عيسى عبده والأستاذ التلمساني

والأستاذ مصطفي مشهور والأستاذ لاشين أبو شنب. المصدر الثالث: اللقاءات الفردية التي كانت تتم في عنبر المعتقلين للأشخاص الذين كانوا يترددون أثناء فترة العلاج أو الأشخاص الذين بدأوا في الخروج من عام ١٩٧١م و١٩٧٢م ولهم لقاءات بطلبة من أقاربهم أو جيرانهم أو معارفهم.

في هذا الفترة حسمنا أمرنا فقد رأينا من الأفضل لنا ولجيلنا أنه بدلاً من إنشاء جماعة جديدة والتعرض لتجارب جديدة والوقوع في أخطاء جديدة، أن نستفيد بتجارب مَن سبقنا من الإخوان وهم لديهم خبرة ومنهج سليم، وقد كان لنا تحفظاتنا كشباب أن هؤلاء أصبحوا كبار السن على سبيل المثال التزامهم الشخصي والسلوكي مثل إطلاق اللحية وعدم تعليق صور في منزلك وغيره. (عندما دخل الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح مكتبه في اتحاد طلبة الجامعة كنائب لرئيس الاتحاد كانت هناك صورة للسادات فقام بوضع الصورة جانبًا ولم يحطمها بحذائه على العكس من أحمد ناصر في نقابة المحامين فقد خلع حذاءه وظل يضرب في صورة السادات أو مثل ما فعلوا في صورة الجلبي في العراق؛ حيث قاموا بتحطيمها). وأعتقد أنه لم يكن موقفًا شخصيًّا من السادات بقدر ما هو موقف من فكرة تعليق الصورة. وبحكم الامتزاج بين التيارات كلها كانت الفكرة السلفية من الناحية العلمية ذات بريق، فالفكرة السلفية فكرة بسيطة جدًّا ومغرية وأي إنسان علمه ديني وتخصصه بسيط يجد فيها شيئًا عظيمًا جدًّا جدًّا، فهذه الفكرة كانت تسيطر على تفكيرنا وكانت أحد مصادر القدوة. المشكلة الكبيرة التي ظهرت في هذه الفترة أن الكتاب الإخواني كان ممنوعًا في فترة طويلة فيما عدا كتب الشيخ الغزالي، والشيخ السيد سابق، وهذا الكتاب لم يكن كافيًا من الناحية العلمية التي تؤثر لدرجة الإقناع، فالكتب السلفية تقوم على الفكرة البسيطة التي تجذب بسرعة مما أتاح الفرصة لكتب من هذا النوع من الفكر وخصوصًا الفكر السلفي أن تنتشر، وهو ما يحدث في موجة التدين الحالية نتيجة الحصار الشديد على الفكر الحركي سواء إخوانيًّا أو غير إخواني، وعلى العمل الحركي بصفة عامة وتحديدًا الإخوان. أما السلفيون فلم يكونوا متبلورين كسلفيين، الفكرة السلفية كانت موجودة عندنا نحن، وساعد على انتشارها أن السعودية في هذه الفترة بدأت تمطرنا بمجموعة كبيرة من هذه الكتب من الهيئة العلمية للإفتاء لم نقم بتوزيعها على الطلبة في تلك الفترة بعد مراجعتها. وكان لدينا في مكتبة الجامعة التي سيطرت عليها الجماعة الإسلامية مكتبة قيِّمة جدًّا ومتنوعة في التفكير بها العديد من الكتب مثل (قصة الحضارة) للمؤلف (ويل ديورانت)، هذا التنوع لم يجعلنا نقع أسرى للفكرة السلفية رغم بساطتها وتلقائيتها.

في الإسكندرية كان يغلب عليهم الطابع السلفي بعض الشيء وكان معهم مجموعة من السلفيين وعندما عرضوا علينا أول منهج تثقيفي كان يغلب عليه الطابع السلفي، عندما بدأنا نراجعهم حدث امتزاج نسبي من حيث تنوع المادة لكن لم يكن هناك اتجاه سلفي قوي. الاتجاه السلفي القوي تبلور مع بداية اندماجنا نحن مع الإخوان عامي ١٩٧٥/١٩٧٦م، فبدأ في الإسكندرية وليس في القاهرة في المدرسة السلفية التي تأسست على يد محمد عبد الفتاح، ومحمد إسماعيل، وأحمد فريد ردًا على التزامنا والمجموعة الأخرى بالإخوان، لكن ظلت الصلة طيبة وتجسد ذلك في أحداث الزاوية الحمراء عندما جاءوا للاشتراك معنا فنصحناهم بالعودة مرة أخرى فالتزموا. الفرق الكبير أننا جيل امتزج كإسلاميين مع اليساريين في جامعة القاهرة تحديدًا وكانت صلتنا مع الجميع في جامعة القاهرة كإسلاميين إخوان مسلمين وسلفيين طيبة حتى مع بداية العنف حتى عام ١٩٨١م.

ليس لدي أدنى معرفة عن التحقيقات التي أجريت مع ناجح ومجموعته التي ذكروا فيها أنهم اتصلوا شهرًا كاملاً بمحمد فرج وعبود الزمر لكنني أعتقد أن ذلك في بداية عام ١٩٨١م أو أواخر عام ١٩٨٠م عندما بدأت الصلات والتعارف، لكن الاندماج والعمل المنظم من الممكن في عام ١٩٨١م بضع شهور، هذه الشهور هي شهور القطيعة التي بدا فيها كل فريق يتمايز، وفي فترة السجن تمايز الجميع وظهر بوضوح. أما ما ذكره ناجح أن نشاط الجماعة الإسلامية حتى عام ١٩٧٥م تركز بشكل أساسي حول مواجهة الأفكار الشيوعية وهذا كان هدفًا واضحًا جدًا في التقائه مع محمد عثمان إسماعيل فقد كان يتحدث عن مجموعة أسيوط، نحن احتكاكنا بأسيوط بدأ في عام ١٩٧٤ أو ١٩٧٥ وهذا لم يحدث في مجموعتنا إطلاقًا، فاحتكاكنا باليساريين والشيوعيين أولاً ولم يكونوا المسيطرين على اتحاد الطلبة فقد كان رئيس اتحاد طلبة الجامعة ممدوح مندور (أظن قبل ممدوح مندور كان في القاهرة بعد عبد الحميد حسن، حمدين صباحي ومن بعده عبد المنعم أبو الفتوح) فلم يحدث بيننا احتكاك على عكس فترة حمدين وعبد المنعم عندما كان حمدين رئيسًا وعبد المنعم نائب رئيس اتحاد كان هناك تنسيق وعندما ذهبوا للقاء السادات الشهير تحدث حمدين فترة طويلة جدًا جدًا بالطريقة الفكرية التي ذكرتها وعبد المنعم تحدث بصراحة أدت لفشل اللقاء. إذًا لو أن فكرة التنسيق والاستخدام واردة ما كان ليحدث ما حدث في هذا اللقاء. وأنا أعتقد أن ما ذكره ناجح من الممكن أن يكون صحيحًا في أسيوط لأسباب كثيرة منها إمكانية تقبل الفكر اليساري في مجتمعات حضارية لكن في مجتمع صعيدي وريفي وهو بطبعه مجتمع متزمت. وللأسف عند حديثي مع أحد الأصدقاء من جنوب اليمن ذكر أنهم عندما كانوا يساريين وشيوعيين وماركسيين

كانوا أشد ماركسية من الجماعة الموجودة في بكين أو الجماعة التي توجد في مصر وتتركز في الصعيد فهذه مسألة صعبة جدًا.

أنا أعتبر أن أهم ما يميز هذه الفترة هو فكرة الخلاص الفردي في أن كل فرد لا يريد العمل للمجموع ولا يقوم بأي نشاط ولا حركة ويريد أن يتخلص من ذلك يتجه إلى الصوفية أو يتجه إلى السلفية ويجد فيها فرصة لإطلاق اللحية وارتداء الزي الإسلامي (الجلابية) فقط، وهذه ليس بها مشكلة بالنسبة له. خطورة هؤلاء عند الأمن وتجعلهم يطاردونهم؛ لأنهم يعتبرون المخزن لأي فكر حركي، فأي فكر حركي يظهر يصبح هؤلاء بالنسبة له جاهزين للاستحواذ عليهم. أنا فوجئت وصدمت أن ما يفعله عمرو خالد الآن يجعله مطاردًا أمنيًا لمجرد فقط أنه يقول للناس كونوا إيجابيين اجمعوا الملابس القديمة ونظفوها وضعوها في أكياس وأعطوها لآخرين في حاجة إليها. وآخرون أنشأوا جمعية من أجل ذلك الغرض فقبضوا عليهم. فالأمن خائف؛ لأنهم الآن يوزعون ملابس قديمة، بعد ذلك عندما تطلب منهم الذهاب للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات ضد الحزب الوطني فسوف يذهبون، فالخوف هنا هو فكرة الإيجابية وهذه مأساة موجودة.

قررنا الانضمام للإخوان؛ لأننا كنا نرى أن أحد أسباب نموها وانتشارها وبقائها واستمرارها قدرتها التنظيمية، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا على الإخوان، وبدأنا نفكر كيف نلتحق بالجماعة فقسمنا أنفسنا مجموعتين أو ثلاث، أنا كان دوري أن أزور الأستاذ كمال السنانيري مع الدكتور حسن، فذهبنا له في بيته في عابدين، وقابلنا مقابلة لطيفة جدًا. أعتقد أن هذا كان في بداية عام ١٩٧٦م، وقال لنا كلمة لطيفة هي: "إننا نرحب بأي فرد مقتنع بفكر الإخوان لكن لا يمكن الانضمام للجماعة بصورة جماعية وإنما الدخول يكون بصورة فردية"، فأخبرناه أننا مجموعة متفقين مع بعض ومعنا آخرون ومجموعات من الشباب، فرد علينا أنه لا يمكن أن يعدنا بأي شيء ولابد من دراسة كل حالة بصورة فردية، فعدنا والإحباط يسيطر علينا إلى جانب الاستغراب فكنا نعتقد أن عرضنا عليهم يمثل فرصة بالنسبة لهم. فما وصل إلينا بعد هذا اللقاء أن لديهم إحساسًا بأن الحركة الجديدة لها حضورها وهي التي قامت ببناء نفسها وليس لأحد الحق في أن يفرض نفسه عليها دون النظر إلى محتوى هذا الفرد.

وكان حظ مَن ذهب إلى الإسكندرية أكثر توفيقًا؛ لأننا اكتشفنا بعد ذلك أن معظم الأقاليم كانت بدأت الصلة بالإخوان بعيدًا عنا. الشباب مرتبط بنا في إطار العمل الطلابي الجامعي والجماعة

الإسلامية في جامعة القاهرة، ولم نغضب منهم عندما علمنا بذلك بل ساعدونا في إيجاد الصلة بينا وبين الإخوان بعد ذلك بشهور فبدأت الاتصالات في الأقاليم بصورة أسرع؛ لأن الناس تعرف بعضها أكثر وبصورة أسلس غير القاهرة المعقدة. ففي الإسكندرية كانت الصلة بدأت صلة إرشادية نتيجة أن الذي كان يوجِّه هؤلاء الشباب أساسًا وهم طلبة في بداية نشاطهم كان على صلة بالإخوان ويتمتع بالمرونة في التفكير وحرية في الحركة. أنا أتذكر أول تكليف لنا هو إقامة صلاة العيد في الخلاء، والثاني هو البدء في الاحتكاك بخط الصعيد عن طريق الذهاب إلى جامعات المنيا وأسيوط وقنا وأسوان؛ من أجل التعرف على الشباب هناك، ودعوتهم وتقريبهم من فكر الإخوان في هذه الفترة. كان لابد من وجود مظلة تجمع العمل الطلابي كله. هذه المظلة نشأت بفكرة إخوانية؛ لأن تفكيرنا لم يصل إلى هذه الدرجة في طرحها تحت المظلة الإخوانية. لابد للعمل الطلابي الإسلامي كله أن ينضبط في سياق جيد ويبتعد عن المشاكل الخاصة بالتكفير تحديدًا. كانت مشكلة التكفير والعنف قبل عام ١٩٨١م أنهم غير مقتنعين بهذا العنف. والعنف الذي حدث في أعوام ١٩٧٤م و١٩٧٧ و١٩٧٩م حتى الآن لم يقتنع به جماعة الصعيد التي انصب تركيزها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (منع الاختلاط، الهجوم على محلات الآلات الموسيقية وبيع الخمرة) لكن العنف المنهج الذي يهدف إلى قلب نظام الحكم لم يكونوا قد وصلوا إلى هذه المرحلة. والذي حدث أننا أنشأنا المجلس التنسيقي وكنت أول رئيس له ومن بعدي حلمي في عام ١٩٧٦م وكنا قد انضممنا للإخوان. هذا الرفض من جانبهم للانضمام إلينا أدى إلى تواتر رواية أخرى تذكر أنه كان هناك جماعة أخرى إسلامية على مستوى الجماعات وهي طلابية ونشأت عفويًا بها التزام داخلي أن تظل طلابية وأن تظل ليست لها علاقة بالتنظيمات خارج الجامعة، وبالتالي حينما انضممنا إلى الإخوان المسلمين بدا هذا كأنه خروج على الإجماع حتى عندما ذهبت أنا والدكتور حلمي إلى الصعيد ودعونا محيي الدين عيسى وأبا العلا وانضما ولم يعلنا ذلك لمدة سنة أو أكثر بقليل حتى علم كرم زهدي داخل السجن في إحدى الفتن الطائفية عام ١٩٧٩م وعلم أيضًا أننا انضممنا للإخوان فبالتالي ظهر كأنهم لجأوا إلى العنف وإلى مفهوم الجهاد كنوع من أنواع التميز عن الإخوان المسلمين المهادنين ونظرية (الفراخ البيضة التي تربى من أجل الذبح).

وتردد أيضًا في هذه الفترة أن نجم سيد قطب تراجع كثيرًا، وعملية تنظيم ١٩٦٥م نقل ما نُسب وما كُتب في شأن تعامل الإخوان معه، وما تعرض له المحسوبون على سيد قطب في المعتقلات (الإخوان) كانت أشبه بحالة من الحصار والتضييق ومنعهم ثم حتى استثنائهم من الاحتضان في

فترة السبعينيات والمعاملة التي لاقوها. بمعنى أن سيد قطب كان هو المُلهم وكتاباته لها تأثير كبير وهو المُنظر الأول للحركة الإسلامية، ففُهم أن ثمة تراجعًا وتضييقًا على سيد قطب خصوصًا مع بعض الانتقادات الضيقة في العظات الإخوانية فروايات المجموعة التي قبض عليها في عام ١٩٦٥م روت كيف كانت المعاملة الرسمية الإخوانية قاسية وصل فيها القول إلى تضييق مصادر الرزق مثل البحث عن وظائف عمل في السعودية في هذه الفترة. قال بعضهم إنهم مُنِعوا من الدخول في المؤسسات فالإخواني فيها منبوذ، هذا مثل نوع من الانقلاب على الفكرة الإسلامية الطاغية. والرد على هذا الادعاء يكمن في حقيقة ما حدث أن الإخوان قالوا إن أفكار سيد قطب لابد أن تنضبط بأفكار الجماعة أو أفكار المؤسس حسن البنا وبالتالي كُتب بحث وعُرض على الإخوان جميعًا، فمن قبل البحث والتزم بتفسير أفكار سيد قطب في هذا الإطار اعتُبر من الإخوان، ومن رفض فليس من الإخوان. أما ربط أن هؤلاء كان لهم تأثير في مجموعة الصعيد أنا أعتقد أن هذا غير صحيح؛ لأن معظم هؤلاء كانوا في القاهرة واتصلوا بنا ولم يتصلوا بالصعيد وعرض بعضهم علينا أفكاره مثل مصطفى الخضيري، وأحمد عبد المجيد، فالذي أعجب بالإخوان من جيلنا أُعجب بالإخوان وليس بسيد قطب ولما حسب سيد قطب حسبوا على الإخوان، وبالتالي لم يحدث عند جيلنا الذي التزم بالإخوان مشكلة مع سيد قطب لا في تفسير كلامه ولا في العلاقة بالإخوان، أو تنعكس المجموعة التي ارتبطت به وسمت نفسها (القطبيين) على علاقته بالإخوان ومازال جيلنا ينظر لسيد قطب على أنه نتاج إخواني أُسيء التفسير وليس شيئًا آخر كما يحاول البعض ترديد ذلك.

أما فيما يتعلق بأن الإخوان كانوا يستغلون العمق التاريخي الذي ظهر في المعاملات الشخصية ونهر أفكار الآخرين لمجرد أنهم صغار في السن وهذا أدى إلى إيجاد أزمة نفسية روج لها في إطار نظرية الاستعلاء. أنا لا أريد أن أجزم بهذا، احتمال أن يكون حدث في أسيوط ولا أستطيع الحكم عليه؛ لعدم درايتي بما حدث داخل المدينة؛ لأن هذا يتوقف على حكمة الأخ الكبير في السن هل كان يعامل الناس على أنهم (عيال)؟ أعتقد أنه حدث معهم في أسيوط؛ لأنه كان هناك مجموعة من الشباب المرتبطين بالإخوان وظلوا مرتبطين بالإخوان داخل جامعة أسيوط، كما ذكرت أنهم كانوا موجودين من قبل ثم جاءت المجموعة الأخرى وأزاحوهم وحاولنا المصالحة بينهم وفشلنا. وفي النهاية حدثت صدامات في فترة الثمانينيات وليس في فترة السبعينيات، ووارد حدوثه في أسيوط؛ لأن القيادات الإخوانية بها لم تكن مُقنعة لهم، ورفع هؤلاء شعارًا أن الإخوان مثبطين (نظرية الفراخ البيضاء التي تربى من أجل الذبح). والإخوان عانوا كثيرًا من التضحيات، لكن أنا أعتقد أن من

المهم جدًا أن يستكملوا مراجعاتهم ويكتبوا بأنفسهم رؤيتهم وليس من أقوال التحقيقات لماذا رفضوا الانضمام للإخوان؟

كنا في هذه الفترة بدأنا نطبع سلسلة كُتيبات اسمها (صوت الحق) عن اتحاد الطلبة واللجنة الثقافية، أعتقد هذه السلسلة أصدرت حوالي ٢٢ أو ٢٣ كُتيبًا في ثقافة متنوعة بعضها للدكتور الأستاذ المودودي، وبعضها للشيخ الشعرواي، وبعضها للشيخ الغزالي، وأشياء أخرى متنوعة، فبدأنا في زيارة الإخوة في المحافظات وإقامة صلاة العيد بالفعل في ميدان عابدين قبل الارتباط واستمرت بعد ذلك. لأن الارتباط بالإخوان مَرَّ بمرحلتين؛ المرحلة الأولى: مرحلة فكرية أنا أعتقد أنها بدأت مع تفكيرنا في عمل منظم ومنهجي كان على فكر الإخوان، ولم يكن أمامنا فكر آخر غير فكر الإخوان الذي تأثر شيئًا ما بالسلفية، لكن هذا التأثر كان في المجال التعليمي ومجال السلوك بعض الشيء. الإخوان طوال تاريخهم لا يركزون على الشكل بقدر ما يركزون على الجوهر فلا إلزام بإطلاق اللحية أو ارتداء الجلابية؛ لأن الإخوان طوال تاريخهم أفنديات. أما السلفيون فلديهم التركيز على الشكل أما التحصيل العلمي فهذه مسألة كبيرة ولذلك أطلقوا على أنفسهم تسمية المدرسة السلفية. فالارتباط الفكري أعتقد أنه ظهر عندما بدأ العمل المنظم وعمل اتحاد الطلاب. أما الارتباط التنظيمي فقد أخذ فترة أعتقد كان في نهاية عام ١٩٧٥م. وكان سلوكنا في هذه الفترة سلوكًا عجيبًا جدًا فمن الممكن أن نهاجم الإخوان علنًا؛ لكي ندفع عن أنفسنا تهمة ارتباطنا بالإخوان المسلمين، وهذا له أسباب كثيرة أولها الخوف من معرفة أهالينا بهذا الأمر مما كان يمثل مشكلة كبيرة جدًا؛ لأن الإخوان ما لبثوا أن خرجوا من السجن وذاكرة الأهالي دائمًا عن الإخوان أنهم خطر. السبب الثاني هو أنه لكي تؤثر في الناس وتدعوهم إلى هذا العمل المنظم فأنت في حاجة إلى عدم إثارة الرعب بإخبارهم أنك منضم لجماعة الإخوان فيرفضون دعوتك وينصرفون عنك. السبب الثالث أن المجموع العام غير مهتم بالعمل التنظيمي، فهو مؤيد لفكر الإخوان لكن الاشتراك في عمل منظم للإخوان فهذه مشكلة كبيرة جدًا. نحن لم نكن نصارع أحدًا بل على العكس نحن كنا نقول العكس للأسباب التي ذكرتها خشية من نشر الخوف بين الناس، فلم نخدعهم في البداية لكن كنا نؤجل إعلامهم لمصلحة كنا نقدرها من شخص لشخص ومن ناس لناس مثل مجموعة الإسكندرية.

وكان المعسكر يضم خليطًا يتراوح ما بين ألف ونصف إلى ألفين من كل الاتجاهات، ومن كل الأفكار، ومن كل المدارس، على الرغم من أنه معسكر إسلامي. وأنا أتذكر في المعسكر الثاني

(توليت رئاسة المعسكر أكثر من ثلاث مرات) قمت بطرد شباب من المعسكر كانوا غير ملتزمين وسلوكهم بالنسبة لي كان مريبًا (اكتشفنا بعد ذلك أنهم ذهبوا عام ١٩٨١م إلى السعودية واشتركوا في حادث الحرم). وكنا أيضًا نتصدى لمن ينتمون إلى أعضاء تنظيم التكفير عندما يقومون بالدعاية لهذا التنظيم داخل المعسكر، وكنا نرصد جميع الظواهر السلبية بتواجد محاضرين وطباعة محاضرات في هذا الموضوع. جامعة الاسكندرية أخذت موقفًا جريئًا في حادثة (التكفير والهجرة عام ١٩٧٨م) التي حدثت أثناء المعسكر فعندما رأوا الأهالي قادمين للمعسكر؛ لاصطحاب أولادهم خوفًا عليهم، خرجوا مرتدين قمصانًا عليها اسم الجماعة الإسلامية ووزعوا أنفسهم على جميع عربات الترام، وألقى كل فرد منهم خطبة واحدة كانوا قد اتفقوا عليها موضحين فيها أن الجماعة الإسلامية في جامعة الإسكندرية لا تُكَفِّر أحدًا ولا تقوم بأحداث عنف وقاموا بعمل دعاية مضادة للتكفير من أجل طمأنة الناس على أولادهم من ناحية، وأن يدفعوا عن أنفسهم شبهة الاشتراك في تلك الأحداث من ناحية أخرى. فقد قام شباب المعسكر بدور كبير في تلك الأحداث وأيضًا قمنا نحن بدور مكمل لهذا الدور، ولكن الجهد الأكبر لنا كان في قضية الفنية العسكرية فقد حضر بعضنا القضايا كاتحاد طلبة والدكتور عبد المنعم حضر قضية ووكلنا كاتحاد طلبة محاميًا مثل الدكتور عبد الله رشوان عن بعض الطلبة الذين كانوا في الجامعة وغير ذلك.

أذكر من الحوادث الهامة ونحن في اتحاد الطلبة أن الطلبة الاشتراكيين والناصريين قاموا ببعض الاضطرابات في عام ١٩٧٦م تقريبًا فعقد الدكتور صوفي أبو طالب اجتماعًا معنا في اتحادات طلبة الجامعة، وتساءل عن دورنا، وأكد على ضرورة أن يكون لنا دور مؤثر في التصدي لهذه الأعمال، فاعترض الدكتور محمد عبد اللطيف وأخبره أننا لن نكون في يد أحد، فكانت كلمة تُعبر عن الموقف الذي تقتنع به المجموعة. والدكتور صوفي أبو طالب جاء لزيارتنا في المدينة الجامعية أثناء أحد الإضرابات ولم يقف زميلنا الدكتور محمد الهادي (كان مدرس رمد وأظن هو الآن يعمل في السعودية وانضم للتبليغ والدعوة وأصبح أحد الناشطين فيها هناك) لمصافحته أثناء دخوله إلى مطعم المدينة فغضب صوفي جدًا من هذا الموقف، وقد عبر عن هذا الغضب عند زيارته في مكتبه أو في بيته واعتذرنا له عن هذا الموقف. وأيضًا قمنا بزيارة الدكتور درويش وكيل الجامعة في البيت من أجل تدعيم العلاقات بيننا وبين قيادات الجامعة، وأيضًا بيننا وبين التيارات الأخرى، فأذكر علاقتنا بالأخ حمدين صباحي؛ حيث كنا نحضر معهم في القضايا التي أقميت ضدهم وفي المحاكم وفي النيابة ونقوم بتوكيل محامين للدفاع عنهم. حدثت احتكاكات لكن كانت محدودة وكانت

أساسًا في كلية الآداب وبعض الشيء في كلية السياسة والاقتصاد لكن عموم الجامعة لم تكن فيها احتكاكات بل كان هناك نوع من التناغم. هذه الاحتكاكات كانت بسبب إقامة معرض؛ ومثال لذلك المقالة الشهيرة لأمينة السعيد التي شبهت فيها الحجاب بالخيمة، فقام اليساريون بتعليق هذه المقالات على لوحات الحائط مما أثار الكثيرين فأرادوا نزعها وكنت المسئول عن اللجنة الثقافية واللجنة الاجتماعية فطلبت منهم وضع الرد على هذا الرأي إلى جانب المقالة بدلاً من تمزيقها، وقمت إلى جانب ذلك بالخطابة ردًا على ذلك في أكثر من مدرج للكلية، في إطار جدلي استفدنا كثيرًا من وجود نشاط هذه التيارات بزيادة نشاطنا لمواجهته مما استلزم منا العمل دائمًا.

الاتجاه الحكومي الذي ظهر في الكلية كان اتجاه مجموعة اسمها "شباب الإسلام" (عدلي مصطفى ووائل عثمان في هندسة القاهرة) وهي المجموعة التي ذكر محمد عثمان إسماعيل في مذكراته والتي نشرت في إحدى الحوارات الصحفية أنه كوّنها في كلية الهندسة ومنها انتشرت إلى طب القاهرة ثم إلى الإسكندرية ثم إلى أسيوط في كلية الهندسة، هؤلاء مجموعة صغيرة جدًا وهم من أشيع عنهم أنهم صنيعة لمحمد عثمان إسماعيل. وفي الحقيقة كانوا على صلة بمحمد عثمان إسماعيل، إلا أن كلية الطب لم يكن هناك منافس لها على الإطلاق، وهؤلاء كانوا في كلية الهندسة وكان دورهم الرئيسي التصدي الفكري للشيوعيين لكن تأثيرهم العام على مستوى كلية الهندسة أو على مستوى الجامعة كان محدودًا ولم يكن لهم أثر يذكر. هذه المجموعة ظلت محصورة في وعيي في هندسة القاهرة وانتهت مبكرًا بسبب النمو المتسارع والمتزايد للجماعة الإسلامية وسيطرتها على اتحاد الطلبة، وبالتالي لم يكن لهؤلاء وجود. كان تفكير محمد عثمان إسماعيل أن يتصدى للفكر الشيوعي أو الفكر اليساري أو الناصري الموجود، وعندما أصبح الفكر الإسلامي الذي حملته الجماعة الإسلامية هو السائد فلم تعد هناك حاجة ماسة لوجود هؤلاء. وأنا أعتقد أن قصة أسيوط مختلفة؛ لأنه انتقل بعد ذلك للعمل محافظًا لأسيوط ومن الممكن أن يكون هذا أحد الأسباب في أن تأثيره في القاهرة أصبح ضعيفًا جدًا، وعند قدومه لأسيوط وجد بها مجموعات مُشَكّلة جاهزة وهي المجموعة التي حاول من خلال وجوده كمحافظ أن يقدم لهم بعض الدعم أو بعض الرعاية. وأنا شخصيًا لم ألتق بمحمد عثمان إسماعيل إلا عندما قمنا بزيارة أسيوط في بعض المشاكل.

بعد تخرجي من الجامعة في ديسمبر من عام ١٩٧٧م لم تنقطع صلتي بالنشاط الطلابي ففي هذه الفترة كنا قد تشكلنا في إطار الإخوان على أساس لجنة الطلبة أو جهاز الطلاب وكان المشرف

عليه الحاج مصطفى مشهور (رحمه الله) وكنا نلتقي بأشخاص لنا سابق معرفة بهم من خلال نشاطنا الجامعي فنفاجأ بأنهم مرتبطون بالإخوان. وخلال هذه الفترة كنت أقوم بزيارات كثيرة لأسيوط والمنيا فقد اصطحبت المهندس أبا العلا والمهندس محيي للتعرف على الحاج مصطفى، وبعد أن اقتنعوا بالانضمام للإخوان أصبحت الدعوة فردية ومحدودة. المشكلة التي حدثت بالنسبة لي أنا شخصيًّا كانت مع فريقين كبيرين؛ الفريق الموجود في أسيوط وهذا الفريق كانت مشاكله كثيرة مما كان يستدعي ذهابي إلى المنيا وأسيوط لحل هذه المشاكل باعتبارنا مرجعية وقادة هذا النشاط الطلابي وكانت درجة استجابتهم لنا متفاوتة ما بين الاستجابة تارة والرفض تارة أخرى، ودار جدل حول الإخوان وأفكار الإخوان، وأذكر أن الفكرة المحورية التي كان يدور حولها النقاش هي فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد سافرت مع الشيخ أسامة عبد العظيم؛ لكي نناقشهم من الناحية الفقهية وكنت في هذه الفترة قد ارتبطت بالإخوان والشيخ أسامة لم يكن قد ارتبط بالإخوان حتى هذه اللحظة (غضب بعد ذلك عندما علم أننا انضممنا للإخوان ولم نخبره) فناقشناهم كثيرًا في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاقتنعوا نظريًّا ثم يغلب عليهم الطابع الصعيدي ويعاودوا ارتكاب نفس الممارسات مما يستدعي أن يقوم وزير الداخلية بالاتصال بحلمي الجزار ويطلب منه الذهاب لأسيوط؛ من أجل إخماد النار التي اشتعلت هناك. وعدم تقبلهم للفكرة في البداية يرجع لعوامل موضوعية خاصة بطريقة التفكير في بيئتهم ومنهجهم في العمل الذي يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في هذه الفترة كان الإخوان بدأوا نشاطًا من خلال تنظيم الإخوان في الجامعات فكان لهم مجموعة موجودة في أسيوط، وهي المجموعة التي سبقت مجموعة كرم زهدي وأسامة حافظ وعاصم عبد الماجد وهي التي تسيطر على النشاط الطلابي الإسلامي، فإذا بالمجموعة العنيفة (مجموعة كرم زهدي) تطيح بهؤلاء وتلقي بهم جانبًا وتسيطر على النشاط ورأينا أنه لابد من استمرار الصلة معهم؛ حتى لا نفقد هذا الوضع، فقد كان هناك عناصر من خارج الجامعة لها أفكار خاصة ضد الإخوان سواء كانوا مشايخ أو ممن سجنوا مع الإخوان ولهم اتجاه آخر، أو صوفيين كانوا على صلة بهم فأبعدوهم تمامًا أو أبعدوا عنهم فكرة الإخوان، إضافة إلى أن العناصر الإخوانية كانت ضعيفة في المجتمع الصعيدي، وهذه عوامل موضوعية أبعدتهم لدرجة أني مازلت أذكر في لقاء في مسجد الرحمن في المنيا مع أسامة حافظ ومجموعة منهم أثناء الحديث عن الانضمام للإخوان كان رده أنه قال: "حتى لو اقتنعنا أن فكر الإخوان سليم ومنهج الإخوان سليم فنحن لن ننضم للإخوان"

فالواضح أن هناك حاجزًا نفسيًّا مانعًا من أن ينضموا إلينا، فأدركت أنها مسألة نفسية، إضافة إلى عوامل أخرى هم أقدر على ذكرها مني. وأذكر في هذه الفترة أنه جرى حوار بيني وبين حسن هلاوي حول فكرة الجهاد المطلق فسألته عن معنى الجهاد المطلق فقال: "يعني أضرب أي أحد بأي حاجة دون أي هدف من غير أية نتيجة" فقلت له: "إن هذا تفكير أهوج لا ينطق به عاقل وليس مسلمًا!" وكان حسن قد حدثت حوارات وخلافات بينه وبين شكري مصطفى وعبد العزيز فذهبوا إلى منزله واعتدوا عليه بالضرب. وفي التكفير كان لنا زميل اسمه وحيد سليمان كانوا استولوا عليه تناقشنا معه بالمنطق والعقل لكنه لم يستجب، فانقطع الرجاء في انضمام هذه المجموعة لكن ظلت الصلة التنسيقية موجودة في إطار ودي ولكنهم هم مَن أشاعوا أن جماعة طب القصر العيني وجماعة القاهرة انضما للإخوان وأوغروا الناس ضدنا. وبدأوا الهجوم علينا من الشيخ أسامة عبد العظيم أحد العلماء الأزهريين وكان يرعى بعض الاتجاهات السلفية، وأيضًا الدكتور عبد الله سعد الذي كان يتزعم في هذا الوقت النشاط الطلابي في جامعة الأزهر، لكن أنا أعتقد أنه باستثناء الشيخ أسامة والدكتور عبد الله كان غالبية من فاتحناهم في الانضمام إلى الإخوان يرحبون جدًّا ويعتبرون أنهم يسيرون على هذا الطريق بشكل تلقائي ولا يوجد لديهم مشكلة نفسية ولا فكرية ولا منهجية نتيجة اقتناعهم بذلك من البداية.

وعندما تنظر إلى كلية الطب لا تجد منها أحدًا في تنظيم التكفير غير وحيد، وفي الفنية العسكرية تجد واحدًا أو اثنين، ولا تجد أحدًا في قضية الجهاد الأولى ولا الجهاد الثانية ولا في أحداث عام ١٩٨١م، فنتيجة أدائك المتميز الفكري والعملي والسلوكي والحركي تستطيع أن تمنع الأفكار الأخرى من غير الدخول معهم في جدال حتى لو جادلت فأنت حجتك أقوى عمليًّا حجتك موجودة على الأرض، إلا أن مجموعة العنف في أسيوط بدأت تشعر بأن ما يجري ليس في صالحهم؛ فالقيادات انضموا للإخوان المسلمين، وهنا جاءت فكرة الاتصالات الخلفية مع مجموعات القاهرة الجهادية، وللأسف أنا أعتقد أن من أكبر الأخطاء بالنسبة لنا في تاريخ الحركة الطلابية هي انضمام هذه المجموعة الطلابية لمجموعة الجهاد؛ لأن مجموعة الجهاد كانت مجموعة صغيرة ونخبوية، ومجموعة الجماعة الإسلامية في أسيوط هي التي أعطت لهم هذا البُعد، وقد اعترفوا بأخطائهم بعد ذلك من خلال ما كتبوه في المراجعات.

من وجهة نظري هناك عاملان رئيسيان لظهور هذه المجموعة: العامل الأول هو ضعف جهود الإخوان في هذه المحافظات وعدم قدرة الشخصيات الإخوانية في محافظتي أسيوط والمنيا تحديدًا بقدر أقل على الإقناع، عكس الوضع في الإسكندرية أنه عندما يطرح عليهم الأستاذ محمد حسين الانضمام إلى الإخوان وهو أستاذهم تتم الاستجابة له؛ العامل الثاني أنه كان لهم شخصيات تمثل مرجعية أمثال الشيخ محمد السويفي، ومعيد في كلية الهندسة اسمه عبد المتعال كان يميل إلى الفكر التكفيري وهؤلاء كان لديهم نفور شديد من الإخوان وأثروا على الشباب الذي تراوح عمره ما بين ٢٢ و ٢٣ عامًا تأثيرًا نفسيًّا. أما في المنيا فلم تكن هناك نفس المشكلة على العكس كان الوجود الإخواني ضعيفًا لكن كان بها شخصية إخوانية محترمة إلى حدٍّ كبير هو الشيخ محمد عبد المجيد ولا يوجد أيضًا العنصر السلبي. أما الزعم بأنهم قاموا بذلك بقصد الانتقام منا فأعتقد أنه زعم غير أساسي إطلاقًا؛ لأنهم يريدون أن يميزوا أنفسهم حركيًّا وليس فكريًّا، حركيًّا؛ لأنهم رأوا أن الجميع انضم إلى الإخوان جماعات من جامعة القاهرة وجامعة عين شمس وجامعة الإسكندرية وجامعة المنصورة وجامعة المنوفية وجامعة الزقازيق وجامعة المنيا فوجدوا أنفسهم بمفردهم وأعتقد أن التمييز احتمال أنه العنصر الأساسي الذي دفعهم بعد ذلك للالتحاق بمجموعات العنف. وأنا أرى أنه إذا كان لجيلنا أن يفخر بشيء في تاريخه فلن يجد أفضل من إنقاذه آلافًا أو عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من الشباب من أن يندمجوا في هذه التيارات سواء كان تيار التكفير والهجرة أو تيار الفنية العسكرية أو تيار العنف (الجهاد) أو غيره؛ لأنني أعتقد أن هذه التيارات كلها نتوءات انفعالية نتيجة أوضاع ليست طبيعية في المجتمع.

نستطيع القول بأن ما قدره الله لنا قمنا بأدائه بصورة معقولة، القدرة على الإقناع أقنعنا بها أناسًا كثيرين، استطعنا وإلى الآن أن نؤثر في الكثير في أن ينضم حركيًّا وتنظيميًّا إلى الإخوان المسلمين، وكنا نختار من ينضم بعناية فيدخل الجماعة باقتناع تام بالأفكار فلا يتجه إلى أية تيارات جانبية وهذا نجح إلى حدٍّ كبير في جامعة القاهرة فلا تجد إلا مجموعة أفراد أو مجموعات نشاز في كلية الزراعة انضموا لتنظيم اسمه (الناجون من النار) في فترة الثمانينيات، وأنا أعتقد أن هذا من الجائز أن يكون أحد أسباب تقدير رئاسة الجامعة وإدارة الجامعة لنا.

خلال هذه الفترة في السبعينيات تخرجنا في الجامعة وأقمنا لقاءً شهريًّا أطلقنا عليه اسم (لقاء الخريجين) كان هدفه الحقيقي هو الإبقاء على صلة بمن نرى أنهم على درجة كافية من النضج

ولكنهم لم يتصلوا بعد بالإخوان، ظلت رعايتنا كمجموعة قيادية سواء الدكتور عبد المنعم أو أنا أو الدكتور سناء أو الدكتور محمد عبد اللطيف أو غيرنا موجودة تُدعى إلى المعسكرات السنوية والندوات واللقاءات فظلت رعايتنا التنظيمية من خلال هذا النشاط الطلابي عند الإخوان المسلمين، وانتقلت صلتنا من إطار الجامعة إلى إطار التنظيم الإخواني الذي يوجد على الساحة. بدأنا التردد على مجلة الدعوة ومحاولة الكتابة فيها، وأنا أتذكر أول مرة أسافر خارج مصر في حياتي غير العُمرة فقد سافرت خارج مصر للعُمرة والحج وأنا طالب باشتراك في اتحاد الطلبة وهذه كانت أحد الإنجازات الكبيرة التي أدت إلى إيجاد نوع من التأثير في هذا النشاط الطلابي أن تقوم بعمل رحلات عُمرة بأسعار زهيدة. والأسعار الزهيدة كان سببها أنك لا تتاجر ولا تفكر في المكاسب المادية، في الوقت الذي تتكلف فيه رحلة العمرة الكثير لدرجة أن مَن يسافر ينتظر حتى موسم الحج ويعمل هناك خلال هذه الفترة. وكثير منهم تأثر بالفكر السلفي لكن ما يميز المصريين عامة أن مَن تأثر بالفكر السلفي كان تأثره سطحيًا ولم يتعمقوا مثل السلفيين وأعتقد أننا كلنا تأثرنا بالفكر السلفي لدرجة أن الذين مازالوا أصدقاءنا من زعماء الحركة السلفية والمدرسة السلفية تشعر بأنهم مختلفون عن السلفيين من بلاد أخرى فتجد فارقًا كبيرًا بين السلفيين من الجزائر والسلفيين من اليمن والسلفيين من السعودية وهذه نقطة هامة في هذا التاريخ.

في نهاية السبعينيات تم إنشاء ما يسمى بالاتحاد العام للجامعات والجمعيات الإسلامية وكانت نتيجة مزيج فكرة إما إخوانية وإما إخوانية مشتركة مع آخرين، وكان يرأسه المرحوم المرشد عمر التلمساني ويحضره شخصيات مثل الشيخ سليمان ربيع، وكنت أنا أحضره ممثلاً لطلاب الجامعات على الرغم من تخرجي في الجامعة، فكنا عندما نعقد مؤتمرات أو ندوات عامة في مساجد مثل الأزهر ومسجد النور وغيرها كانوا دائمًا يدفعون بي كمتحدث مثل المؤتمر الاحتجاجي أظن على كامب ديفيد في مسجد النور بالعباسية وأنا أتذكر أني ألقيت كلمة كانت شديدة جدًا على السادات في هذا المؤتمر (لا أدري إذا كانت اختزنت حتى تم إلقاء القبض علينا في عام ١٩٨١م أم لا).

في أحداث الزاوية الحمراء كنت أنا والمجموعة كلها برئاسة الأستاذ عمر استضفنا النبوي إسماعيل من أجل تهدئة الأوضاع وكبح جماح التطرف عند الإسلاميين أو منع اشتعال فتنة، فسافرنا لأسيوط وتحدث الأستاذ عمر والشيخ حافظ معهم في مسجد الهداية، وهذا ما دعا أحد قيادات الفنية أن يقول إن الجيل الذي تنتمي له – باستثناء قدرات تنظيمية هائلة للأستاذ مصطفى

مشهور والأستاذ الدكتور أحمد الملط والأستاذ كمال السنانيري - يعتبر هو الذي لعب دورًا كبيرًا في التأسيس السلمي. والدليل على ذلك وجود محافظات كاملة لا يوجد بها أحد والقدرة التنظيمية الإخوانية كانت قوية بها، وإن الذين خرجوا من السجن كان لديهم تفكير في إمكانية إعادة بناء التنظيم من عدمه. في الإسكندرية كان هناك وجهة نظر تنادي بإلغاء التنظيم؛ لأنه سيصبح شركة عالمية للنشر ويصبح العمل عملاً ثقافيًا وفكريًا ودعويًا. من وجهة نظري أن هذا تاريخ آخر لم أشارك فيه، لكني أعتقد أننا استفدنا كثيرًا من قدراتنا التنظيمية من احتكاكنا بالمجموعة الرئيسية أمثال الأستاذ مصطفى مشهور، والدكتور أحمد الملط، والأستاذ كمال السنانيري، والأستاذ عمر التلمساني فلم يكن في القيادة التنظيمية إنما كان قيادة فكرية ودعوية وصدرًا رحبًا، الفكرة واضحة، والتضحيات، والعناصر، والإصرار، والصبر. كما ذكرت أن أحد الأشياء التي يمكن أن نفخر بها في تاريخنا أننا وجّهنا تيارًا شديدًا جدًا من الشباب إلى فكر معتدل في تقديرنا ونظرتنا قد يراها الآخرون تطرفًا لكن نحن في تقديرنا أنه كتيار في وسط التيارات الإسلامية هو التيار الأكثر اعتدالاً والأجدر على خدمة الوطن والأمة بكل المفاهيم (الوطن المصري، الأمة المصرية، الأمة العربية، الأمة الإسلامية). أعتقد أن هذا حدث وأن جهدنا كان كبيرًا جدًا في هذا المجال على وجه الخصوص بعد عام ١٩٨١م وليس قبله الذي كنا نتحرك فيه بصورة مستترة كقيادة طلابية.

لم يقتصر الأمر على الندوات والمؤتمرات الداخلية فقد كنت أُدعى للسفر في الخارج فسافرت لحضور مؤتمر (الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية) في ماليزيا، وقد دعت له منظمة شبابية اسمها (ابيم) حضرت أنا وأبو العلا والأستاذ يوسف كمال، وهذه الرحلة كان لها تأثير كبير في رؤيتي كمسلم وشاب؛ حيث شاهدت وتعرفت على مسلمين من مختلف بلاد الدنيا يتكلمون بلهجة واحدة وبفكر واحد. أظن بعد أحداث الزاوية الحمرا وقبل الاعتقالات سافرت مع الأستاذ مصطفى مشهور إلى مُخَيَّم شبابي في فرنسا، وعند العودة أمر السادات في سبتمبر باعتقال الحاج مصطفى وأتذكر أنه لم يعد وسافر إلى ألمانيا وعدت أنا. بعد أيام أو أسابيع تم إلقاء القبض عليَّ من بيتي وكنت تقريبًا أول أو ثاني شخص يدخل السجن ولم أذهب إلى القسم بل من البيت إلى سجن الاستقبال فورًا والذي قابلني وقتها كان محسن السرساوي ومازلنا أصدقاءً؛ لأنه داخل السجن عندما اختاروا لجنة للإدارة والتنظيم من الأسماء المعروفة كان لي دور في هذا تمثل في أن أقرأ لهم الجرائد وعندما قتل السادات قمنا بعمل تمرد. وأذكر من المواقف التي تعرضت لها قبل اغتيال السادات بشهور أو بسنة تقريبًا عندما طلب مني أحد الأصدقاء الذهاب معه لمقابلة شخص

لا أدري من هو حتى الآن لديه فكرة يريد عرضها علينا وذهبت معه إلى شبرا (أرض المشاكل، أرض الفتن كما أسميها) وهناك وجدت شخصًا يشرح قصة انقلاب وسيطرة على البلد، وتناقشت معه وسألته: "إذا نجحت فكرتك وقرر الأمريكان مهاجمة البلد ماذا ستفعل؟" فقال لي: "إن الشعب سوف يقف معنا." فقلت له: "أنت لم تعتمد على الشعب حتى يقف معك". هذا اللقاء استمر لمدة نصف ساعة أو ساعة لا أكثر وانتهى. وعرفنا بعد ذلك أن قصة اغتيال السادات منتشرة في الشوارع في شبرا والهرم وفي كل مكان (نحن كنا في السجن منذ ليلة ٢، ٣ سبتمبر وظللنا به لمدة طويلة)، لكن فكرة اغتيال السادات كانت موجودة قبل ذلك. وبعد القبض علينا في عام ١٩٨١م بدأت مرحلة أخرى جديدة.

شهادة كمال حبيب

هذه الشهادة فرصة جيدة تُشجع على إمكانية أن يتحدث المرء عن تجارب عاشها كان فيها بعض الألم وبعض المعاناة وبعض الأشياء التي أحيانًا أنا شخصيًا أحاول الابتعاد عنها، لكن حتى وجدت أشخاصًا كثيرين ممن شاركوا في أشياء أعرفها وأشياء شاركت فيها تكلموا في بعض هذه الأشياء على الإنترنت وهنا وهنا، فأصبح من الضروري أن نذكر ما عرفناه وما شاهدناه وما شاركنا فيه. فهذه بالطبع خطوة هامة خاصة وأني اقترحت باعتبار أن هذه الشهادات وثائق هامة اقترحت أن تجمع كمادة للباحثين وبعد ذلك تصبح أرشيفًا هامًا لهذه الفترة التي لا يعرف الكثير عن تفاصيلها. أنا أعتبر أن هذا التاريخ ليس ملكًا لي وهذا يجعلني أتحفظ أحيانًا في أن آخرين قد شاركوا فيه ويغيبون عنه الآن، فمن الممكن ألا يكونوا موجودين في مصر، أو موجودين في السجن، ومن ثم تجعل المرء يتحفظ قليلاً في أن يذكر أشياء ربما ليست ملكًا له وحده، لكنني سأحاول بقدر الإمكان أن نلقي ضوءًا أو نلقي النظرة على مجمل ما حدث وتفصيلاته.

أنا من مواليد ١٩٥٧/٣/٢٦م، ولدت في قرية اسمها ديمشلت من أعمال مركز دكرنس التابع لمحافظة الدقهلية. وأعتقد أن القرية شكلت نوعًا من الوجدان الديني عندي خاصة فيما يتصل بمسألة الصلاة ونحن صغار وشكل المسجد وبساطته. والناس في الريف يمثل الدين بالنسبة لهم شيئًا هامًا يكاد يكون جوهر أفكارهم، الفكرة الدينية تسيطر على حياتهم في الحديث عن الصلاة وما يتصل بها. هذا بالإضافة إلى أنني احتمال أن أكون أمثل الجيل الأخير في قريتي الذي حضر الكتاتيب، وهو مثل (KG 1–KG 2) الآن. حفظت القرآن تقريبًا، حفظت حوالي ٢٠ جزءًا بعد

أن وصلت الخامسة الابتدائية حفظًا جيدًا. كنت آخر عريف بعد ذلك انتهت ظاهرة الكتاتيب في البلد وبدأ الناس يتجهون للاتجاه العلماني في التعليم. ولكن كان عادة أهل البلد في هذه الفترة أن أبناءهم الذين لا يريدون إدخالهم الأزهر بعد الصف الخامس الابتدائي يتحولون بشكل كامل إلى الاستعداد للسادسة الابتدائية، وبالطبع كان هناك تواز للكُتّاب مع المدرسة العادية التي نذهب إليها، وأعتقد أن فترة الكتّاب مثلت مصدرًا مهمًّا من مصادر تكويني الوجداني فيما يتصل بالقرآن وبالتدين وفيما يتصل بهذه الأشياء. فأنا أتذكر جيدًا هزيمة ١٩٦٧م، وكيف كان يجلس الناس على المساطب أمام بيوت القرية - كان بيتنا ضخمًا وكبيرًا وأمامه مساطب — للحديث عنها، كانت قصصًا مريعة جدًّا أنا أذكرها جيدًا في مسألةِ الهزيمة الشديدة وما حدث من انسحاب ومآسٍ مما سمعتها كثيرًا، وكيف كان الإسرائيليون يطوفون بالطيران على رءوس المنسحبين أو المهزومين ولا يطلقون عليهم النار كنوع من بث الرعب فيهم. على كل حال أعتقد أني كنت متفوقًا في دراستي، فبعد أن أنهيت المرحلة الابتدائية انتقلت مع الأسرة من الريف إلى المدينة (مدينة المنصورة)؛ حيث قمنا بشراء بيت هناك وتركنا القرية كجزء من تصور لدى الأب والأم أن مستقبل أبنائنا مرتبط بالمدينة وأن التعليم شيء أساسي، الأسرة سواء كان الأب أو الأم ينصب تفكيرها في ضرورة تعليم أبنائها مهما كلفها ذلك فهي مسألة حيوية بالنسبة لها. أقمنا في المنصورة ودخلت مدرسة ابن لقمان الإعدادية، وهي مدرسة ضخمة بها فصل للمتفوقين. وبعد ذلك انتقلت منها إلى مدرسة النهضة الإعدادية التي كانت بجانب منزلنا، ثم دخلت مدرسة الملك الكامل ودخلت القسم الأدبي؛ لأن توجهاتي كانت توجهات أدبية.

أذكر وأنا صغير في فترة تكويني الفكري كنت معجبًا بمكيافيللي في فترة الثانوية فكان يُدرس لنا الوحدة الإيطالية. وكنت أذهب إلى دار الكتب الموجودة في المنصورة على النيل وأقضي بها فترة الصيف كلها. كنت أنزع لقراءة الكتب السياسية وكان وقتي يتوزع تقريبًا ما بين دار الكتب وقصر الثقافة في المنصورة في هذا الوقت. وكنت أشارك في أنشطة ثقافية في هذه الفترة، فأنا دخلت القسم الأدبي المتوافق مع ميولي رغم أن كثيرين أشاروا عليَّ بدخول القسم العلمي، في الثانوية العامة كنت الأول على محافظة الدقهلية، وخلال تلك المرحلة كانت تحدث نقاشات كثيرة بين الطلبة أشارك فيها حول الماركسية والأفكار الشيوعية، وأذكر أن أحد أصدقائي كان أخوه الأكبر ماركسيًّا فكان يأتي بالكتب التي تروج لهذا التيار مثل نظرية التطور لـ "داروين" والحديث عن أن هناك مرحلة وسيطة بين الإنسان وبين الأنواع الأدنى منه، لكنني كنت بطبيعتي أرى أن الأفكار غير

الدينية متناقضة مع تكويني الفطري الطبيعي. وانحيازي في هذه الفترة ومازلت حتى الآن كان لمسألة الفقراء والعامة، وكان انحيازي لها انحيازًا نفسيًّا. أذكر أني في فترة الثانوي قد بدأ يحدث نقاش ديني على التوازي مع بعض الأشخاص الذين كانوا متدينين في المساجد التي كنت أصلي فيها حول السنة والقرآن. بدأت بعض بوادر الظاهرة الإسلامية تظهر في هذا الوقت قبل أن ندخل الجامعة لدرجة أنني أطلقت لحيتي في تلك الفترة، لكنني لم أكن أعلم لماذا أطلقتها هل لسبب ديني؟ هل شكل من أشكال التمرد؟

بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية بنجاح التحقت بالجامعة في كلية الاقتصاد سنة ١٩٧٦م، وبدأت أصبح فاعلاً في كلية الاقتصاد أتبنى الأفكار الإسلامية وأدعو لها. وفي النصف الأول من هذه السنة بعد إجازة نصف العام قررت أن أطلق لحيتي، وكانت تسود في هذه الفترة روح دينية عامة تمثلت في مساعدة المرضى وغير ذلك من الأعمال الاجتماعية، وكنا نستغل فترة ما قبل المحاضرات في مدرج الكلية وندعو الطلبة إلى أشياء لها طابع اجتماعي مثل الحجاب. وأنا أذكر أن أول كتاب قرأته هو كتاب (التبرج) لنعمت صدقي التي روت فيه تجربتها الشخصية مع الحجاب. وانخرطنا في هذه الفترة في بداية تكوين ما يسمى بالجماعة الإسلامية، ولا أظن أن كلية الاقتصاد قبل أن أعي أنا شخصيًّا كان فيها أي نشاط إسلامي يذكر للجماعة الدينية التي كانت موجودة تحت هذا الاسم باستثناء بعض الشخصيات أذكر منهم أخًا (يعمل في الخارجية الآن) كان يرتدي الزي الإسلامي ويطلق لحيته، لكن لم يكن فاعلاً فقد كان لديه نزعة صوفية بعض الشيء، واتضح ذلك عندما تشاجر في إحدى المرات مع إحدى الممثلات بالكلية (ليلى حمادة تقريبًا) وهاجمها وحدثت مشكلة كبيرة حينها.

كانت هذه هي البدايات لكن بداية تبلور وجود الجماعة الإسلامية في كلية الاقتصاد كان مع جيلنا نحن؛ حيث بدأ فيها النشاط إسلاميًّا باجتماعات للطلبة والطالبات تحت ما يسمى باسم الجماعة الإسلامية فأصبح هناك اجتماعات وبرنامج للتثقيف والتعليم، أعتقد أن من بين الأشياء التي أدت إلى وجود جو ديني كبير هي ظهور جماعة التكفير والهجرة في هذا الوقت وما صاحبها من حملة دعائية ضخمة في الصحف حول أفكار شكري مصطفى والهجوم عليها والفعل ورد الفعل، وقد وصلت أصداؤها إلى الريف، رغم أننا كنا في المدينة. كنت في الصيف أذهب إلى بلدتي وأزور أصدقائي ونقوم بعمل حالة دينية هناك خاصة في المساجد التي بدأت تشهد بعض الظواهر

الإسلامية لأول مرة مثل مسألة الاعتكاف، فالقرية لم تكن تعرف الاعتكاف أو القصر في الصلاة أو المنتديات الدينية، فأصبح هناك جو ديني عام وبدأ قدوم مشايخ من الأوقاف وغيرهم ودارت حوارات بيننا وبينهم. كانت لدي الأوقاف رؤية مذهبية ونحن لدينا رؤية سُنية أو رؤية إسلامية متشددة تعتمد النص، وكلها كانت حوارات تدور حول (الصلاة على النبي وهل نقول اللهم صلِّ على محمد أم نقول اللهم صلِّ على سيدنا محمد في التشهد)، وحجية السنة والالتزام بها أو التزويد عليها، كانت كلها أشياء متصلة بأنها حركة عامة لها طابع ديني.

كانت الكلية معقلاً لليسار القديم في فترة الستينيات والسبعينيات، لكن في تلك الفترة لم يكن فيها أي شيوعي ظاهر كماركسي إلا عبد الخالق فاروق، ولكن كان هناك ناصريون حتى قبل تولي حسين عبد الغني رئاسة النادي الفكري الناصري سنة ١٩٧٧م، دعونا لحضور اللجنة الثقافية في الكلية ودعونا لحضور معسكر في بورسعيد حضرته أنا وحسين وعبد الرحمن صلاح (يعمل في الخارجية الآن)، حضرنا ومعنا بعض من كانوا في الكلية أيضًا من سنوات متقدمة علينا كاتجاه إسلامي، لكن في نفس الوقت كنا نحضر الجلسات العامة، ويدور نقاش بيننا وبين المشاركين في المعسكر لدرجة أن المعسكر بدأ يتحول كأنه له طابع إسلامي. بالنسبة للمعسكرات حضرت أكثر من معسكر، هذه المعسكرات كان ينظمها الاتحادات الطلابية في هذا الوقت، وكان لها ميزانية يصرف منها على هذه المعسكرات، وكان من الممكن أن يُدفع دعم لها من جانب جهات أخرى مثل وزارة الشباب، لكن بشكل عام موقف الدولة كما ذكره أبو العلا ماضي قبل ذلك كان هناك محاولة لاستيعاب هذا التيار الشبابي الجديد داخل الدولة من أجل إيجاد موازنة مع التيار اليساري وهذا وارد، رغم أن هذا حقيقة بالفعل، في هذا السياق بدأ تنظيم هذه المعسكرات، ففي إحدى معسكرات الكلية دفع الدكتور مصطفى السعيد من ماله الخاص - لا أعرف إذا كانت هذه الشهادة سوف تسبب له ضررًا أم لا - لحل مشكلة معينة ساعد فيها الجماعة الإسلامية في هذا الوقت.

في فترة ١٩٧٧م بدأت مرحلة جديدة فقد أصبحت الجماعة الإسلامية موجودة، وكنا نقرأ كتاب (فقه السنة) على وجه الخصوص للشيخ سيد سابق. وبدأت لأول مرة أنفتح على كلمة سلفية التي لم أكن أعرف ماذا تعني حتى هذه اللحظة، وبدأنا نفهم معنى كلمة السلفية التي تعني اتباع السلف الصالح فيما يتصل بطريقة فهم القرآن أو فيما يتصل بطريقة فهم النص. هناك عدة مدارس في فهم النص القرآني أو السنة؛ فهناك طريقة أهل السلف، ويمثلون الأربعة قرون الأولى والتي زكاها

الرسول ﷺ، وأذكر في هذه الفترة كجزء من نشاط الجماعة الإسلامية التي كان يقودها أخ اسمه محمود حداد وكان متشددًا جدًّا في سلفيته، أذكر جماعة (أنصار السنة) ورؤيتها المتشددة جدًّا، لكن هو فتح لنا بابًا في مسألة الاطلاع على الكتب الصفراء القديمة، وأذكر بشكل خاص كتب ابن تيمية مثل كتاب (ارتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، وهذا كتاب فظيع وشديد جدًّا وصعب. ثم بدأت كتب ابن القيم وغيرها، وكجزء من النشاط وأنا في السنة الثانية من الكلية كنا نذهب إلى أنصار السنة.

وفي هذه الفترة كانت بدأت تظهر مطبوعات أنصار السنة وتقريبًا كانت ترعاها السعودية كجزء من الصلة بين أنصار السنة وبين المذهب الوهابي أو الفكر الوهابي أو فكر محمد بن عبد الوهاب، مثل كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأظن كتاب (العقيدة الوسطية) لشيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) وكان محققه محمد خليل هراس، ومحمد خليل هراس كان من الأسماء الكبيرة أو من العلماء الكبار الذين كانوا من أنصار السنة في هذا الوقت، وكتب كثيرة كنا نوزعها كجزء من النشاط الطلابي في هذا الوقت. كلية الاقتصاد رغم صغرها أخذت منحىً مختلفًا عن التيار العام الذي كان موجودًا في الجامعة، والذي كان يمثله في ذلك الوقت الإخوان المسلمون في كلية الطب وفي بقية الجامعات الأخرى، في هذا الوقت إلى جانب المحاضرات التي كنا نلقيها على الطلاب كنا نقوم بعمل مجلات الحائط التي كان يغلب عليها الطابع الديني التي كانت تهدف إلى دعوة الناس أو إيقاظهم أو تنبيههم إلى أن هناك دينًا، وأن هذا الدين به شريعة وسلوك، والدعوة إلى ارتداء الحجاب وضرورة الالتزام به. أذكر أنني كنت أكتب في هذا الوقت ما يقرب من ١٠ – ١٥ مجلة حائط يوميًّا كنت أقوم بتعليقها مع زملائي، وبدأت ظواهر جديدة مثل استضافة المشايخ وجلوس الشباب معهم وسؤالهم والتواصل معهم مثل الشيخ سيد سابق والشيخ عبد الحميد كشك والشيخ عيسى عبده وغيرهم، في هذا الوقت كنا نقيم في المدينة الجامعية التي تمثل انعكاسًا للروح السائدة في الكليات؛ حيث كان يتم تصنيف المباني فكل مبنى كان يضم مجموعة محددة من الكليات فكان معنا في المبنى طلبة كلية الآثار.

كانت المدينة الجامعية في هذا الوقت شكلاً آخر من أشكال التعبير الإسلامي، كان بها دروس مكثفة جدًّا في فترة المغرب والعشاء تحديدًا، فنشأت شبكة علاقات قوية من خلال تعارف الطلاب على بعضهم البعض. بدأت الاتحادات الطلابية الإسلامية تشترك في الانتخابات. ويتم استضافة

علماء كبار أيضًا في المدينة الجامعية بين صلاة المغرب والعشاء مثل الشيخ إبراهيم عزت (رحمه الله) فكان جوًّا إسلاميًّا عارمًا، في هذه الفترة.

وأنا في السنة الثانية من الكلية رأيت لأول مرة بعيني كتاب (في ظلال القرآن) للشيخ سيد قطب وكتب الإخوان القديمة التي كان شكلها يوحي بأنها مخبأة في سراديب، وكتاب الظلال قمت بشرائه من أحد الإخوة بالتقسيط وكان نسخة أصلية قديمة، كنا نحلق كشباب في سهراتنا مساءً في بعض الأماكن نقرأ الظلال ونفهم ما به، فكان هذا فاتحة لرؤية جديدة على سيد قطب، وبدأت في التحمس جدًّا لسيد قطب تحمسًا شديدًا خاصة أن التيار السلفي الموجود في الكلية كان تيارًا متشددًا يرى أن سيد قطب قرآني. فعلى سبيل المثال عندما قال جاء القرآن الفريد، فتصور البعض أن هذا يعني أنه لا يرى السنة مصدرًا من المصادر، فبدأت الاتهامات تُوَجَّه لسيد قطب لدرجة أنه في هذه الفترة ظهرت موجة لعدم قراءة كتب سيد قطب، وهذا أدى إلى حدوث مشاكل واضطراب خاصة أن محمود حداد الذي كان أمير الجماعة الإسلامية في هذا الوقت المتأثر بأفكار أنصار السنة كان يحضر له الكثير خاصة من الفتيات من كل جامعة القاهرة؛ فالفتيات كن أنشط في الإقبال على مسالة التعلم. المهم كان ينتقد سيد قطب وبدأت المشكلة تنتقل إلى المدينة الجامعية بين الفتيات عن طريق خطيبته في تلك الأثناء، وأنا كنت متحمسًا جدًّا لسيد قطب؛ لإحساسي أنه يمثل مصدرًا هامًّا فبدأت في تبني رؤية سيد قطب وقراءة كتبه داخل الكلية، وأعتقد أني قرأت كل كتب سيد قطب في هذه الفترة قراءة متفحصة وعميقة وخاصة الظلال، ما يتصل بمسألة الدين والحاكمية والجاهلية والموقف من النظم الجاهلية وغيره، أعتقد أنها كانت تمثل بذوري الأولى لفكرة الموقف من الحالة الاجتماعية إلى النظام السياسي، فكرة أن هناك مشكلة فيما يتصل بشرعية النظام السياسي نفسه وجاهليته. في هذه الفترة بدأ هذا النقاش يدور وأعتقد أن داخل كلية الاقتصاد أصبح هناك تيار يتبنى مشروع سيد قطب، وتيار يتبنى الرؤية السلفية القديمة التي لا ترى المواجهة مع الحكومة.

أعتقد أنه في فترة ١٩٧٧م ثم الدخول على ١٩٧٨م كانت الجماعة الإسلامية تمثل إطارًا للعمل الطلابي مستقلاً تمامًا عن أي قوى أخرى، فقد وجد فيها الطلبة مظلة ينشطون تحت غطائها، فمن كان عنده توجه إسلامي كان يدخل في الجماعة الإسلامية ويحضر الاجتماعات ويقوم بالدعوة بعد ذلك وتتسع القاعدة ويتزايد أعضاؤها، فالجماعة الإسلامية في هذا الوقت كانت وعاءً طلابيًّا مستقلاً. وأذكر أنه في سنة ١٩٧٧م كان نادي الفكر الناصري قد فَكَّر أن يصدر بيانًا في موقف سياسي معين

لا أذكره ويكتب اسم الجماعة الإسلامية عليه فرُفض أن يوضع اسم الجماعة الإسلامية على بيانات نادي الفكر الناصري؛ لأن الجماعة كانت تحاول أن تبلور لنفسها رؤية لها طابع ديني داخل الجامعة.

في أحداث ١٧ و ١٨ كنا في المدينة الجامعية وشاركنا، صحيح أن اليساريين هم الذين كانوا يقودون هذه المسألة لكنني شاركت مع الطلاب وقمنا بأشياء في هذا السياق؛ على سبيل المثال في منطقة الهرم تحديدًا في منطقة الأحياء المقابلة للملاهي الليلية، والملهى الليلي تم تحطيمه لاعتبارات أخلاقية، فقد شارك الكثيرون لكن لكل مشارك رؤية خاصة به. ففي سنة ١٩٧٨م بدأت الجماعة الإسلامية ممثلة في قيادتها المركزية الموجودة بالمدينة الجامعية ("٢/٢٥" كانت ترمز إلى الحجرة التي يقيم بها عصام العريان ومجموعة من الشباب فهي غرفة تمثل مركز القرار، وهي الحجرة ٢٥ في المبنى رقم ٢ في المدينة الجامعية) في استقبال مشايخ الإخوان وليس المشايخ الذين كانوا يمثلون التيار العام، مثل عبد الحميد كشك أو الشيخ السيد سابق. لكن لوحظ أن هناك تكثيفًا على حضور الشيخ عمر التلمساني والشيخ مصطفى مشهور ومشايخ الإخوان في أسبوع إسلامي ضخم بالكليات ويحاضرون فيه للفكر الإسلامي العام، فلم يكن هناك فكر إخواني. وأذكر أني قرأت لسيد قطب في مرة من المرات في مدرج ٢ بكلية الاقتصاد وحضره الجميع من مختلف الكليات ولم يقتصر على طلبة كلية الاقتصاد. وجاء الشيخ عمر التلمساني وكان المدرج ممتلئًا عن آخره وتحدثت عن فكرة الجهاد وأنا كنت مقتنعًا بفكرة الجهاد في هذا الوقت كفكرة مركزية في الإسلام وأنها ضرورية، وهو كان يتكلم عن ضرورة أن يقبل الشباب على الدين فتحدثت معه في موضوع الجهاد فانفعلَ في الرد وقال: "إن جماعة الإخوان ما ضُربت إلا لأنها تبنت فكرة الجهاد"، لكن كان من الواضح أن الإخوان يعدون منهجًا جديدًا يحاولون أن يجتذبوا إليه قطاعات من شباب الجماعة الإسلامية. وأذكر أيضًا أني تحدثت مع الأستاذ مصطفى مشهور لكن كان اجتماعًا صغيرًا عن سيد قطب، وأعتبر أن سيد قطب لا يمثل التيار الإخواني في هذا الوقت. بالطبع كان هناك ظواهر أخرى مثل معارض الكتب الإسلامية وظهور النقاب وظهور الحجاب فأصبح هناك جو إسلامي عام.

بدأت تتسع كلية الاقتصاد التي كانت معقل اليسار بعد السنة الثانية حتى التيار الناصري تراجع بها وظهرت الجماعة الإسلامية تبدو في صورة أقوى، فرغم صغر الكلية لكن كان بها عبد الآخر حماد الذي يعتبر الرجل الثاني بعد الشيخ عمر عبد الرحمن في الجماعة الإسلامية ولم يكن حينها منضمًا للجماعة الإسلامية في قبلي لكنه كان قارئًا وأسبق مني بسنتين في الكلية.

مسألة الانفتاح بالنسبة لي أنا شخصيًّا على سيد قطب وقراءاته هي التي مثلت البذرة الأولى لمسألة تعاطفي مع الفكرة الجهادية. أعتقد الجامعة في هذا الوقت كانت متروكة، كل كلية يغلب عليها طابع معين، فكلية الاقتصاد كان يغلب عليها التيار السلفي وهناك تيار بدأ يفهم سيد قطب، وكلية الزراعة بدأ يغلب عليها أفكار قطبية، وكلية الهندسة يغلب عليها أفكار سلفية، وكلية الطب يغلب عليها التيار الإخواني.

ونحن في السنة الثالثة أقيم معسكر لقيادات الجماعة الإسلامية من كل الكليات وحضرت هذا المعسكر أظنه كان في الإسماعيلية لمدة أسبوع، تعرفت من خلاله على طلاب آخرين، كان معنا إخوة مثل حلمي الجزار وعصام العريان وغيرهم، وتعرفت في هذا المعسكر على الدكتور محمد طارق إبراهيم (كان طالبًا في كلية طب الأسنان) فقد كانت فترة مفتوحة للنقاش والجدل أيضًا، وكان الشباب الإسلامي في هذا الوقت له تحفظات كثيرة على الإخوان وناقشت هذه المسألة مع طارق إبراهيم وبعض الإخوة الذين كانوا موجودين في هذه الفترة ووافقوني على أن التيار الإخواني عليه ملاحظات، وتقريبًا كان يمثل سيد قطب في هذا الوقت مرجعية لهذا الفريق. وبعد ذلك نشأت علاقة قوية بيني وبين كلية طب الأسنان، وما أتعجب له أن الكليات الصغيرة في الجامعة كانت تتخذ لنفسها موقفًا مخالفًا للكليات الكبيرة، ففي كلية طب الأسنان على سبيل المثال كل الإخوة فيها كانوا يرتدون الزي الباكستاني (الرادينجوت)، هو بالطو طويل مصنوع لأسباب شرعية متصلة بإخفاء العورة وفقًا لما كانوا يرونه، وفي نفس الوقت لتأكيد التميز والهوية الفردية أو الذاتية، ونشأت علاقة قوية بيني وبين هؤلاء الإخوة في هذا الوقت لدرجة أنهم كانوا يعتبرونني شيخهم، ومنهم محمد طارق إبراهيم الذي شارك بعد ذلك في الأحداث وهو معتقل الآن (معتقل وأنهى حكمه الذي كان ٢٠ سنة ولكنه مازال معتقلاً؛ لأنه كان من الذين شاركوا في عملية قتل السادات). كان هناك كثير من الإخوة من قبلي وبحري منهم شخص اسمه عبد الرحمن البنا (أنا سألت عنه مؤخرًا وهو يعمل في شركة سفير وبعد ذلك انضم للإخوان)، وتوطدت العلاقات بين كلية الاقتصاد وكلية طب الأسنان وبدأت تأخذ روحًا حميمية وروحًا منفتحة وروحًا كأنها تعبير عن حلم. فأذكر أن طارق إبراهيم في هذا الوقت كان يسكن في فيلا بمصر الجديدة وأفكار جيلنا تعتبر أنه من الترف أن ينام على سرير مثلاً، وأهله أسرة غنية وميسورة وكان يطبق مسألة النوم على الأرض وزوجته أيضًا كانت زميلته في كلية طب الأسنان، وكنا نذهب إليه في منزله وتبدأ قراءة بشكل خاص بيننا، فأنا أقصد

أن أوضح أن الروح التي كانت موجودة كانت روحًا مفتوحة جدًا وروحًا تنشئ شبكة علاقات قوية طبيعية.

أيضًا لا يجب أن أنسى في هذه الفترة أن قضية الفنية العسكرية تعتبر أول قضية جهادية في مصر سنة ١٩٧٤م. في هذه الفترة كان من بين ما فتح فيها مسألة الكتب الإخوانية الكثيرة التي تحدثت عن التعذيب وذلك كنوع من إعادة الاعتبار للإخوان، الكلام عن التعذيب أدى إلى وجود نوع من القدر المتناقض بين أن الإخوان أصحاب هذه القضية كانوا قد خرجوا ليقرروا أنهم سوف يأخذون موقفًا سلميًا مع النظام وبين مجموعة الشباب الجديد التي قررت أن تثأر للإخوان من النظام مما أدى إلى وجود حالة شحن للشباب. وأعتقد أنه في هذه الفترة أن الأشعار الإسلامية التي ألفها الرعيل الأول من الإخوان المسلمين مثل الشيخ القرضاوي ومشايخ آخرين كانت تستجلب فيها قوة المسلمين وتستنهضهم أثرًا في إيجاد روح دينية كبيرة. لكن أعتقد أن الذي أثّر فيّ أنا شخصيًا تأثيرًا كبيرًا كان شريط التسجيل الذي ألقاه كارم الأناضولي في محاكمته هو والشيخ صالح سرية في قضيتهم في الفنية العسكرية، وكان هذا الشريط يجري تداوله بشكل كبير بين الطلبة في المدينة الجامعية. كارم الأناضولي كان شابًا صغيرًا وخطبته كانت تعتبر أحد المصادر الهامة لتكوين الوجدان الجهادي لدى الشباب في هذه الفترة، أيضًا رسالة صالح سرية الصغيرة التي أعتقد أن الذي قام بطبعها اتحاد طلاب كلية الزراعة الذي نما فيه أو كان يتبنى رؤية أقرب للرؤية التي يمثلها صالح سرية، فقد طبعت ضمن أنشطة الاتحادات الطلابية الموجودة في هذا الوقت، فالكليات كان لها تواجد حتى بعد ذلك. كما ذكرنا لم يوجد (master frame) إطار المرجع الكبير الذي يمكن أن يرجع إليه الشباب، كل واحد كان يجتهد وهو وحظه أو قدره بالتعبير الإسلامي أو التعبير الحركي في هذا الوقت.

أذكر الشيخ إبراهيم عزت ومسجد أنس بن مالك الذي كان أحد المساجد الهامة التي كان الطلاب في المدينة الجامعية يتوجهون إليها لصلاة الجمعة، وكان بها تقليد يتمثل في الجلوس بعد الصلاة ويحدث التعارف بين المجتمعين. هذا التقليد كان أحد المصادر الهامة لبداية التعارف على نطاق أوسع خارج الجامعة. وكان والد كارم الأناضولي (رحمه الله) أول مرة يأتي لمسجد أنس بن مالك والتف الناس حوله كنوع من التعبير عن أنهم أبناء له جميعًا عرفانًا لكارم في هذا الوقت. أعتقد أنه كان هناك في هذه الفترة مظاهرات طلابية في المدينة الجامعية ضد فساد أو ضد حمق بعض

المسئولين في الجامعة، أظن بسبب موقف دكتور اسمه كمال في كلية الطب البيطري قام بتصرف ضد أحد الطلاب. المهم بدأت الجماعة الإسلامية تتحرك ككيان واحد تربطه مشاعر، فبدأت عملية تظاهر إما في مناسبات عامة أو في مناسبات متعلقة بشأن إدارة الجامعة. وأظن أن كل المناشط العامة التي كانت موجودة في هذا الوقت كنا نشارك فيها، منها فترة تحول السادات وإجراءاته القمعية في سنة ١٩٧٨م التي بدأنا نتجه فيها أكثر للسياسة. انتقلنا من الحالة الدعوية العامة والحالة الاجتماعية إلى الموقف من النظام والموقف من السياسة، مثل الموقف من زيارة السادات لإسرائيل كنا نعبر عنه ونكتبه، والموقف من شاه إيران.

من ضمن الأشياء التي مثلت أحد المصادر المهمة لنا في هذا الوقت مسألة الجهاد الأفغاني في سنة ١٩٧٨م و١٩٧٩م ثم الثورة الإيرانية وكان معنا في الكلية طلاب من إيران ووقفنا معهم في الكلية وفي المدينة الجامعية لحشد الطلاب ودعوتهم وتقديمهم للناس؛ للحديث عن الثورة الإيرانية وأهدافها التي لم تكن قد انتصرت بعد. كانت هذه هي الروح العامة الموجودة في هذا الوقت. حتى تخرجي في الجامعة في سنة ١٩٧٩م كانت الفكرة الجهادية موجودة عندي لكنني لم أكن عضوًا في تنظيم الجهاد. وبعد تخرجي في الجامعة التحقنا بالجيش فكنا نفس دفعة ١٩٧٩م فلم أشعر بتغير عن ما كنت عليه بالجامعة لوجود نفس المجموعة معي بالجيش. وأذكر على سبيل المثال أني كنت ذاهبًا إلى الزقازيق في المنطقة العسكرية التابعة لبلدي المنصورة وجدت كل الموجودين بها تقريبًا ٩٠٪ أنا أعرفهم كانوا زملاءً لنا في الجامعة أو زملاءً لنا في النشاط الطلابي في هذا الوقت. وأذكر أنه في هذا اليوم وقفنا وبدأنا ندعو أيضًا للإسلام وندعو للدين. في أول أيامنا بالجيش، قضيت فترة الجيش في معسكر في دهشور وكنت أُدرس للجنود زملائي في أوقات الراحات وبعد الصلاة مسألة دينية بالطبع وهي مسألة الدعوة، وكان لهذا أثر في المعاملة التي كنت ألقاها من الذين يقومون بتدريبنا فقد كنت مُعَلِّمَهم. وفي فترة الغداء التي كانوا يتأخرون في إعدادها كانت المجموعة الإسلامية التي تعرف بعضها في الجيش تنتحي جانبًا وتذهب لأداء صلاة العصر، وكنت أعطي فيها درسًا بعد الصلاة كان يحضره ضباط كبار مقدمون ورواد. فمسألة الجانب الديني كانت موجودة حتى في قطاعات بعيدة عن الجامعة خاصة بالنسبة لاتجاه التبليغ على وجه الخصوص، كان منتشرًا انتشارًا كبيرًا في الجيش في هذا الوقت الاتجاه الأقرب للمسائل السلوكية لكن أيضًا مع الفكرة الإسلامية العامة. كان جزءًا من مسألة التعبير عن الظاهرة الإسلامية في هذا الوقت هو انتشار الزواج بين الزملاء في عدد كبير من الكليات المختلفة، فأنا تزوجت في السنة الرابعة قبل تخرجي في الجامعة لدرجة أن

معظم زملائي يتذكرون تفصيلات أكثر مني في هذا الموضوع من الأجيال التي جاءت بعدنا ونعتبر نحن مشايخ لها وفيها أسماء كبيرة تعمل في العمل العام الآن، بعضهم أساتذة في الجامعة وبعضهم في النقابات، لكن قضى الله سبحانه وتعالى أن هذا الجيل جاء ليعرف الإسلام لأول مرة ممن سبقه في هذا الوقت، وكنت أنا في الواجهة بعد تخرج الأخ صفوت. بعد تخرجي في الجامعة أنا شخصيًّا لم أكن مقتنعًا بمسألة العمل العام والمظاهرات والمؤتمرات إنما كان قناعتي أن مسألة التغيير لابد أن تكون عبر تنظيم وأن هذا التنظيم لا يكون معروفًا أو تنظيمًا سريًّا، فقد كان الطلبة في كلية الاقتصاد يفكرون في العمل بالصحافة وغيرها عكسي تمامًا. الحركة الإسلامية أو الحياة الإسلامية أصبحت هي الشيء الذي يملك حياة الإنسان، فكنت أنظر للمجتمع بنوع من الحذر أو بنوع من الاستعلاء أو برؤية مفادها أن لا انخراط في مناشطة وأقوم بعمل مناشط خاصة بي.

في بدايات ١٩٨٠م تزوجت وسكنت في حي الطالبية بالجيزة. وحي الطالبية من المعاقل الهامة للحركة الإسلامية خارج الجامعة، وكان هناك مسجد اسمه مسجد التوحيد وكنت ألقي فيه خطبة الجمعة؛ حيث كان في هذه الفترة يوجد تيار سلفي قوي وتيار جهادي، فأصبح يعرفني معظم الاتجاه الإسلامي وصرت موضعًا للاعتبار. تعرفت على مشايخ كثيرة منهم الشيخ عبد الله السماوي وذهبت لمقابلته، لكن فكرة الانعزال عن المجتمع كانت بمعنى أن لا تدخل الجيش والتعليم جاهلية ولا نُعلم الناس، فالانعزال الكامل بمفهوم العزلة الكاملة عن المجتمع هذه مسألة لم تكن تروقني من الناحية النفسية ولم يعجبني هذا الكلام. التقيت في هذه الفترة بصديق من أسرة جهادية عند أحد الأصدقاء اسمه أحمد هاني الحناوي، وتحدث معي أحمد هاني وكنت بدأت أدعو للفكرة الجهادية، وكان هناك بعض الشباب بدأ يقتنع بها خاصة في منطقة الطالبية، وهو الفكر الذي كان أقرب لفكر سيد قطب الخاص بجاهلية المجتمع وجاهلية النظام وأن هذا النظام يحتاج إلى التغيير، وأن هذا التغيير لا يكون إلا بتنظيم وأن التنظيم شيء ضروري وغير ذلك. وحدثني الأخ أحمد هاني عن محمد سالم الرحال الذي قابلته بعد ذلك ونبيل نعيم. ونبيل نعيم أحد القيادات الجهادية الهامة وهو مسجون الآن وأعتقد أنه لعب دورًا كبيرًا في فترة التسعينيات بعد ذلك مع أيمن الظواهري ومع المجموعة القديمة التي كان يتحرك بينها محمد سالم الرحال. تنظيم الجهاد خارج الجامعة لم يكن له وجود داخلها إنما كانت الفكرة الجهادية موجودة، والأفكار حول الفكرة الجهادية والاجتهادات حولها. لكن مسار تنظيم الجهاد سنة ١٩٧٤م والمجموعة الأساسية التي تعتبر النواة التي أنتجت تنظيم الجهاد بعد هذا، كان فيها مثلاً الفنية العسكرية وما بها من أسماء هامة أمثال حسن الهلاوي،

عبد الرءوف أمير الجيش، عبد الفتاح الزين. وظهرت في المعادي أيضًا بعض التوجهات الدينية في هذا الوقت، فقد حدثني البعض أن هناك شخصًا ادعى النبوة في هذه الفترة، وأثار ذلك رد فعل في أوساط الشباب، لكن ما فهمته هو أنه كان هناك ما يشبه الحالة الدينية.

أيمن الظواهري كان ضمن مجموعة تصورها هلامي كانوا شبابًا صغارًا، ولم تكن فكرة التنظيم وُجدت حتى مجموعة أيمن الأولى الذي كان بها مع سيد إمام الشريف، وعصام القمري، ومحمد عبد الرحيم الشرقاوي، وإسماعيل طنطاوي الذي تركهم بعد ذلك. وخميس مسلم دخل في تنظيم الجهاد عن طريق المجموعة التي كنت أقودها، بعد أن رحل محمد سالم الرحال إلى الأردن. هذه المجموعة أولاً هي مجموعة ضيقة جدًّا ومغلقة جدًّا وتربت على أفكار نصية، فمن يتحدثون عن أن أيمن الظواهري له علاقة بمسألة فكر سيد قطب أنا اختلف معهم فيها؛ لأن المصدر الذي شكّل وجدان هذه المجموعة هو مصدر سلفي صرف، بل على العكس ربما تكون مسألة أن هناك تيارًا جهاديًّا كان يتحفظ ضد أفكار سيد قطب بناءً على رؤية سلفية. والمجموعة التي كان يمثلها أيمن الظواهري كانت تتحفظ على سيد قطب، ولم تكن تقرأ سيد قطب إنما كانت رؤيتها الأساسية هي الكتب السلفية التي ظهرت في هذا الوقت خاصة كتب (الأحكام السلطانية) المتصله بالموردي وأبي يعلي، والموقف من الحاكم والعقد معه. عندما يقرأ على الحاكم بعد العقد معه ويطرأ عليه تغير أو قصور عام لتطبيق الشريعة كيف يكون موقف الناس، هل يظلون ملتزمين بالعقد، وأيضًا كتاب الجويني (الغياثي) وغيره، وكتب ابن تيمية (السياسة الشرعية). هذه المجموعة تربت على الكتب السلفية الصارمة وكانت رؤيتهم للنص قطعية جدًّا جدًّا، كانت رؤية ضيقة بمعنى أنها كانت رؤية تفسر النص على أنه نص لا توجد اجتهادات حوله، وهذه المجموعة واجهت مشاكل داخلها. وأنا أذكر أنه كان هناك شخص يدعى علوي موجودًا داخل المجموعة وتركها بعد ذلك عندما حدثت معركة ١٩٧٣م وكان له أخ استشهد في معركة ١٩٧٣م فكان السؤال هل أخوه استشهد ويعتبر شهيدًا؟ وهل يجوز القتال تحت راية الجيش المصري باعتباره جيشًا لا يرفع راية إسلامية؟ وحكم مَن يُقتل وشيء من هذا القبيل. ودار جدال حول هذه المسألة لدرجة أن علوي مصطفى أصابته بعض المشاكل النفسية وترك التنظيم في هذا الوقت. لكن مجموعة أيمن كانت موجودة وتعاصرت مع مجموعة الفنية العسكرية ولكنها لم تشترك مع مجموعة الفنية العسكرية بسبب يدور حول مسائل عقائدية. الجانب العقيدي فيما تمثله هذه المجموعة عندما جاء صالح سرية ودخل ومجموعة الشباب الملتزمين بالفكر الجهادي في هذا الوقت فدخلوا معه، بالطبع هو أحدَثَ نوعًا من التطعيم

خاصة فيما يتصل بكيفية مواجهة الدولة، فلم يدخل معه أيمن الظواهري في هذه الفترة بسبب أمور متصله بالمسائل العقيدية، وظل أيمن الظواهري والمجموعة التي حوله مجموعة منفردة. أنا كنت أعمل في مجموعات جهادية منفرده وهذه المجموعات يتبعها قطاع معين.

أنا أؤكد في فترة ما قبل قتل السادات هذه المجموعات لم يكن لها هيراتيكية واضحة حتى الجماعة الإسلامية، وعلى سبيل المثال مجموعة قبلي ومجموعة محمد عبد السلام فرج. هذا تنظيم تكوّن لمدة سنة واحدة من منتصف ١٩٨٠م إلى منتصف سبتمبر ١٩٨١م. هل تتخيل أن هذا التنظيم يستطيع أن يبني بنية تنظيمية واضحة في خلال سنة؟ بالطبع لا، هذه رؤيتي الخاصة، فأمن الدولة اتهمني بتكوين تنظيم كبير جدًّا جدًا في الدقهلية ووضعت له أفكارًا ومصادر مالية وكل شيء. لقد رأيت ذلك في التحقيقات فقط، لكن بسبب أني كنت أتحرك في الدقهلية وكان هناك مجموعة من الأفراد متوافقة معي على الجانب الفكري المتصل بالجهاد وبالتنظيم كأنه نوع من الاتفاق أو التوافق الفكري. ففي التحقيقات تجد أن غالبية من قبض عليهم لم يكن أحد منهم يعرفني إطلاقًا ولكنهم قالوا: "إحنا تبع كمال" نتيجة لما تعرضوا له من تعذيب، فتكون النتيجة أن الشكل التنظيمي موجود على الورق ومن يعود لأوراق القضية يجد هذا. أنا لا أشهد الحقيقة إذا ذكرت أني كنت أعرفه، لكن كان هناك مجموعات بكل هذه الذهاليز؛ لأنه من الممكن أن يكون شخص على اتصال بك ويتصل بشخص آخر لا تعرفه فيعطي على الأوراق الشكل التنظيمي بالفعل، فخالد الإسلامبولي تعرّف على محمد عبد السلام فرج عن طريقين، الطريق الأول هو نبيل المغربي الذي كان يسكن بجانبه أو كان ينشط في منطقته، فأنت تعتقد أنها تنظيمات مناطقية. عبد الحميد عبد السلام ظل حتى قبل قتل السادات لا يعرف محمد عبد السلام فرج، لعلك تستغرب ذلك، لكن الانقلاب الذي حدث أن خالد الإسلامبولي جاء بفكرة قتل السادات وبالتالي بدأ الإعداد لها.

كان لكل مجموعة منطقة تنشط بها، فعلى سبيل المثال كنت أنشط في المنطقة التي أسكن بها في الطالبية. كنت أمارس دور قائد المجموعة التي كانت تتبعني وكنت أخطب الجمعة وأمارس أعمالاً أخرى خارج السياق التنظيمي، ومن يشتركون معك أيضًا لا يعملون على أساس أنه تنظيم. فأذكر أنه في المدينة الجامعية كان لي أصدقاء، وفي المنصورة التي كنت أعود لها في أوقات الإجازات كان لي روابط بإسلاميين موجودين فيها، وكان هناك من هم في التنظيم بالمنصورة لا يوجد أحد

منهم على علاقة بعبود الزمر ولا محمد عبد السلام فرج، كانوا يتبعونني على أساس أنني الذي دعوتهم ولي نشاط إسلامي في المنصورة. بالفعل التنظيم الذي أخذ هذا الشكل بعد اكتمال تكوينه كان داخل السجن وبعد ذلك في أفغانستان والخروج منها. لكن بالنسبة لمجموعة أيمن الظواهري كانوا مجموعة ضمن المجموعات التي ينسق بينها أو الذي يتحدث باسمها في هذا الوقت محمد عبد السلام فرج. هذه المجموعات كانت لا يعرف بعضها بعضًا، بمعنى أني كنت أعرف شخصًا كأنه هو المنسق بين مجموعة كمال حبيب وبين - على سبيل المثال - مجموعة أيمن الظواهري قبل عصام القمري أو عبر محمد عبد الرحيم الشهاوي، لكن لا يوجد هيكل تنظيمي واضح معروف يصنع قرارًا بالشكل التنظيمي السابق.

أنا قرأت التحقيقات مع أحمد السيد النجار وهو (رحمه الله) من المحببين إليّ والذين تلمذوا لي داخل السجن. وكان شخصًا نقيًا وطيبًا، روحه كانت تبدو كأنها روح تنظيمية، أقرب للصوفية منها إلى الشخصيات التنظيمية الجهادية، فعندما قرأت التحقيق معه وجدت أنه يؤكد نفس المقولة التي أقولها إن هيكل تنظيم الجهاد حتى قبل انضمامه للقاعدة تقريبًا أشبه ما يكون لا يوجد له هيكل واضح، فعلى سبيل المثال سيد إمام الشريف في فترة من الفترات كان معروفًا أنه أمير التنظيم ولم يكن يعرفه أحد؛ لأن الناس كانت تعرفه وهذه حقيقة وكان يسكن في مكان آخر. فواضح أن مسألة التنظيم بمفهومه كانت تعني أن هناك تنظيمًا واضحًا به مجلس شورى، لم يقم به مجموعة الجهاد لكن قامت به الجماعة الإسلامية، جماعة طلابية كونت مجلس شورى عبارة عن أشخاص تجلس وتتحدث مع بعضها في كافة الأمور، لكن في فترة ما قبل انضمام محمد عبد السلام فرج إليهم. فعلى سبيل المثال تعرف محمد عبد السلام فرج على طارق الزمر في كلية الهندسة وتعرف من خلال طارق الزمر على قريبه وصهره عبود، فهي تكوينات تبدأ بلقاءات فردية وبعد هذه اللقاءات الفردية تكون مجموعة ثم مجموعة أخرى ثم مجموعة أخرى، لكن التنظيم لم يكن توفر له وقت؛ بحيث يضع هياكل تنظيمية واضحة بهذا المعنى. ولا أعتقد ربما أكون مخطئًا في هذه المسألة أن تنظيم الجهاد بعد صورته الآن أنت لا تعرف ما هو بالضبط! أنا عندما قرأت التحقيق مع أحمد النجار، فهو نفس الأمر كأنه يعيد اعترافات ١٩٨١م.

في هذا الوقت بالنسبة للمجموعة التي تحركت كنت أنا أميرها. تلك المجموعات التي دخلت - بعد ذلك مع السياق العام بعد أحداث سبتمبر - هذه الإمارة من غير بيعة فلم يكن هناك بيعة.

لكن هناك فكرة اتفاق شفاهي أن هناك تنظيمًا وأن هذا التنظيم فيه كذا وكذا، وأن هذه المجموعات الجهادية اتفقت على أن تكون تنظيمًا سريًّا. بعد الذي حدث في ٣ سبتمبر كما ذكرت فإن الناس بدأت تنفتح على بعضها، فكان هناك محمد طارق إبراهيم في المجموعة التي كنت بالنسبة لها مرجعية فكرية في هذا الوقت. لكن أذكر أن ظلت علاقة محمد طارق إبراهيم علاقة كأنها كامنة لفترة طويلة إلى أن جاء حدث ٣ سبتمبر بدأت تنشط هذه المسألة. هناك جزء آخر هو علاقته بعبد الحميد عبد السلام فقد كان جاره ثم علاقته بنعيم، فبدأ كأن هناك أمورًا كثيرة تتداخل مع بعضها. لكن بالنسبة لمجموعة أيمن الظواهري هذا أيضًا جانب قدري، فأذكر عصام القمري لأني تركت مكاني في هذا الوقت بعد حادث قتل السادات وليس قبل ذلك؛ لأن عصام القمري كان مطاردًا في هذا الوقت ولم يكن أحد يعرف عنه أي شيء. كان تقريبًا الذي يقوم بهذه المسألة بالنسبة لمسألة تدبير هروبه هو نبيل نعيم، وكان نبيل نعيم يأتيني بين الحين والآخر. لكن بعد أحداث سبتمبر وبعد قتل السادات حاول عصام القمري أن يتصل بي بكافة الأشكال ومعه مجموعة من العسكريين أنا علمت هذا بعد ذلك، لكن لم يكن هناك إمكانية – فما حدث قد حدث – مقابلته سواء يأتي لي أو أذهب إليه، لكنه يعلم أن المجموعة التي يمثلها كمال حبيب دخلت في سياق عملية قتل السادات.

أذكر أنني تقابلت مع محمد سالم الرحال في حي السيدة زينب في شقة كانت لنبيل نعيم وتحدثنا عن نفس الأفكار، لكن كان هناك ورقة أشبه بالكتيب الصغير (كتيب الفريضة الغائبة) قام بإعدادها محمد سالم الرحال وكان بها مستوى معين من الفقه مثل المسائل الخلافية كيف يتصرف فيها؟ فهي مسائل أصولية معروفة – محمد سالم الرحال كان طالبًا في الأزهر في الدراسات العليا وكان يسكن في رواق الشوام وكان له خبرات سابقة في حزب التحرير وحتى في منظمة التحرير الفلسطينية – والمسائل الخلافية كيف نتصرف فيها؟ والتركيز بشكل أساسي على الفقه المالكي؛ لأن الفقه المالكي هو الذي تكلم بصورة أكبر في مسألة الحساسية من ظلم الحاكم، لكن الفرق بين الورقتين وبين ما قدمه محمد عبد السلام فرج في كتاب الفريضة الغائبة أن محمد عبد السلام فرج أخذ أفكار ابن تيمية فيما يتصل بالطائفة الممتنعة على وجه الخصوص، بينما الأفكار التي تبنتها مجموعة محمد سالم الرحال كانت تركز على فكرة الخروج على الحاكم الظالم أو الحاكم المرتد، فكرة الطائفة الممتنعة أخذتها بعد ذلك الجماعة الإسلامية وبنت عليها كل مشروعها في مواجهتها مع النظام مثل ميثاق العمل الإسلامي وغيره. لكن مجموعة الجهاد أو تنظيم الجهاد في

هذا الوقت كانت تركز على فكرة الخروج على الحاكم المبدل. الأصوليون يسمونها "الحاكم المبدل لشرع الله" والحاكم المسلم لكنه لا يحكم بالشريعة الإسلامية أو كما قرأنا بعد ذلك. من الكتب التي كنا نتداولها كتاب (غياث الأمم في اجتياز الظلم) للجويني، فقد تحدث عن مسألتين؛ الأولى: إذا فشا ظلم الحاكم حتى المسلم؛ حيث أصبح لا معنى لقيامه ولا معنى لوجوده، أصبح لا يقيم العدل، أصبحت مفسدة بقائه أعظم من مصلحة السكوت عليه وهو فصل في هذه المسألة. وتحدث عن مسألة افتراض خلو العالم من إمام كيف يتصرف الناس في مسألة الشريعة مثل فكرة الإمام المنتظر عند الشيعة أو عند السنة، وأن الشريعة ليست مرتبطة بفكرة الإمام وإنما هي مرتبطة بفكرة الأمة، يمكن لأية جماعة من الناس أن تتواصل أو أن تقوم على أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أو تقوم حتى بأدوار الحكومة إذا لم تقم الحكومة بها مثل جمع الزكاة أو إمامة الناس في الصلاة أو الحجاب أو بعض شعائر الإسلام.

وبعد ذلك بدأت تتكون مجموعات فقد كان هناك مجموعات تتبعني مثل مجموعة الطالبية في منطقة الجيزة، وكنا نلتقي بشكل دوري أنا ومحمد سالم الرحال في منزلي لدراسة الفكر الجهادي وما يعرض على الناس وكان التركيز على العقيدة وعلى مسألة الخروج على الحاكم بشكل أساسي والموقف منه وشرعية الحاكم. ثم تعرفت بعد ذلك بالرائد عصام القمري الذي كان ضابطًا في الجيش في هذا الوقت، وعصام القمري كان يتبنى فكرة الانقلاب العسكري وهو يعتبر من مجموعة ضباط الجيش والتي بعضها حتى الآن لايزال يمثل جزءًا هامًّا في تنظيم القاعدة، هم المجموعة التي كان عصام القمري قد دعاها لتنظيم الجهاد في هذا الوقت في داخل الجيش وعلى رأسهم حينها النقيب عبد العزيز الجمل. تحدث معي عصام القمري عن فكرة الانقلاب وكان جوهر فكرة عصام القمري أن يجند أشخاصًا موجودين في داخل الجيش أو المدنيين به، كان عنده تصور خاص أنه من الممكن أن يدخل مدنيون ويرتدون الملابس العسكرية ويقومون بالتدريب على الدبابات وعلى أشياء معينة يمكن أن تساعد في عمل انقلاب عسكري. في هذا الوقت كان هناك لقاء بشكل دائم بيني وبين عصام القمري، وبيني وبين محمد سالم الرحال، وبيني وبين محمد طارق إبراهيم الموجود في منطقة أخرى لكن كنا على علاقة تنظيمية. وبدأت تتكون مجموعات في المنصورة أيضًا تتبعني وتحمل دعوة الفكر الجهادي وأيضًا في السنبلاوين. وفي هذا الوقت تعمقت في الفكر الديني بشكل كبير حتى بدوت كشيخ في مسألة حفظ القرآن وتفسيره وعلم الحديث والأصول، وكان التفسير أكثر، والأصول أقل. ولكن يمكن القول بأن التنظيم كان تنظيمًا غير معروف لايزال في مرحلة التكوين،

وكان تنظيمًا يجهز نفسه ليس بشأن مواجهة مع النظام ولكن الأحداث التي جرت في مصر في هذا الوقت فيما يتصل بأحداث الزاوية الحمراء، وأعتقد أن أحداث الزاوية الحمرا أنا حضرتها شخصيًّا وحضرها معي بعض من كانوا معنا في التنظيم في هذا الوقت؛ حيث إنه حدثت معركة طائفية كبيرة بسبب إطلاق مسيحي النار على مسلمين بسبب نزاع على أرض. وأعتقد أن كل التيارات وكل الجماعات الإسلامية كانت موجودة، مثل التيارات الجهادية التي كانت تتبنى الفكر الجهادي وهي من أدخلت استخدام العنف ضد الأقباط وقتل بعضهم كجزء من رد الفعل في هذا الوقت. فكانت هذه الواقعة من الأحداث الكبيرة التي كان فيها وجود إسلامي كبير وحتى كان وجودًا إسلاميًّا مسلحًا، فقد كان الوضع العام متوترًا. بدأت هذه التكوينات تتحرك بمعنى أن أمامها هدفًا عاجلاً بعد ٣ سبتمبر، فبعد ٣ سبتمبر بدأت الآلة تدور. وأعتقد أن في هذه الفترة وما قبلها تعرفت على طارق الزمر، وطارق الزمر كان في الجهة المقابلة للسكن الذي أقيم فيه وأعتقد أنه كان الخيط الذي بدأ في هذه الفترة يربط بين مجموعة سالم الرحال وبين المجموعة التي يمثلها في هذا الوقت وهي مجموعة الجهاد الأخرى في بحري التي يمثلها محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر والتي كانت مع الجماعة الإسلامية في هذا الوقت. لكن بعد ذلك اكتشف أن من يعملون في تنظيم الجهاد أكثر من مجموعة فأصبح هناك مجموعة اسمها مجموعة محمد، أعتقد أن الذي صك هذا المصطلح هو المستشار عبد الغفار محمد في المحكمة عندما قرأ التحقيقات فوجد أن هناك مجموعات.

بعد أحداث الزاوية الحمرا رُحل محمد سالم الرحال من مصر وتحركت مجموعة عصام القمري بحكم وضعه العسكري وبحكم أن هذه المجموعة كانت صارمة وسرية فلم يكن يعرف بعضها بعضًا. كانت مجموعات مغلقة وشديدة السرية وليس فيها الانفتاح النسبي الذي كان موجودًا في مجموعة قبلي ومجموعة الجهاد الأخرى التي يمثلها محمد عبد السلام فرج ومن معه. ولذلك المجموعة تحركت بحكم أنه كان هناك مصدران؛ المصدر الأول هو صلتي بطارق الزمر والثاني صلة محمد طارق إبراهيم بعبد الحميد عبد السلام الذي شارك في حادثة الاغتيال. عبد الحميد عبد السلام كان نقيبًا في الجيش وكان قد استقال منه؛ بسبب أنه كان يرى أن البقاء فيه حرام، وقد كان عبد الحميد عبد السلام من نفس البلد الذي منه خالد (رحمه الله) فكانا يسكنان في واحدة من بين الأماكن التي بها نشاط كبير للفكر الجهادي في هذا الوقت بمنطقة عين شمس ومصر الجديدة وما حولها، كان فيها تيار سلفي جهادي منتشر بشكل واسع، وكان أبرز رموزه أيضًا نبيل المغربي. ونبيل المغربي يعتبر من الأشخاص الهامين الذين أقاموا شبكة علاقات قوية. وفي هذه الفترة أيضًا

بدأت التعرف على نبيل المغربي، والمجموعة التي نشطت حولي كان بها أشخاص شاركوا في حادث اغتيال السادات وتقريبًا القنابل التي استخدمت في الحادث كانت مملوكة لهذه المجموعة التي كانت على صلة بي. وأنا شخصيًا عرفت مسألة قتل السادات بعد ٢٩ سبتمبر في أواخر شهر سبتمبر. وأذكر أنه في هذه الفترة يوم ٢٥ سبتمبر عندما اكتشف التنظيم، عرف أن هناك تنظيمًا وأن به أشخاصًا في الجيش. قبل اكتشاف التنظيم اكتُشف أن هناك عناصر من العسكريين موجودون في الجيش وكان منهم عصام القمري. وقبل اكتشاف التنظيم عُرِف أن عصام القمري، ليس عصامًا بعينه، لكن كان هناك شك حول عصام، فعندما حكى لي عصام القمري أنه كان هناك ضباط يأتون ليسجلوا له، لدرجة أن الضابط الذي يسجل له يشير إليه أنه يسجل له حتى لا يخطئ في الكلام أو شيء من هذا القبيل. لكن المهم أن عصامًا تأكد أن هناك شكوكًا حوله فترك الخدمة وظل لوقت طويل تاركًا الخدمة. لكن المجموعات العسكرية التي كانت تابعة له كانت باقية في الجيش في هذا الوقت ولم تكن معروفة، لكن كان معروفًا أن هناك تنظيمًا أو هناك مجموعة من العسكريين موجودون في الجيش. ظل عصام القمري هاربًا طوال هذه الفترة وكنا نتقابل أحيانًا وأتقابل مع نبيل نعيم.

لكن بعد أحداث سبتمبر واكتشاف التنظيم ٢٥ سبتمبر، كان لدي ميعاد مع طارق الزمر في مسجد زاوية كانت تعتبر زاوية هامة بالنسبة للتنظيم هي زاوية عمر بن عبد العزيز في الهرم. فوجئت في هذا اليوم وأنا ذاهب لصلاة الفجر تقريبًا أنه تم الهجوم على المسجد الذي كان به اجتماع كبير لقيادات الجماعة الإسلامية الهاربة؛ لأنه كان هناك أسماء عليها تحفُّظ في هذا الوقت. وعند دخولي فوجئت أن هناك أشخاصًا يجلسون أمام الباب فدخلت من أجل الوضوء ففوجئت أنه قُبض علينا في هذا الوقت، فقلت لهم إني كان من المفترض أن ألقي درسًا هنا بعد الفجر ولم أجد أحدًا، واصطحبوني إلى جابر بن حيان. وقبل وصولي لجابر بن حيان أخبرت أهلي عن طريق أحد الأصدقاء الذين تصادف مرورهم في إشارة الطالبية. وصلت جابر بن حيان وكان الملف الذي اطلعت عليه في هذا الوقت هو الملف الطلابي، ملف نشاطي كطالب في هذا الوقت. وكان المسئول عن جابر بن حيان عميد أو لواء اسمه نبيل صيام، وكان في هذا الوقت هناك تعذيب شديد وتقريبًا هو نفس اليوم الذي اكتُشف فيه التنظيم. كان قد سُجِّل لنبيل المغربي ثم ظل مراقَبًا حتى وصل إلى الشقة التي يسكن بها عبود الزمر وتردد عليها مرات عديدة ثم هوجمت شقة عبود الزمر. وعبود الزمر علم عند وصوله لناصية الشارع أن هناك تفتيشًا في منزله فرجع. ومنذ ذلك الوقت اختفى

عبود الزمر وألقي القبض على نبيل المغربي. وبدأ التعذيب وتحقيقات شديدة لمعرفة أبعاد الموضوع لكن الاعتقاد السائد في هذا الوقت أنه لم تكن هناك ملامح واضحة عن وجود تنظيم. وأذكر أن أحد رجال الأمن الذي كان يجلس بجانبي قال: "إن كل مَن اعتُقل من خريجي سنة ١٩٧٩م، آداب واقتصاد فأعتقد أنها مجموعات ليس لها طابع تنظيمي". وقد أوضحت لنبيل صيام أني ليس لي أي نشاط فتركني على وعد أن أعود له مرة ثانية. وتقريبًا وقتها تركت بيتي؛ لأني كنت أمثل حالة خطر وتهديد عليه.

في هذه الفترة لم يكن لي مكان محدد معروف إنما كنت أتنقل في أماكن عديدة. كانت المجموعات التي تكونت حولي في هذا الوقت منها أسماء كبيرة مثل خميس مسلم. وهذه المجموعة شاركت أنا لم أشارك بنفسي، شاركوا ضمن الإطار الكلي في هذا الوقت. كان محمد طارق إبراهيم يعرف عبد الحميد عبد السلام، وعبد الحميد عبد السلام يعرف خالدًا، وعجران عرف محمد عبد السلام فرج، ثم من الناحية الأخرى تعرفت على طارق الزمر ثم عبود الزمر ثم بدأت هذه المسألة تتكون وبدأ الناس يتحدثون عن أنهم مجموعة كمال، وتبلغ بعضها البعض. أنا تقريبًا عرفت مسألة قرار قتل السادات أعتقد ١ اكتوبر أو شيء من هذا القبيل. وأظن أن قتل السادات كان مسألة في نفوس الناس كلها، أنا كنت أتمنى هذا والشباب والناس والبلد كلها كانت على وضع ساخن، فقد كان حلمًا في هذا الوقت بالنسبة للشباب. خالد الإسلامبولي في ٩/٢٤ تقريبًا أخبر محمد عبد السلام فرج أنه سوف يشارك في العرض، وجاءت له الفكرة ووافقوا عليها، وبدأت المسألة تأخذ مداها الطبيعي في التجهيز. وسارت الأمور أنا في تقديري أنها سارت بشكل قدري، ساعد القدر بشكل كبير في تنفيذها. لكن بالنسبة لما ذكره منتصر بالطبع خالد الإسلامبولي موجود في التنظيم من فترة أعتقد من أوائل الثمانينيات كعضو في التنظيم (تنظيم محمد عبد السلام فرج)؛ لأن منتصر يذكر أنه لم يكن عضوًا في التنظيم من أصله. التكوينات كان بها نوع من العلاقات التي نسميها عند دراسة الحركات الاجتماعية الجديدة (New social movement) هذه شكل الـ (Organization) فالتنظيم الخاص بها مختلف عن الشكل الصارم القديم، فكانت العلاقات بها شيء من التداخل ومن السيولة أيضًا، فمن الممكن في لحظة الحركة نفسها أن تتعرف على أشخاص مثلما حدث لي بعد قتل السادات في المنصورة على وجه الخصوص فقد جاء الكثيرون ليتفاعلوا معنا وليسوا منتظمين معنا وأعلنوا أنهم يريدون أن يدخلوا معنا استكمالاً لما تصوروا أنها أحداث ثورة إسلامية. سيولة التنظيم أعفتني أنا شخصيًا من الاتهام في المجموعة الأولى التي

قتلت السادات؛ لأن هذه المجموعة كانت تضم أفرادًا من مجموعتي شاركوا بالفعل في هذه الحادثة وحكم عليهم بأحكام أكثر مني؛ بسبب أنني في هذه الفترة تقريبًا لم أشارك في أمور علانية واضحة، فقد كنت أحافظ على مسألة السرية والجوانب الأمنية والاحتياط الأمني في هذه المسألة. وتحت ضغط التعذيب اعترف من قُبِض عليهم على مَن كانوا يحضرون الاجتماعات، فتقريبًا بعد ٩/٢٥ لم أكن موجودًا في بيتي وكنت أتنقل في أماكن كثيرة وهذا أدى إلى عدم معرفة مكاني بالتحديد فلم أُتَّهَم مع الأربعة وعشرين الذين اتُّهِموا بقتل السادات.

أنا أقصد أن من المهم أن يُفهم أن التنظيم لم يكن تنظيمًا صارمًا ويجري اتخاذ القرار بآلية واضحة مثل مجموعة شكري التي كان فيها تنظيم، وكان فيها أمير، وكان فيها تشكيلات معروفة لكل الناس وكان يجري اتخاذ القرار فيها من أعلى إلى أسفل. في هذه الفترة كنت أتنقل بين المنصورة والمنوفية ومصر الجديدة وبين أماكن عديدة، كنت فيها إما لإبلاغ أشياء أو معرفة أشياء ثم عدم الاستقرار أو الثبات في مكان واحد. وأذكر الواقعة التي تحدث عنها منتصر في أن أحمد هاني الحناوي ذهب إليه بالفعل، أحمد قال لي: "إن كل الناس تعرف". أنا أعرف ناسًا في أسوان وذهبت معه إلى أسوان على أساس أن هناك ما يمكن أن يفعلوه وهذا قبل قتل السادات وكنا قد عرفنا أن هناك قرارًا بقتله في هذا الوقت. وأيضًا في المنصورة نفس الأمر فعلى سبيل المثال الأخ البلتاجي كان موظفًا في الإذاعة وهو يمكن بالمقاييس الصارمة أن نقول ليس عضوًا في التنظيم لكنه منتمٍ مع الفكرة وعضو في التنظيم بالمعنى الذي ذكرته. فعندما طُرحت مسألة السيطرة على الإذاعة ساعدنا في أن يدخل عسكريون الإذاعة ويسيطروا عليها، وبالفعل دخل نبيل المغربي وأخذ بعض المعلومات. فأنا أقصد أن خالدًا كان يعرف محمد عبد السلام فرج جيدًا وكان يزوره مرات عديدة وكانت هناك علاقة قوية بينهما. وبدأ الأمر بهذا الشكل ثم كلنا ربما نسينا فكرة تغيير الدولة نفسها كدولة وأصبحت فكرة أن يقتل السادات هي الفكرة الغالبة على جموع الشباب في هذا الوقت. وقد تحدث البعض عن اشتراك مخابرات أجنبية، لكن ما قدره الله للسادات وما قدره أيضًا لمن قتلوه كان قد سبق في علم الله وجرى بهذه المسألة التي أعتقد أنها جرت بشكل فيه سهولة، فلم تحدث أية مشكلة في كل تجهيزاتها. وأنا أعتبر العمل الرئيسي الذي حدث في هذا الوقت هو مسألة قتل السادات، لكن التنظيم لم يكن تبلور كتنظيم بمفهوم تنظيم الذي نتحدث عنه الآن، تنظيم واضح له أمير وفيه مجلس شورى. تصورات الشباب في هذا الوقت لم تكن لها رؤية واضحة فكانت تتساءل ماذا سنفعل بعد قيام الدولة الإسلامية؟ فاقتُرِح تسليمها لمجلس علماء فيهم الشيخ حافظ

سلامة وآخرون وتكوين مجلس شورى، صورة مستقاة من كتب السلف أكثر منها صورة عملية واقعية. وهذا أيضًا يدل على إخلاص الشباب الذين يرون مراجع أعلى منهم لم يكن لهم غرض في السلطة.

لكن مع سنة ١٩٨١م بعد أن تركني نبيل صيام ثم حدثت الأحداث التي جاءت بعد هذا وبدأ القبض على بعض العناصر التي اعترفت علينا أصبح مستقبله معلقًا بمجيئي، فقُبض عليَّ في يوم ١٦ أكتوبر في المنصورة من بيتنا في البلد، وكان على رأس هذه القوة نبيل صيام نفسه. كانت قوة ضخمة جدًّا جدًا، كان والدي ذاهبًا لصلاة الفجر فسألوه عن أولاده فشعر بالخطر؛ لأنه كانت هناك مؤشرات على وجود نشاط معين، فكان يذكر لهم أولاده فيما عدا أنا، وفكرت في الهروب لكن قُبض علينا ودخلنا في مرحلة التحقيقات والتعذيب في الفترة الأولى لدرجة أن الدولة عرفت أبعاد الأمر ثم استراحت أعصابها ثم بدأت التكوينات الجديدة. بدأت هناك بالفعل مرحلة جديدة من مراحل تنظيم الجهاد ثم الجماعة الإسلامية ثم ما حدث من انشقاق، ومحاولة مجموعة الجهاد في داخل السجن أن تبني نفسها.

تردد أن هناك تسللاً أمنيًا وهذا غير صحيح، فمجموعتنا التي تكونت أو الجيل الإسلامي في فترة السبعينيات تربى في بيئة إلى حدٍّ ما آمنة؛ حيث كانت يد الأمن مرفوعة عنه، ولم يكن الأمن موضوعًا على أجندته متابعة حالة الجماعة الإسلامية، فهل هذا الأمر بتنسيق أو باتفاق مع الدولة؟ أنا على المستوى الشخصي لا أعلم عنها شيئًا، إنما لم تكن هناك المتابعات الأمنية الموجودة الآن، فلم أذهب إلى أية جهة لأمن الدولة في هذه الفترة باستثناء عندما أُلقِيَ القبض علي. كان الجو العام في هذه الفترة أن الجماعات الإسلامية لم تكن على أجندة أمن الدولة ولم تكن على أجندة النظام كما حدث فيما بعد هذه الفترة في فترة الثمانينيات أو في فترة التسعينيات. وأعتقد أن هذا أدى إلى إيجاد نوع من السلامة النفسية لمعظم الناس، فعلى سبيل المثال اعتُقلت في يناير ١٩٩٣م في تنظيم "طلائع الفتح" على أساس قدوم بعض الشباب وعرض بعض الأفكار، وذكروا ذلك في التحقيقات ربما لو أنا ذكرتها لأمن الدولة لم يكونوا ليصدقوني لكن عندما ذكر من أطراف أخرى بعد القبض عليهم صدقته أمن الدولة. في هذه الفترة لم يكن الأمن يعتقل إسلاميين وإذا اعتقل فلفترات محدودة، وهناك قضايا فيها تسامح عام وهذه هي سياسة الدولة، على سبيل المثال مجموعة شكري مصطفى في سنة ١٩٧٣م ألقوا القبض على بعض من الشباب في الجبل وتركوهم. الجانب الأمني

في هذه المسألة أن الأمن كان مُتفهمًا، وكان تنظيم الجهاد حل نفسه في القاهرة على يد مصطفى يسري سنة ١٩٧٧م بسبب اختراق الأمن للتنظيم القديم الذي كان موجودًا قبل سنة ١٩٧٩م. كان هناك أشكال أخرى لم نعاصرها بعد أحداث الفنية العسكرية، ومجموعة ١٩٧٩م. نفس الأمر كان مع مجموعة محمد عبد السلام فرج، كان منها محمد سالم الرحال، وكان بها مجموعات التحقت بعد ذلك بمجموعة الجهاد التي شاركت في قتل السادات. لكن بشكل عام كان الأسلوب الأمني مختلفًا تمامًا عن الفترات التي حدثت فيها مواجهات بعد ذلك، فلم يتم الحكم على أحد نهائيًا في فترة السبعينيات باستثناء البعض وإن كانت تعتبر أحكامًا مخففة في قضية الفنية العسكرية حتى التكفير تعتبر أحكامها غير قاسية. فما قيل عن احتمال وجود قطاع من الدولة في حادثة اغتيال السادات وكان ما بين أمرين؛ الأول: أنه كان يعرف ولم يلقَ بالاً في هذا أو أنه مشارك في الاغتيال، فأنا أستبعد ذلك تمامًا، فما رأيته على سبيل المثال حتى يوم ٩/٢٥ الذي سُجل فيه لنبيل المغربي، وقال: "إن هناك تنظيمًا وفيه كذا". وبدأ يُراقب وهوجمت شقة عبود الزمر وكل ذلك لم يكن لدى الدولة علم بما يحدث بالضبط. الدولة كان تركيزها منصبًا على الإخوان المسلمين فلو اطلعت على قائمة التحفظ في سبتمبر فستجدها تقريبًا تخلو من أي اسم من المجموعات الجهادية التي قامت بنشاطات بعد ٣ سبتمبر.

أنا أريد القول بأننا عندنا جزء بالنسبة لأزمة الدولة المصرية، أنا كنت أراه عندما نخرج للترحيلات، فالترحيلات كانت مشكلة كبيرة ولها إجراءات معقدة تعمل عليها أكثر من ٦ أجهزة وأكثر من مكان. الدولة تعاملت بشكل بيروقراطي فأنا ملفّي كان موجودًا ورأيته أمام نبيل صيام كواحد من الطلاب ونشاطي في كلية الاقتصاد. وفي تحريات مباحث أمن الدولة نفسها بعد ذلك ذكر نفس البيانات، فهذا موجود لكن موجود في سياق (إستيفا) مجهز ولكنه ليس على الأجندة الحالية. في ٢٥ سبتمبر كنت أرى أنه لم يكن واضحًا لدى الدولة ماذا يحدث بالضبط، دفعة سنة ١٩٧٩م ومجموعهم طلاب وهم خريجو جامعات فلم يكن معروفًا ما هو التنظيم؟ وما هو حجمه؟ وما هي أفكاره؟ كل هذا لم يكن واردًا لدى الدولة. فمسألة أن الدولة هناك جناح منها أنا أستبعدها تمامًا، لكني أفسرها على أنها (إستيفا)، أنا ملف لكنها ملفات نائمة ربما تحركت هذه الملفات بعد ذلك، لكن الدولة لم تكن طرفًا في هذا الموضوع ولا أجهزة مخابرات ولا شيئًا من هذا القبيل إطلاقًا.

أما ما ذكره ضياء رشوان كجزء من شهادته الشخصية فيما يتعلق بالدولة ومدى معرفتها، حينما قال: "في سنة ١٩٨١م في المنطقة أنا أتحدث على منطقة مقيم بها وفي محافظة أنا جزء منها، في هذه المحافظة وفي هذه المنطقة التي بالمناسبة كان منها رفاعي أحمد طه، ومنها اثنان أحدهما ضابط طيار كان سوف يقصف المنصة، وظابط آخر في قاعدة الأقصر، ومنها اثنان شاركا في محاولة اغتيال الرئيس مبارك في أديس أبابا، بمعنى أنها كانت منطقة إسلامية مشتعلة جدًا. في هذه المنطقة في محافظة قنا كان هناك فرعان لجهاز أمن الدولة فرع في الأقصر وإدارة في قنا. في سنة ١٩٨١م عندما بدأت الاعتقالات بعد اغتيال الرئيس السادات وفي داخل سجن قنا الذي كنت بداخله كان هناك ما لا يقل عن ٦٠٠ معتقل معظمهم أو الأغلبية الساحقة منهم قدموا بالأساس من مساجد الجماعة الإسلامية، مترددين على المساجد التي في معظمها اسمها التوحيد أو الرحمن وأنه كان داخل السجن يتم التصفية يوميًا فيمن يذهب لطرة بناءً على المعلومات الجديدة التي تأتي من التحقيقات التي تتم في طرة، وبالتالي كان كل يوم ليلاً تُفتح علينا أبواب الزنازين بكشف جديد لا نعرف بدقة من يوجد اسمه به لدرجة أننا كان معنا بعض الأشخاص في الزنزانة الشخصية التي كنت أقيم بها جاء ترتيبهم بعد ذلك مثل صابر من نجع حمادي وغيره كان ترتيبهم ٥٥، ٤٠، ٣٥ في قضية الجهاد الكبرَى. وبالتالي كان يبدو لنا أن جهاز أمن الدولة كان لا يعلم بدقة مَن هؤلاء الأشخاص، وأيضًا القبض على مئات من الناس ووضعهم رهن الاعتقال في السجن وترك الأمر لتحقيقات القاهرة التي وقع فيها القيادات. وبدأ كل واحد يعترف ومن يرد اسمه كان يُرحَّل للقاهرة. وهذا الأمر استمر بالنسبة لي على الأقل مدة شهرين في البداية، وبعد ذلك بدأ في التناقص."

أنا أرى عكس ذلك فصورة التنظيم لم تتضح لدى الدولة إلا بعد ثلاثة أشهر من التحقيقات، وهي الفترة الأولى من التحقيقات؛ حيث بدأت الدولة تعرف ماذا يحدث بالضبط. إنما فكرة أن يكون هناك تواطؤ أنا أستبعدها بالكامل وأن هناك جانبًا يطلق عليه الفرصة السياسية، هناك سياق معين من الممكن أن يحدث شيئًا يبدو أكبر قدرة من إمكانيات التنظيم على فعلها. وأنا أرجح هذا فهناك أشياء حدثت، وسارت الأمور بشكل يبدو أنه في إطار توفيق أو به جانب قدري. أنا أذكر هذا كشاهد لكن لم تكن هناك أجنحة للدولة في هذه المسألة ولم تكن الدولة على علم بهذه المسألة ولم تعرف الدولة. أنا على سبيل المثال لم يكن أحد يعرف عني أي شيء. ومباحث المنصورة قبل إلقاء القبض عليّ لم تكن تعرف عني شيئًا حتى بدأ من قُبِض عليهم يذكرون اسمي في التحقيقات، فأخذوني وبدأوا في التحقيق معي في المنصورة، وفي اليوم التالي قاموا بترحيلي إلى القاهرة. تم إلقاء

القبض عليَّ يوم ١٦ أكتوبر، والدولة ليس لها جناح ضالع في هذا الموضوع، ولم يكن الأمن يقدر أن هذا الأمر بهذه الصورة.

أنا عُدت لبعض ما كتبته داخل السجن في هذا الوقت فوجدت أكوامًا كثيرة لكن أنا أتذكر والأستاذ ممدوح إسماعيل المحامي كان مسجونًا معنا في هذه الفترة في سجن المرج. وبالطبع حدثت مناقشات ضخمة كان هناك بعض إخوة لديهم توجهات فكرية فيها تكفير بعض الشيء. وأذكر أننا كنا نتناقش في كتب سواء داخل الزنزانة أو خارجها مع هؤلاء الإخوة الذين كانوا من التيار القطبي الذي تبنى بعض الأفكار التي يشتركون فيها مع شكري. لذلك أنا في هذه الفترة حفظت نصوصًا كاملة مثل كتاب (الإيمان) لابن القيم حفظته كاملاً و(الإيمان الأوسط). وأذكر أني في هذه الفترة بدأت أدرس للإخوة مسألة العقيدة والعقيدة الوسطية حتى بدأنا ننتقل للحديث عن السياسة. انتقلنا لندرس سياسة إسلامية فكنا نصدر صحيفة فوجدت بعض الأمور التي يمكن إصلاحها. عندما دخلنا السجن دخل إخواننا في الجماعة الإسلامية أولاً. التنظيم أصبح واضحًا وأصبح هناك إمكانيات فهناك مجموعة كبيرة ممن يمثلون بحري يمتلكون هذه الإمكانيات فكان من ضمن أعضائها أساتذة في الجامعة وضباط في الجيش ومختلف الأشكال. بينما إخواننا في قبلي ليس فيهم أحد ذو حيثية كبيرة سوى الدكتور عمر عبد الرحمن والباقي كلهم طلاب في الجامعة، ومن ثم بدأت تطرح فكرة إعادة هيكلة التنظيم مرة ثانية وفقًا للمتغيرات الجديدة التي بدأت تظهر في هذه الفترة وبالطبع الإخوة في قبلي رفضوا وقد أدى هذا إلى انفصال مجموعة بحري عن مجموعة قبلي، وطرح شرعية إمارة الدكتور عمر من عدمه وموضوع الأسير والضرير وغيره. بالنسبة لي في هذه الفترة كنت أمثل شخصًا عامًّا فكنت أدرس لأعضاء الجماعة الإسلامية وكان الجهاد يعتبرونني واحدًا منهم. لكن أذكر أن إخواننا في الجماعة الإسلامية مثل علي الشريف كان ينزع الصور من الجرائد التي كان نقرؤها، فكان إخواننا في قبلي في هذه الفترة لا يسمحون بقراءة الجرائد، وكنت أدرس كتاب (المدخل لعلم السياسة) لمؤلفه الدكتور خيري عيسى للجماعة الإسلامية الذي كنا ندرسه في الكلية. فبدأوا يدركون أن هناك ما يسمى سياسة، وأعتقد أن فترات المحاكمات بعد ذلك كان كل الإخوة في الجماعة الإسلامية وغيرهم يجلسون قبل المحاكمة، وكنا نتحدث ونطلع على كتب حامد ربيع. بدأنا نضع مناهج سياسية لتنظيم عملية القراءة وبدأت الآفاق تتسع شيئا فشيئًا. وبدأت الجماعة الإسلامية تكوّن ما أسمته لجانًا سياسية. لكن أعتقد أن تخصصي كخريج علوم سياسية

كان منفذًا أو نافذة هامة لوجود ما يسمى بالجانب السياسي وقراءة فكر أوسع من مجرد ما دخلنا به وهو مسألة النصوص الدينية التي أنا مستغرق فيها. في هذه الفترة بدأت الرجوع لتخصصي الأول.

على سبيل المثال أعرض بعض الأوراق التي أحضرت البعض منها مثل المشروع الأمريكي الإسرائيلي لتقسيم مصر، ومثال آخر ورقة عن تاريخ الجهاد عن الشيخ سعيد النورسي، وأخرى عن تحالف الوفد مع الإخوان لكن في هذه الفترة لم نكن وصلنا لمسألة نقد تحالف الوفد والإخوان، وأخرى حول تطبيق الشريعة في السودان وهذه مسألة أثارت جدلاً كبيرًا، وأخرى عن القدس شخص كتب (يا قدس إن جراحي كلها نزفت فمن يضمد الجرح الأهل والولد) وهي تُعبر عن أهمية القدس في فكر الناس في هذا الوقت تقريبًا سنة ١٩٨٣- ١٩٨٤م، وهذا تحليل سياسي عن أفغانستان، وهذه عن القارة الإفريقية والتنصير فيها. كانت البندقية تمثل شيئًا أساسيًا في فترة ١٩٨٣-١٩٨٤م، وبعض التعبيرات التي كنا نستخدمها في هذا الوقت (قريبًا قريبًا يشع الأمل، قريبًا يعود الجهاد والعمل، قريبًا يكون البناء والعمل بإذن الله)، وهذا عن الموقف من الأقباط حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، بالطبع لم تكن قد بدأت في هذا الوقت. أنا أتذكر عندما قرأت كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام عن الأموال وقرأت وثيقة المدينة أعتقد كان سنة ١٩٨٧-١٩٨٨م وبعدها بدأت أكتشف أن هناك طريقة أخرى للتعامل مع غير المسلمين غير ما كان يعتقده الناس في هذا الوقت، بدأت آخذ الكتاب لأناقش الإخوة في الجماعة الإسلامية على وجه الخصوص فيما يتصل بالموقف من غير المسلمين وأن هناك موقفًا مختلفًا، موقفًا مختلفًا في الفكر الإسلامي عن الموقف الذي تمثله الجماعة الإسلامية حينها بشكل خاص، وأعتقد أن الإخوة أيضًا كانوا بدأوا يدركون هذه المسألة.

عودة إلى بعض الأوراق التي أحضرتها فهذه تتحدث عن النصر والتقوى، وهذه عن فكرة العلم والدم، ووداعًا أفغانستان. كانت فترة السجن قبل المحاكمات تعتبر فترة هادئة.. فترات طويلة أتاحت الفرصة لنا لكي نقرأ. وأنا أعتقد أنه تكامل عندي تصور كامل عن الشريعة ونسقها في داخل السجن؛ بحيث إنها تجاوزت فكرة التنظيم وفكرة النظام الجاهلي. ومن ضمن الأوراق هنا رسم مكتوب (مصلحة السجون المصرية) ورسم لأقدام تُصَوِّر شخصًا كأنه يخرج من السجن ويعود إلى دعوته مرة أخرى. هناك أيضًا مذكرات كتبتها في سنة ١٩٨٨م تعكس أن هناك تحولاً فكريًا حقيقيًا بدأ في الحدوث وهو شكل مختلف تمامًا عن فترة الثمانينيات. كنت في هذا الوقت في

الدراسات العليا وبدأنا نقرأ التقرير الإستراتيجي ثم الاقتصاد والجزء الاقتصادي به كان صعبًا، ثم كتب مالك بن نبي، ثم كتب عن الشريعة، ثم الكتب الفكرية، كتبت أن هناك فرقًا بين الشهيد والمنتحر وموضوع التجاوب مع الانتفاضة الأولى ورؤية اجتماعية لهذه المسألة. السجن كان يمثل بالنسبة لنا كمسجونين تقريبًا ٦٠ أو ٧٠ شخصًا في السجن نتعامل مع بعضنا فقط، ومن ثم سرعة دوراننا الاجتماعي قليلة عن المجتمع بالخارج فالخبرات ليس بها جديد. كل يوم نتقابل ونتناقش فبدأ يتضح أن السجن ضغط على الناس في سلوكيات معينة، فعلى سبيل المثال أن يكون المثقف المسلم نمطًا إنسانيًا يختلف عن غيره من أنماط المثقفين الذين يعكسون الاتجاهات الأخرى، أبرز ما يميزه أنه يعمل وفق ما يعتقده، أنه ليس مجرد ثرثار يتخذ من الكلام صناعته الوحيدة بل لابد أن يكون الكلام بنية تعكس قيمته. لكن المهم هنا مسألة التجاوب مع فكرة العالم، أنا أذكر ما كان موجودًا بالفعل في هذا الوقت أننا نتجه عكس اتجاه تطور العالم كله، شيء غريب رغم أنه من المفترض أن هذه الحركة تحديدًا تعكس أقصى مدى في الفاعلية التي تعني في أبسط مظاهرها القدرة على التجاوب الدائم والملائم مع الواقع المتطور. فكرة أهمية الواقع والتجاوب معه، بدأت تظهر أفكار جديدة في هذه المسألة. وأنا أتذكر قبل أن أخرج من السجن جلست مع أسامة حافظ وتكلمنا في هذه المسألة وكان في هذا الوقت قد اغتيل رفعت المحجوب وبدأ الدم والقتل يهزني أنا شخصيًا. فبدأت أخبره أن المسألة الآن تجاوزت من مجرد الكلام إلى أن هناك دمًا يراق ونحن كسلفيين أو كإطارنا المرجعي الإطار السلفي فمسألة القتل ومسألة حرمة النفس قوية وحرمة الدم قوية جدًا، وأعتقد أنه قال إن الجماعة الإسلامية سوف تغير من منهجها حين تخرج، وأنا أرى أن هذا كان واردًا لولا مسألة الانفتاح على أفغانستان ثم الدخول في دائرة العنف وفي دائرة العنف المضاد.

ومن الأشياء التي حدثت وأود ذكرها واحتمال أن يكون الدكتور رفعت المحجوب كان لديه إحساس بها فعندما دخلت السجن وذهبت لأداء امتحان تمهيدي الماجستير فكنت أرتدي "جلابية" فمنعوني في أول سنة. وفي السنة التالية أصر الدكتور رفعت المحجوب على ضرورة ذهابي لأداء الامتحان؛ لأن هذا حق من حقوقي. وعندما ذهبت أجروا معي تحقيقًا لمخالفتي الزي للنظام المتبع في الجامعة. المهم طلبني الدكتور رفعت لمكتبه وكان معه أستاذ في الشريعة لا أذكر اسمه أعتقد أنه أستاذ حقوق معروف، وتحدثت عن الشريعة وضرورة الدولة الإسلامية، وحدثت الدكتور رفعت أن الإسلام قادم وأن الدولة الإسلامية ستأتي وهي قادمة. قال لي إنه يعرف أنها قادمة لكن سوف تراق دماء من أجل ذلك وكأنه كان يشعر. لكن أنا أرى بشكل عام موضوع العنف بعد هذه الخبرة لا

يتلاءم مع الطبيعة المصرية، فالدولة المصرية دولة قوية جدًّا جدًّا والسياق الاجتماعي الذي تتحرك فيه مهم جدًّا.

كنت قد اتخذت قرارًا من داخل السجن بنبذ العنف؛ لأني ليس لدي ميول عنف، من الممكن التصور أن أنقد النظام ودوري في الأساس كان دورًا فكريًّا وتجميعيًّا لقطاعات واسعة من الشباب في هذه الفترة التي تلت ٩/٣ في مسألة الدعوة لفكر التنظيم والدعوة لضرورة التحرك. أنا أشعر بأن دوري الأساسي كان دورًا فكريًّا وليس دورًا قتاليًّا، وبالتالي كان دائمًا انخراط الحركة الإسلامية في مزيد من العنف أو عنف جديد يؤدي إلى وجود نوع من الهاجس يقلقني؛ ولذلك كنا نتكلم فيه كثيرًا مع الإخوة، وأعتقد أن هناك كثيرًا من الإخوة راجعوا أنفسهم في هذا الموضوع. أذكر انتخابات الإخوان مثلاً في سنة ١٩٧٨م التي استطاع التيار الإسلامي أن يحقق ٦٠ مقعدًا، بدأت تطرح علينا داخل السجن، وبدأنا نتكلم كيف ندخل الانتخابات، والموقف من المجتمع والدولة، وبدأت أشكال من الرؤى حتى مجموعة الجهاد على وجه الخصوص، أعتقد ناقشت هذا الكلام مع عبود الزمر نفسه وكان الجميع يبدون تفهمًا لهذه المسألة. الصورة القديمة بالطبع حدث فيها تغيير، لكن الأحداث في الدنيا والعالم كان هناك جزء من التفاعل معها وكان هناك جدل وتطور الذي يسمى في الحركات الاجتماعية (دي لاي) ما هو الذي يحدث كل يوم؟ ما هو الجديد؟ وفيم يتحدث الناس؟ ما مصير هذه الحركة؟ وما هو شكلها؟ كل هذا الجدل كان يُحدِث قدرًا من التطور فيما أظن باتجاه أن تظل الحركة أكثر قربًا من مجتمعها وأكثر توافقًا معه. لكنني أعتبر أن ما أدى إلى تحول رئيسي في الصيغة سواء لتنظيم الجهاد أو الجماعة الإسلامية هو مسألة الانفتاح على العالم الأفغاني الذي كان يمثل عالمًا جديدًا وخطيرًا جدًّا جدًّا بالنسبة لحركة الجهاد والجماعة الإسلامية كحركة محلية في هذا الوقت. هذه تقريبًا الشهادة التي حاولت أن أذكر فيها شيئًا جديدًا، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا.

شهادة محمد مورو

اسمي محمد مورو من مواليد عام ١٩٥٦م، ووالدي كان يعمل محاسبًا، أما والدتي فقد كانت من عائلة إقطاعية تسمى عائلة نافع في ميت غمر وتحديدًا في (دنديط) بلدة بجوار ميت غمر. ولقد رفضت ميراثي من ناحية والدتي، وذلك لأن مفهومي للإسلام أنه لا يوجد كسب لا يترتب على عمل فالإسلام يحرم الكسب دون عمل خاصة إذا كان كسبًا غير مضبوط، وأيضًا لأني قد

سمعت من جدي أن أراضي الإقطاعيين اتخذت بالبلطجة ولذلك فهي ليست بحلال، وكذلك فإن خلفيتي الثقافية تقول إن الإنسان لا يأكل من كسب غيره، وهذا ليس كلامًا ماركسيًا كما يشاع بل هو كلام إسلامي صرف فالإمام علي كرم الله وجهه يقول: "لا يتمتع الغني، إلا بما حرم الفقير" أي لا يتمتع أحد بشيء إذا كان قد أخذ من شخص آخر؛ لأن الفروقات التي وضعها الله بين الناس مثل الفروقات التي بين الأصابع أي أنها ليست كبيرة كما نتخيل، والرسول ﷺ يقول: "من كان عنده فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ثوب فليعد به على من لا ثوب له، ومن كان عنده فضل دابة فليعد به على من لا دابة له". ويقول الصحابي أخذ الرسول ﷺ يعدد أنواع الفضل حتى ظننا أنه لا حق لأحد منا في فضله، أي لا أحد يملك الحق فيما زاد عن حاجته.

وفي الحقيقة فقد التزمت بهذه القاعدة حتى الآن، وإن كنت لا أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك فلا أكتسب شيئًا لا أعرف طريقه ومع ذلك فأنا أجير لا أدير عملاً وفي الوقت نفسه لا أحرم شيئًا ولا أحلله، ولكني أتكلم عن تجربتي الشخصية التي بها ثلاث محطات رئيسية؛ المحطة الأولى: وهي تجربتي السياسية. لقد كانت النيابة في المجالس النيابية تتوارث منذ أيام الخديوي إسماعيل وكان عندنا عائلتان إحداهما اسمها نافع والأخرى عائلة شريف كان لابد أن تدخل إحداهما المجلس. وفي السبعينيات كان هناك نائب اسمه محمود ندا وهو خالي مباشرة ولقد كان قريبًا مني جدًا؛ لأن والدي عندما توفي تولى تربيتي جدي ولذلك كان قريبًا مني بهذا الشكل. ولقد دخل خالي هذا مجلس الشعب عام ١٩٦٩م وبعد أن حُل المجلس في ١٩٧١م نجح مرة أخرى ودخل كذلك. ومن هنا كانت بدايتي السياسية فقد قمت بدور كبير في الدعاية لصالحه في هذه الانتخابات وذلك هو سبب اهتمامي المبكر بالحياة السياسية. ولقد قمنا من خلاله بالمطالبة بعدد كبير من مشروعات القوانين تمتاز بالحس الإسلامي ومنها المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية. وفي الحقيقة لي رأي في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية سأطرحه فيما بعد أو في مكانه. المهم فقد طالب خالي بتطبيق الشريعة الإسلامية كما طالب بتحريم الخمور، وبالفعل أجيز قانون تحريم الخمور وإن كان قد تم التلاعب فيه من ناحية اللجنة التشريعية؛ حيث أضيفت جملة "إلا في الأماكن السياحية" وبالتالي من الممكن أن يكتب أي شخص أن هذا المكان سياحي وإن كان قانونيًا ممنوع بيع وإنتاج الخمر في مصر. ولقد نجح السيد محمود نافع في أن يُقنع عددًا كبيرًا جدًا من المحافظين أن ينفذوا هذا القانون بالفعل. ومن المشاريع أيضًا أنه قد خصص ٥٪ من تعيينات الحكومة للعجزة والمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة وهو ما اعترف به كثيرون ممن قابلتهم بعد ذلك؛ حيث أكدوا أنهم عينوا بقوة هذا القانون

في مؤسسات كبيرة، أما عن كونه قانونًا يطبق أو لا يطبق فهذا أمر آخر. كما طالب كذلك بإطلاق عمليات فدائية في سيناء وألح على هذا كثيرًا، ولقد ترتب على ذلك تكوين منظمة "سيناء العربية" التي عملت عمليات خلف خطوط العدو في الفترة من ١٩٧١ – ١٩٧٣م في سيناء. وكان له أنشطة أخرى خاصة فيما يسمى بالإصلاح الوظيفي؛ حيث كان قبل ذلك هناك ما يسمى بالرسوب الوظيفي فساهم في وجود قانون المشروعات الذي عدل هذا الوضع. وفي الحقيقة لم أقم بكل ذلك وحدي ولكنني كنت أطرح عليه فكرة المشروع وذلك بعد أن أذهب إلى بعض زملائي من المحامين وأقوم بطرح فكرة المشروع عليهم والتكلم معهم في صياغة الموضوع ثم يقدمه هو في صورته الأخيرة، فكنت أعمل في هذه الفترة من خلاله. وكان (رحمه الله) جادًا جدًّا في عمله وموهوبًا ففي رأيي هو لا يقل أهمية عن حسن البنا.

بعد حرب أكتوبر فكر السادات في إيجاد ما يسمى بالتعددية السياسية فأنشأ داخل الاتحاد الاشتراكي ما يسمى بالمنابر مثل المنبر الإسلامي والمنبر اليميني والمنبر اليساري ومنبرًا الاشتراكية ومنبر الرأسمالية، أي كل من كان يريد أن يكون له منبر لم يكن عليه إلا أن يسمي منبرًا باسمه ويقدمه. ولأنه كان دءوبًا في عمله فقد نجح في عمل منبر، وبعد ذلك تحولت هذه المنابر لأحزاب فأسس الحزب الإسلامي وكان هذا الحزب له برنامج واسع في مجلس الشعب وتم توثيقه في مضابط مجلس الشعب ونجح في أن يأخذ معه عددًا من أعضاء المجلس في الحزب. ولقد ذهبت معه في هذه الفترة للإخوان المسلمين، وعلى ما أذكر لشخص اسمه "محمد شرف" في ميت غمر وكان يعمل في أجزخانة دكتور "فوزي كُريم" ونقلنا الأستاذ "محمد شرف" هذا لأخ له آخر في المنصورة لا أذكر اسمه بالتحديد. وبعد أن قابلناه قال له الحاج "محمود": "لقد أسست حزبًا بالفعل ومن الممكن أن تأتوا لتأخذوه فأنا لا يعنيني أن أكون رئيسًا لحزب ولست في حاجة إليه، بل من الممكن أن أعمل كغفير أو بواب على باب الحزب وسيكون ذلك متساويًا عندي بأن أكون رئيسًا للحزب"، وقد كان صادقًا في هذا. ولقد كان في هذا الوقت قد نجح في أن يكون نقيبًا للمعلمين في ميت غمر، ثم في الدقهلية لفترة، ثم دخل في انتخابات النقابة العامة للجمهورية سنة ١٩٧٦م وفاز بها، بينما كان الأستاذ "مصطفى كمال حلمي" في المرتبة الثانية وكان الأستاذ "مسعود البابلي" في المرتبة الثالثة. ويمكننا أن نعتبر أن موضوع البرلمان هذا قد مر والمسألة بعد ذلك ماتت ولم تستمر. وبعد ذلك دخل الحاج محمود الانتخابات كمستقل ثم عندما دخل الإخوان البرلمان تحالف معهم وتوفي

(رحمه الله) سنة ١٩٩٦م. وهذا كان الجزء الأول من تجربتي السياسية وأؤكد على أنني أعتبره رائد النضال النقابي والبرلماني وأول من ساهمت من خلاله في الحياة السياسية.

المحطة الثانية: كان لديَّ اهتمام مبكر بقضايا العدل الاجتماعي ومعالجتها من منظور إسلامي، وترتب على ذلك أنني قمت بإصدار كتاب تحت عنوان: "دور الحركة الإسلامية في تصفية الإقطاع"، ومن خلال هذا البحث اتضح لي أنه لا يوجد شيء اسمه ملكية الأرض، (هذا من وجهة نظري)؛ لأن ملكية الأرض في الإسلام تطلق على ما يسمى "الأرض الخراجية"، ولا أريد أن أدخل هنا في تفاصيل فقهية فهي كثيرة. المهم أنه لم يسمح ببيع وشراء الأرض وامتلاك رقبة الأرض في بلد مثل مصر إلا بعد صدور اللائحة السعيدية سنة ١٨٨٢م تقريبًا، وبعد ذلك تطورت القوانين فأصبحت الأمة تمتلك الأرض ويوجد شيء اسمه حق الانتفاع. وإن لم يظهر عندنا في المنطقة كلها بما فيها المنطقة الآسيوية والصين أي حتى المناطق غير الإسلامية ما يسمى "الملكيات الإقطاعية" والأطيان والسخرة والتركيبة الأوروبية للإقطاع والتي تطورت فيما بعد للرأسمالية. المنظومة الماركسية في فهم هذه المسألة غير صحيحة لدرجة أن البلاد التي دخلها الإسلام مثل الأندلس قد تغير هذا الواقع وقضى على هذه المسألة ووزعت الأرض على الفلاحين وكانوا يدفعون خراج الأرض أو ما يقابل ملكيتهم لهذه الأرض. كان في هذا الوقت هناك اهتمام بقضايا الفلاحين وكان الفلاحون أحيانًا يفضلون أن يزرعون أرزًا فكانت الحكومة تفرض عليهم أن يزرعوا القطن وهو ما يسمى بالدورة الزراعية، ولكن الفلاحين كانوا لا يقبلون بذلك ويفضلون دفع المخالفة أو الغرامة التي تفرضها الحكومة وكانت الحكومة في بعض الأوقات تأتي وتحرث الأرض أو تقلع الزرع فكنا نقف مع الفلاحين وندخل في مشاكل مع الحكومة لدرجة أن الأمر كان يصل إلى حد الاعتقال. ومن القضايا أيضًا التي كانت تشغل بالنا، أنه كانت هناك عصابة لسرقة المواشي في البلد كما كان يوجد عصابات تضم بلطجية وتجار مخدرات، وكانت كلها تفرض إتاوات على أهل البلد كما ظهر لنا في فيلم "شيء من الخوف" وإن كان الأمر أقل بعض الشيء بالطبع. المهم فقد كَوَّنَّا ما أسميناه حينها بالجماعة الإسلامية؛ لتقف ضدهم، وكنا نخطب في المساجد ونذهب إلى الأراضي الزراعية ونكلم الناس. وقمنا برفض هذه الإتاوات وأدى ذلك إلى أنهم كانوا يضربوننا أو يرسلون من يقوم بضربنا. ومع ذلك كله فقد تعلمنا منهم شيئًا مهمًّا جدًّا، فقد كانوا يقولون لنا: "جماعة إسلامية إيه يا عم ما تروحوا إلى كفر النصارى إذا كنتم تريدون أن تدعوا للإسلام"، وهي كلمة حق أُريد

بها باطل، ولكن هذا كلام صحيح فماذا يعني أن نكون جماعة إسلامية في مجتمع مسلم! وأرى أن الأهم من ذلك بالطبع هو الاختلاط بالناس ودراسة مشاكلهم وما إلى ذلك.

قمنا في هذا الوقت بتجميع الناس وقمنا بما يمكن أن نسميه انتفاضة كبيرة، ففي البداية خرجنا حوالي ٤٠ أو ٥٠ شخصًا من الشباب الملتفين حولنا، ثم بعد ذلك تجمع حولنا ما يقرب من ٣٠ ألف رجل وامرأة وطفل، وذهبنا إلى بيوت أفراد هذه العصابات وقمنا برشقها بالطوب والحجارة وقمنا بتكسيرها تمامًا. وترتب على ذلك أن هؤلاء خرجوا من البلد بالفعل. واستراح البلد منهم فقد خرجوا إلى الأراضي الزراعية وعاشوا وسطها ولم يستطيعوا أن يقوموا بمثل هذه الأعمال مرة أخرى. وإن كان قد تم عمل قضية لنا تحت اسم قضية إتلاف؛ لأننا قمنا بإتلاف ممتلكات هؤلاء الأشخاص. وكان ذلك في ١٩٧٦م وإن كنا لم نأخذ فيها أحكامًا وحفظت القضية بعد التحقيق فيها لمدة أربعة أشهر؛ وذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يحددوا من قام بالضرب أو التحريض عليه بالضبط؛ حيث كان البلد كله يشارك في هذا العمل. وفي نفس الوقت وقعت عدة أحداث؛ حيث مات أحد الأفراد في قسم الشرطة أثناء التحقيق معه فقمنا بانتفاضة أخرى مع أهل البلد جميعًا وذهبنا إلى المركز ففضلت الحكومة أن تُهدئ الأمور. في الحقيقة كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث المؤسفة لكن كان من الملاحظ جيدًا فيها أن الشعارات التي كانت تُرفع كانت تحمل الحس الإسلامي، أي أن ما نشر في الصحف عن هذه الحوادث من شعارات كنت تشعر فيه بالروح الإسلامية. وكان هناك زميل لي اسمه خالد منصور كان يريد أن يقوم بعمل دراسة عن شعارات هذه الفترة وإن لم تتم الدراسة.

دخلت صيدلة القاهرة وكانت هناك جماعة تسمى "شباب الإسلام" وكانت مكونة من شباب كلية الهندسة بجامعة القاهرة وكان هذا في ١٩٧٥– ١٩٧٦م. وهذه الجماعة في الحقيقة كانت تقوم بأعمال متميزة، أي أن الجماعة الدينية كانت من الممكن أن تقوم ببعض الأعمال الجميلة مثل قراءة القرآن الكريم وتجويده وأعمال دينية أخرى. ولكن أريد أن ألفت الانتباه إلى أمر هام وهو أن الأنظمة السياسية وخاصة في مصر كانت تقوم باستغلال المؤسسات الدينية في تبرير وجودها ومهاجمة أعدائها، فجمال عبد الناصر والنظام السياسي كان يستخدم المؤسسة الدينية، وإن كانوا لابد أن يتقاطعوا في كثير من الأمور ولا نستطيع أن نفصل فيها. المهم كانت جماعة شباب الإسلام جماعة متميزة في هذا الوقت.

وجماعة شباب الإسلام غير جماعة شباب محمد التي كانت في الأربعينيات، والتي قامت بالانشقاق عن جماعة الإخوان والتي كان منها الشيخ حافظ سلامة كما كان هناك محام اسمه عطية خميس وهذا موضوع آخر. أما شباب الإسلام هذه فقد كانت في هندسة القاهرة وكانت تصدر مجلة اسمها "وإسلاماه" تتميز بالوعي السياسي العالي وتطرح قضايا مثل القضية الفلسطينية والحرب الأهلية في لبنان. كما كانت تهتم بما يسمى بالاقتصاد الإسلامي سواء كان هذا المصطلح صحيحًا أو لا، كانت تهتم بالاقتصاد الإسلامي. وقد حضرت مع شباب الإسلام محاضرة قاموا بتنظيمها في كلية الهندسة عن (أن الله هو صاحب المال في الأرض وأن الناس وكلاء فيه) أي أنه لا يوجد أحد يملك شيئًا. وفي مرة أخرى أقمنا ندوة عن هذا الموضوع وكان المحاضر فيها الدكتور محمود أبو السعود لا أدري إذا كان أحد سيتذكره أم لا. والدكتور محمود كان في هذا الوقت رجلاً كبيرًا جدًا في السن فقد كان عمره سبعين سنة تقريبًا، وكان من جماعة الإخوان من أفرادها القدامى وقد توفي منذ ١٠ أو ١٥ سنة، وهو مؤلف كتاب "خطوط عريضة في الاقتصاد الإسلامي". وفي الحقيقة فقد استفدت من هذا الكتاب كثيرًا في كتابي "دور الحركة الإسلامية في تصفية الإقطاع". كما استفدت كذلك من هذه المحاضرة.

حاول الدكتور محمود من خلال هذه الندوة أن يضع خطوطًا عريضة في الاقتصاد الإسلامي. وما أتذكره منها أنه كان يطرح تجربة قامت بها إحدى الدول الأوروبية وكانت تتمثل في أن هذه الدولة قامت بطباعة عملتها وعلى ظهرها مجموعة مربعات، وإن لم يصرف من يملك هذه العملة في شهر يناير على سبيل المثال لا يمكنه أن يصرف هذه العملة في شهر فبراير إلا إذا وضع عليه طابع بقرشين أو بثلاثة قروش مثلًا وفي مارس نفس الشيء. وهذا كان من أجل دفع الناس إلى عدم كنز المال أو تشغيله بشكل إجباري؛ حيث كان كل من عليه أموال لأحد يسارع بدفعها حتى لا تقل فائدتها، كذلك من كان معه أموال حتى وإن كانت زائدة عن حاجته كان يسارع بصرفها؛ حيث إن قيمتها كانت تقل بمرور الوقت، وذلك كنوع من أنواع التدوير السريع لرأس المال وهذا كان يساعد على انتعاش الاقتصاد في الدولة. وكان يرى أن هذه المسألة لها أصل في الإسلام وذكر آية ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وأن الأصل في الزكاة أنها تدفع الناس لصرف الأموال حتى لا يكنزوها فتتناقص قيمتها مع الوقت. هذا الكلام كان يحدث في إحدى المقاطعات بألمانيا.

جماعة شباب الإسلام كانوا يشاركون في المظاهرات، أي كان لهم تواجد في الشارع. أما عن مجلتهم "والإسلاماه" فقد صدر منها عدد كبير من الأعداد. كان هذا النمط يعجبني جدًا فكنت أشارك معهم في أغلب الأعمال وكنت أتردد عليهم باستمرار، وظلوا أصدقائي لفترة طويلة حتى تقطعت بنا السبل. وكان من الشخصيات التي ارتبطت بها ارتباطًا شديدًا سيد العزازي وكان من النخاس من الشرقية، وكذلك وائل عثمان وكان له ثلاثة كتب في هذا الوقت؛ كتاب "حزب الله في مواجهة حزب الشيطان" وكتاب "الحركة الطلابية" وهو أهم كتاب، كما كان هناك شخص اسمه عصام الغزالي، وكان شاعرًا ولايزال يكتب الشعر؛ حيث إنني أرى له بعض الشعر المنشور وكان هناك رجل آخر اسمه عدلي كان لاعب كرة طائرة في النادي الأهلي تقريبًا، المهم كانت هذه المجموعة متميزة. ومما أتذكره كذلك أنني شاركت أنا وسيد العزازي في انتفاضة عام ١٩٧٧م والتي وقعت في ١٨–١٩ من يناير. وقد ذهبت إلى المدينة الجامعية وكان هناك عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح، ولكن عصام هو المتأكد من وجوده في هذه الفترة وكذلك كان هناك أيضًا جمال عمران – رئيس اتحاد طلاب كلية الصيدلة– فأخذناهم وذهبنا لنشارك في الانتفاضة، ولكن قال لي لن نشارك. كان يُعتبر رئيس الجماعة الإسلامية في الجامعة وكان يعتبر أهم شخصية في الجامعة بالنسبة لي، وقتها لم أكن أعرف إذا ما كان مع الإخوان أم لا. لا أستطيع أن أجزم بذلك ولكن ما أفهمه أنه كان هناك أمر من الإخوان بعدم المشاركة، وليس المهم المصطلح هنا يفهم أو يستنتج أو يترتب.

بعد ذلك قررت أن أترك صيدلة القاهرة وأن أذهب إلى جامعة الزقازيق، وبالفعل هذا ما حدث وذهبت إلى جامعة الزقازيق، وهناك كانت المحطة الثالثة. والمحطة الثالثة هي أهم محطة في حياتي؛ حيث تزامن معها في هذا الوقت بدء الثورة الإيرانية وكان واضحًا بها الحس الإسلامي. وكان من النشاطات التي نقوم بها في تلك الفترة أننا كنا نعلق مجلات الحائط على الجدران في ممر بين علوم وطب وصيدلة. وقد قمت بإصدار مجلة أسميتها "والإسلاماه". كما أعجبتني مجلة أخرى عن الثورة الإيرانية ولذلك قمت بجمع الطلاب حولي وأخذنا نتناقش فيما تحتويه من أخبار وآراء. وحينها جاء رجل ورفع المجلة من على الحائط وكان هذا الشخص كبير السن بعض الشيء ويلبس بالطو ولذلك من خبرتي كنت أظن أنه مرشد مباحث، فتجاذبت معه الحديث وحدثته بشدة، ولكنه قال لي أنا الذي صمَّمت هذه المجلة وعليها اسمي، وأنا اسمي فتحي الشقاقي وفلسطيني الجنسية، فتكلمت معه عن القضية الفلسطينية وعن أنه من الواجب أن تكون هي القضية المركزية

في الحركة الإسلامية. وتناقشنا في بعض الأخطاء التي وقعت فيها الحركة الإسلامية وهنا لفت نظره الكلام والموضوعات التي أثيرها. ومنذ تلك اللحظة أصبحنا صديقين حتى رحل عن مصر في سنة ١٩٨١م؛ حيث رحل يوم ٧ أو ٨ من أكتوبر، أي عقب اغتيال السادات مباشرة، وبعد ذلك طُلب القبض عليه في هذه القضية لكن كان رحل إلى فلسطين، لم يكن قد انتهى من دراسة الطب فقضاها هنا في مصر، وقد أصبح صديقًا لي وكنت أتردد عليه دائمًا وصل الأمر إلى حد الزيارة يوميًّا تقريبًا، فقد كان يسكن في منطقة اسمها المساكن التعاونية بجانب المدرسة القومية، وبالتأكيد قد تغير اسم المنطقة الآن. وكان يسكن بجانبه الأستاذ رمضان عبد الله شلح – أمين حركة الجهاد الفلسطيني الآن – وكان أصغر منا سنًّا وكان يدرس حينها في كلية التجارة. وكان معه كذلك شاب اسمه باسم وهذا الشاب لم يظهر اسمه بعد ذلك في الحركة ولم أدرِ لماذا. ولقد سألت عنه ذات مرة، فقالوا: "إنه فُصل من كليته من مصر وسجن وبعد خروجه ذهب ليكمل دراسته في الهند"، ولكن لم يظهر اسمه بعد ذلك. ومن الشخصيات التي قابلتها بعد ذلك نافذ عزام — أحد المتحدثين باسم حركة الجهاد الآن في غزة – فقد جاء لكلية الطب عام ١٩٨١م ولكن للأسف لم يكمل، لأنه قُبض عليه ورُحِّل إلى فلسطين.

بدأت أتحدث مع فتحي عمَّا نتصوره عن حال الحركة الإسلامية في ذلك الحين، وقد كان لي عدة أفكار ناقشناها سويًّا. في هذا الوقت كان لدي مجموعة من الأبحاث في هذا الشأن. وقد حاز اهتمامي موضوع انتفاضات الفلاحين في قرى الريف المصري وموقف الإسلام من ملكية الأراضي وكيف أنه لا توجد ملكية للأرض ولا يوجد إقطاع. وقد ألَّفتُ كتاب "دور الحركة الإسلامية في تصفية الإقطاع"؛ حيث صدر هذا الكتاب في مارس ١٩٨٠م وإن كان قد كُتب قبل ذلك. وقمت بعمل مجموعة أبحاث عن القضية الفلسطينية ولكن لم تكن قد اكتملت بعد. كما قمت ببعض الأبحاث عن تاريخ مصر ومجموعة أبحاث عن الحركة الإسلامية أو في هذا المعنى تقريبًا وإن لم تكتمل كلها. ومن الأمور التي ناقشناها كذلك أن هناك اهتمامًا بقضية أفغانستان على حساب القضية الفلسطينية وكنا متفقَين حينها على أنه من الواجب أن تكون قضية فلسطين قضية مركزية في الحركة الإسلامية، أو بمعنى أصح عند الأمة الإسلامية. وناقشنا كذلك فكرة أن حركة الإخوان المسلمين هي الحركة الأم وماذا نعني بالأم مع أنها ليست سوى حلقة من حلقات الكفاح الإسلامي سبقتها حلقات وتبعتها حلقات، وخاصة إذا نظرنا إلى حركات الكفاح الوطني في المنطقة العربية عمومًا ومصر على وجه الخصوص نجد أنها كانت حركات إسلامية. ففي رأيي أن الثورة العرابية ثورة

إسلامية وأن قائدها هو عبد الله النديم وليس أحمد عرابي وحتى رفعت السعيد وصلاح عيسى وكل الذين أرخوا للثورة العرابية اعترفوا بأنها إسلامية بل وعابوا عليها إسلاميتها واعتبروا أن إسلاميتها هي سبب فشلها؛ لأنها استخدمت أسلوب التحريض الديني مع الجماهير وهو أسلوب لا يصلح مع الجماهير. وفي الحقيقة أنا أرى أن هذا هو ما يصلح مع الناس؛ لأن هذا الذي يحرض لا يحرض حجارة فهو يحرض أناسًا لهم تاريخ وكان هذا من الطبيعي؛ لأنني لو قلت للناس الله أكبر فإن شعر رءوسهم سوف يقف لكن لو قلت لهم حرية واشتراكية من الممكن أن يضحكوا عليَّ ويذهبوا.

وكان مما ترتب على هذه الأحداث أنني كتبت كتابًا بعنوان: "صفحات من كفاح الشعب المصري في مصر" يتكون من أربع أجزاء عن تاريخ مصر من عام ١٨٩٨م إلى عام ١٩٥٢م؛ الجزء الأول من الحملة الفرنسية حتى حملة فريزر، والجزء الثاني عن عصر محمد علي وسعيد وعباس، والجزء الثالث عن الثورة العرابية، والجزء الرابع عن مصر تحت الاحتلال الإنجليزي. وممن كانوا في هذه الفترة الشيخ محمود خطاب السبكي وهو الذي أنشأ الجمعية الشرعية في ١٩١٤م وسجنه الإنجليز بتهمة التحريض على الثورة، وقد سجن مرتين في هذه الفترة. وكان الشيخ محمود قد دعا لمقاطعة البضائع الإنجليزية وعمل مصانع نسيج؛ لتحل محل المصانع الأجنبية، وكذلك أنشأ مصنعًا للطرابيش. والجمعية الشرعية كانت قد بعثت بمعونات أكثر من مرة للفلسطينيين وخاصة عندما كانوا يقومون بثورة البراق ١٩٢٩م. وقد ألممتُ كذلك بالجوانب السياسية في حياة هذا الرجل. وكان ممن أعدموا في ثورة ١٩١٩م من عناصر الجمعية الشرعية وخاصة من القيادات، وقد أثبتُّ كل ذلك ووثقتُه في كتاب بعنوان "الجوانب السياسية في حياة الشيخ محمود خطاب السبكي".

وهذا يدلل أيضًا من طريق آخر على أن أمر جماعة الإخوان وكونها هي الجماعة الأم ليس صحيحًا، وإذا نظرنا إلى ثورة مثل ثورة ١٩١٩م نجد أن التاريخ داخل وخارج أو به المكشوف لنا والمخبأ عنا. ففي وقت معين اكتشفت بعض الأمور التي كانت غير ظاهرة لي ويهيئ الله للإنسان من الأمور ما لم يكن في انتظارها، فعلى سبيل المثال عندما كنت أكتب ووصلت إلى فترة ثورة ١٩١٩م وجدت شخصًا يقول لي: "هذا الكتاب أتيت به من المعرض ولست في حاجة إليه". والكتاب كان باسم "الحزب الوطني والنضال السري" لمؤلفه بهاء الدين الريس حسن الصغير، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه منشورة عن طريق هيئة الكتاب، ويتكلم عن التنظيمات السرية في الحزب الوطني التي

فجّرت ثورة ١٩١٩م والتي كان منها مصطفى النحاس، والتي أظهرت الجزء النظيف في الوفد فيما بعد، إذًا كيف سُرِقت الثورة؟ المهم أنا في رأيي أن ثورة ١٩١٩م كانت ثورة إسلامية ولا يصح القول أن الإخوان هي الحركة الأم وأن الحركة الإسلامية تقتصر على الإخوان، إذًا الحركة الإسلامية هي حركة الشعب كله والذي يمثله عمر مكرم ومحمد كريم وعبد الله النديم والأفغاني ومصطفى كامل ومحمد فريد وأحمد حسين، ولا يوجد مانع من أن نقول إن حسن البنا كان واحدًا من هؤلاء لكنه ليس المحور الرئيسي للحركة. من الأشياء التي كنا نأخذها على الحركات الإسلامية أن نشاطهم كان إما عنفًا أو تربية، ولكن هناك شيء وسط اسمه النضال السياسي، ومن المفترض أن النضال السياسي وسط جدلي بين العنف والتربية. والحقيقة أنه كان ممن يمثلون هذا الشكل الوسطي الشيخ أحمد المحلاوي في الإسكندرية والشيخ محمود عيد والشيخ عبد الحميد كشك والشيخ حافظ سلامة، وإن كنت أرى أن أنضجهم الشيخ أحمد المحلاوي لدرجة أن مسجد القائد إبراهيم الذي كان يخطب به الشيخ أحمد المحلاوي تحول إلى ما يشبه المركز الرئيسي لمعارضة اتفاقية كامب ديفيد ومعارضة السادات فيما بعد، وكان يخطب به الأستاذ فتحي رضوان وغيره من السياسيين، ولقد سجلت هذا في كتاب لي بعنوان: "الشيخ المحلاوي وظاهرة النضال السياسي" أو إيجابية النضال السياسي. وذكرت أن النضال السياسي هو الوسط الصحيح أو الحل الصحيح؛ لأن مصر لا يصلح فيها أسلوب التربية، فالأسلوب الأمثل والصحيح هو أسلوب النضال السياسي. ومن النقاط التي كنا نأخذها على الحركات الإسلامية كذلك في هذا الوقت مسألة أن أدعو المسلمين إلى الإسلام وأن هذا الأمر لا يصح، فمن المفترض أن أتصرف كطليعة كما كان رجال المباحث يطلقون علينا، فمن المفترض أننا كالخميرة التي توضع في اللبن "الأم" حتى يتحول إلى زبادي "النهضة".

حتى في النشاط الجهادي يتضح أن به خللاً، فأية حركة لا يجب أن تتصرف كطليعة بل تتصرف كبديل عن الأمة، هي في الحقيقة ورم سرطاني في جسم الأمة ظهر في المجتمع ويؤدي إلى عكس المطلوب. وكانت كل هذه الأفكار نطرحها للنقاش وذلك في أعوام: ١٩٧٨م، ١٩٧٩م، ١٩٨٠م وحتى ٧ أو ٨ أكتوبر ١٩٨١م، وكان آخر شخص سافر هو فتحي الشقاقي؛ حيث سافر في ٧ أو ٨ من أكتوبر وذلك عقب اغتيال السادات. كان مما فكرنا فيه كثيرًا وكان لافتًا للنظر هو عدم الاهتمام الكبير تجاه القضية الفلسطينية الذي يعتبر أحد أوجه الخلل في الحركة الإسلامية، وأنه من الواجب أن نضع الهرم على قاعدته بأن نهتم بالقضية الفلسطينية خاصة أن القرآن والسنة أكدا على ذلك وأيضًا الواقع العالمي. وهي من القضايا التي أزعم أنني أدخلتها إلى الحركة الإسلامية

إضافة إلى العديد من المفاهيم والمصطلحات، منها أن القضية الفلسطينية قضية مركزية في الحركة الإسلامية وكنت أول مَن قال هذا الأمر، ولعل حركات أخرى قالت بأشياء من هذا القبيل ولكنهم كانوا يقولون مثلاً إنها القضية الأولى للعروبة أو القضية الأولى للعرب ولكن ليس نفس المصطلح. وقد أخذ فتحي الشقاقي هذا المصطلح عني وهذا ما لفت انتباهه لي.

الأمر الثاني الذي ناقشناه هو موضوع الفرز الحضاري غير الطائفي. وهذا لم أخترعه فقد قال به مكرم عبيد عندما قال: "أنا مسلم وطنًا مسيحي دينًا". وهذا يعني أنه من واجبنا أن نقوم بفرز الناس على أساس حضاري وليس على أساس طائفي، بمعنى أن من نطق بالشهادتين فهذا مسلم، وهناك الآخر مسيحي. ليس في هذا أية مشكلة وبعد ذلك كل شخص حر في موقفه السياسي فمن قال لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله فهو مسلم، لكن الإسلامي هو الذي ينحاز للمشروع الوطني المعادي للصهيونية، المعادي لأمريكا. قد يكون هذا الإسلامي مسلمًا وقد يكون مسيحيًا مثال ذلك فيكتور سحال وجمال أسعد ومثل عديد من الرموز المعروفة، ومن الممكن أن يكون يهوديًا مثل يعقوب صنوع. وبمناسبة الحديث عن ذلك نحن لسنا ضد اليهودية كدين نحن ضد الصهيونية باعتبارها إفرازًا غربيًا وليس إفرازًا يهوديًا بدليل أننا نقول إن يعقوب صنوع كان مع الأفغان، فيعتبر يعقوب صنوع يهوديًا إسلاميًا، ونعوم تشومسكي الذي نحبه الآن. وبذلك فنحن ضد الصهيونية ولكن من منظور إسلامي عربي وذلك في مقام المدح وليس في مقام الذم. وفي رأيي إن الدكتور أنور عبد الملك إسلامي ملحد وليس في ذلك مشكلة. وبهذا يمكن أن يكون الإسلامي مسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا أو ملحدًا؛ لأن المسألة هنا موقف. نحن نريد أن نعيد صياغة الحركة الإسلامية وأن نؤكد على أن الإسلام ليس مسئولية المسلم فحسب بل هو مسئولية المسلمين والمسيحيين وأننا في معركة حقيقية.

وبالنسبة لموضوع المصطلحات فقد أدخلت شخصيًا مصطلح الإقلاع، والمقصود بفقه الإقلاع أن المنحنى الإسلامي ارتفع ثم ثبت ثم انخفض، والفقه الذي ظهر في مرحلة الصعود كان فقهًا ممتازًا لا يستطيع أحد أن يقول شيئًا عنه، ولكنه في نفس الوقت كان ملائمًا لهذه الفترة ولا يصلح مع فترة الهبوط؛ لأن في مرحلة النزول أو الهبوط نحتاج إلى فقه يراعي مسألة الهزيمة الحضارية. والهزيمة الحضارية تعني أننا في مرحلة تبعية وفي حالة هزيمة تكنولوجية والحكومات ليست في حل من أمرها — هذا ليس دفاعا عن الحكومات — لا يصح في هذا الوقت أن أطالب بتطبيق

الشريعة الإسلامية وإلا أكون مستهترًا؛ لأن الحكومات لا تملك من أمر نفسها شيئًا ولا تستطيع أن تأخذ قرارًا سياديًا مضبوطًا بمعزل عن العالم أو بمعنى أن الدنيا ليست ملكها، بينما الفقه الذي ظهر في المرحلة الثانية هو فقه الصعود فقد كان الخليفة العباسي يقول للسحابة في السماء "أمطري؛ حيث شئتي فسوف يأتيني خراجك" فظهر فقه يناسب هذه الظروف. من حيث العموم فإن الفقه يختلف فالإمام الشافعي كان يفتي في عام بعكس ما كان يفتي به في العام الذي بعده؛ لأن الظرف تغير أو الزمن تغير. كما كان يفتي في مصر بغير ما يفتي به في العراق؛ لأن المكان تغير فما بالك إذا كان ما تغير هو الزمان والمكان. كما أن الذي تغير هناك كان تغيرًا نوعيًا؛ لأن المنحنى الحضاري يهبط، والآن نحن نحتاج إلى فقه جديد وهذا هو تجربة الخطاب الديني المستنير الشائع الحديث عنه الآن. فنحن نحتاج إلى خطاب حقيقي وليس خطابًا تطبيعيًا مع أمريكا وإسرائيل. أريد إيجاد فقه جديد أنا أطلقت عليه فقه الإقلاع، وكان الهدف منه أن يقلل من سرعة هبوط المنحنى ثم يتوقف هبوط المنحنى الحضاري ثم يقوم بعمل انقلاب في هذا المنحنى. ولكن من الواضح أن الجماعات الإسلامية لم تفهم المقصود من هذه المرحلة، وبالتالي قامت بتكاليف أمنية وسياسية واجتماعية ومجتمعية هائلة جدًا كانت كلها خسارة؛ لأنها لم تفهم هذه النقطة. وذلك كان في كل الحركات سواء في مصر أو في الغرب ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا حزب الله وحماس والجهاد الفلسطيني والمقاومة العراقية، وإن كان لا يوجد من يخلو من الأخطاء؛ لأنها في النهاية تجارب بشرية لها أخطاؤها.

المهم أننا جلسنا نتحدث عن هذه النقاط ووصلنا إلى قناعة أنه لا يوجد أمل في إصلاح الإخوان وأن من الواجب علينا أن نقوم بعمل نوع من التسويق لمجموعة الجهاد والجماعة الإسلامية؛ لأنهم لديهم قدر من المرونة أو عدم التأصيل الفكري الخاطئ الموجود عند الإخوان، ومع ذلك كان علينا أن نعمل معهم وتظل بيننا علاقات واسعة وكان لنا بهم بالفعل علاقات صادقة. وفي الحقيقة لقد قمت بالعمل مع كل الجماعات تقريبًا ووقعت مشادات كلامية مع بعضهم. ومن الجماعات التي كان لي بهم علاقة جماعة الإخوان وجماعة التكفير والهجرة، كما كان لي علاقة بجماعة الفرماوي وهي جماعة عجيبة جدًا فهي في الحقيقة لا هي التي تسكت ولا هي التي تعمل فهي حالة غريبة جدًا وعجيبة، وقد كنا نطلق عليها "كفر أبيب"؛ لأنها كانت تُكَفِّر أي أحد. وفي فترة من الفترات تكلمنا معهم عن أنه من الواجب أن نهتم بالقضية الفلسطينية وأنه لا يصح أن نطالب بتطبيق الشريعة في ظل هذه الظروف، فالحكومة ليست في حِلٍ من أمرها بل إنها في حالة تبعية للغرب أو لأمريكا تحديدًا. وبالتالي مادمنا في حالة هزيمة تكنولوجية فعلينا في ظل هذه الظروف أن نراعي هذا

الأمر وخاصة على مستوى التنمية. فعلينا أن نسعى لتنمية زراعية وليس لتنمية صناعية فمثلاً نحن إذا أردنا أن نقوم الآن بعمل تنمية صناعية فهذا ليس من العقل، فعلى سبيل المثال لو قمنا بإنشاء مصنع كبير للأدوية مثلما حدث بالسودان فمن الممكن أن يضربه صاروخ واحد ويذهب كل شيء، لكن لو قمنا بإنشاء ٣٠ أو ٤٠ ألف مصنع صغير في شقق بدلاً من المصنع الكبير سيكون من الصعب أن يضربوه. والمقصود من ذلك أنه يجب أن نراعي الظروف التي نحن فيها ومادمت في حالة هزيمة يجب ألا أضع كل ما لديَّ من بيض في سلة واحدة ولا أضع كل حاجياتي في مكان واحد.

وعندنا في الأثر الإسلامي قصة سيدنا موسى مع الخضر عندما ثقب السفينة فسأله عن السبب فأجابه أنه بثقبه لها لا يفسدها وإنما ينقذها، فهناك حاكم ظالم يأخذ أي شيء يجده بحالة جيدة ولذلك فهو بثقبه لها ينقذها وينقذ أهلها من يد هذا الحاكم الظالم؛ لأن أخذه لها سوف يحرم الناس الغلابة الذين يعملون عليها من رزقها. نحن يجب أن نراعي ظروفنا التي نحن فيها الآن، ففي ظل عالم يحكمه المجتمع الصناعي الرأسمالي أو التحالف الأمريكي — الصهيوني، في ظل هذا المجتمع يجب ألا نقوم بتنمية عالية الكثافة، ولا أن ننشئ مؤسسة كبيرة ولا جيشًا قويًا جدًا، فنحن لن نستطيع أن نُعِدَّ جيشًا كجيش الرئيس العراقي صدام حسين ومع ذلك هذا الجيش تبخر في أيام معدودة، في حين أن المقاومة الشعبية في الفلوجة — بلدة صغيرة عدد سكانها ٢٠٠ ألف نسمة — استطاعت أن تجعل الأمريكان في حيرة من أمرهم. إذن فالمقاومة الشعبية وليس المقاومة المؤسسية ولا الدولة القوية ولا الجيش القوي ولا المصانع القوية هي التي ستقاوم. وفي الحقيقة لقد قمت بتسجيل كل هذه الأفكار ووضعتها في كتب، فقد قمت بكتابة حوالي ٦٠ كتابًا في الموضوع السياسي، كما كتبت ٤٠ كتابًا للأطفال ما بين مجموعات قصصية وأشياء أخرى، فقد كان في هذا الوقت عندي غزارة في الأفكار ولا أدري كيف، ولعلك تجد أن بعض الكُتب التي صدرت في ١٩٨٣م مثلاً أفضل في اللغة والمنهج من كتب صدرت الآن.

أخذنا نتحدث عن كل هذه الأفكار وخرجنا من كل ذلك بأنه يجب أن نقوم بعمل مسلح داخل فلسطين ضد إسرائيل، ولكن بشرط أن يكون طليعة وليس بديلاً عن الأمة وأن تكون أطروحته السياسية أطروحة مفهومة وسهلة وبسيطة. وكان هناك مجموعة من المصريين منهم الدكتور خالد عبد العظيم (وهو الآن أستاذ بكلية الطب ولكنه هاجر). وكان هناك أسامة الشافعي من كلية الهندسة، ولكنه سافر أيضًا، وكان هناك الدكتور محمود سليمان وهو أيضًا كان في كلية

الطب، وكان هناك آخرون في كلية الزراعة والطب البيطري بالزقازيق، أي كان هناك ما يقرب من ٥٠ إلى ٦٠ شخصًا. والعجيب أنه كان هناك عدد كبير من البنات يشاركن في العمل ويقمن بعمل لوحات حائط ويناضلن. وكان من الأمور الجميلة أننا عندما كنا نقوم بعمل إضراب مثل (إضراب عمال المحلة) كان الناس يقومون بالمشاركة معنا في هذا الإضراب ولكن هذه المسألة تبخرت بالطبع وذلك لأسباب قوية. ومن هذه الأسباب على سبيل المثال القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢م والذي تم تطبيقه على الفلاحين والذي ينظم موضوع الضرائب. ولقد قمت بالكتابة ضد الإخوان في هذا الموضوع في جريدة الدستور وصرحت أنني لا أريد أن يصبح الإخوان المسلمون ملاك أراضٍ ودخلت في معركة كبيرة في هذا الصدد. ومما كتبته في ذلك مقال بعنوان: "الفلاحون ينزفون" في جريدة الدستور أيضًا. وقد كتبت في جريدة الشعب عددًا كبيرًا من المقالات ما يقرب من ٧ – ٨ مقالات وأبحاث ودراسات كلها كانت حول ملكية الأراضي وانتفاضات الفلاحين. وقد تم عمل ما يسمى بمؤتمر تأسيس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وكان ذلك في الزقازيق واستمر على مدار أسبوع. وتم تقديم العديد من الأبحاث والدراسات المتعددة وكان ذلك في ١٩٨٠م، وقد سجلت هذه الشهادة في كتاب بعنوان: "فتحي الشقاقي صوت المستبعدين في مواجهة مشروع الهيمنة الغربي" ونُشرت في مجلة العالم كما نُشرت في الدستور وصحف عديدة بعد ذلك. وقد قامت هذه المجموعة بمراجعتها وذلك؛ لأن رمضان عبد الله كان عند علي عسكر. وكان رمضان مريضًا وكان عنده امتحان في اليوم التالي ومع ذلك فلم يذهب فتحي للامتحانات؛ لأن علي قال إنه سيجلس ليطببه، وبالفعل جلس معه وأخذ يضع له الكمادات وقد وفقه الله في الامتحانات مع أنه لم يذاكر في تلك الليلة.

تم إقامة المؤتمر التأسيسي في هذا الوقت ولم يكن له شأن بالجامعة ولكن شارك فيه عدد كبير من القاهرة، وكان ممن شاركوا في هذا المؤتمر الشيخ محمد جودة والدكتور عبد العزيز عودة وإن لم يكن موجودًا في مصر في هذا الوقت؛ لأنه كان قد سافر. وكذلك كان هناك بشير نافع وكان له اسم حركي حينها كان اسمه أحمد صادق. وكان من الموجودين رمضان، وأيضًا نافذ لكنه جاء في آخر تواجدهم في الزقازيق، وباسم عوض أو باسم يونس والدكتور ناجي الذي حُبس معنا في عام ١٩٨٣م. المهم أن المؤتمر التأسيسي قد تكوَّن في هذه الفترة وبدأ العمل على ذلك، ثم بدأت إقامة مؤسسات داخل الأرض المحتلة، وأنشأوا ما يسمى بالمجمع الذي أُنشِئ في جماعة الإخوان أيضًا، وكان هناك ما يسمى بالمؤسسة التربوية.

بدأوا العمل بالفعل وفي الحقيقة هم الذين بدأوا انتفاضة ١٩٨٧م وهذه شهادة أشهدها، وبعد ذلك جاءت جماعة الإخوان للسير على خطاهم (في ذيلهم) فحماس أقوى ولديها قدرات أعلى ولكن هذه هي فكرة حركة الجهاد التي كانت تقوم على "أن نبدأ عمل نجبر الآخرين به على النشاط"؛ لأنه ليس من المعقول أن يترك الطرف القوي الطرف الضعيف يسيطر على الساحة وهو يقف ينظر إليه هكذا وهذا ما حدث بالفعل، هذا هو ما حدث في روايتي أنا وفي فهمي لها. المهم فقد ذهب فتحي في ٧ أو ٨ وبعد ذلك طُلب القبض علينا وقد ظللت هاربًا حتى ١٩٨٣م ثم سلمت نفسي وسجنت ستة أشهر ثم خرجت لم يُصدَر ضدي قرار اتهام. في أحداث ٥ سبتمبر فكرنا في عمل اعتصام في الأزهر ومظاهرات، وقررنا أن نبعث بذلك للإخوان والجماعة الإسلامية والجهاد ونقترح عليهم التنسيق معنا، وكان لنا حينها علاقات مع حركة الجهاد في الزقازيق والتي كان من أفرادها عبد الفتاح عبد المنعم والشيخ علي فراج. قمنا بالفعل بإرسال أسامة إلى جماعة الجهاد لعبود الزمر وأرسلنا أسامة الشافعي للإخوان وأرسلنا شخصًا آخر لمجموعة في الصعيد، فأما عن مجموعة الصعيد فقالوا إنهم سوف يقومون بعمل كبير جدًا وحكوا للأخ الذي ذهب إليهم تفاصيل ما ينوون القيام به، ومما قالوه إنهم سيقومون بانقلاب فقلنا لهم: "إننا لا ننوي عمل انقلابات وليس العنف في منهجنا". أما عن الإخوان فقد قالوا لمن بعثناه لهم إنهم لا يحبون العمل مع أحد إنما سوف يعملون وحدهم.

ومن الطريف أن عبود الزمر بعدما رأى أسامة ووجد عنده وعيًا سياسيًا يبدو أنه قال إن الجماعة تحتاج إلى شخص مثلك فعرض عليه فكرتهم واقتنع أسامة بالفعل بالفكرة وجاء إلينا وقال إنه قد انضم إلى جماعة الجهاد وهو محبوس الآن فك الله أسره. وأسامة الإيراشي كان من الشخصيات البحثية التي تستحق الإشادة وأنا أعتبره مثل جمال حمدان تقريبًا، وكان قد حصل على بكالوريوس علوم قسم جيولوجيا وبعد ذلك عاد وحصل على الثانوية العامة مرة أخرى من السجن بعد اعتقاله، وكان أسامة قد اعتُقل حتى ١٩٨٣م ثم خرج مدة ثم عاد ثانية وهو معتقل حتى الآن. وفي هذه الفترة حصل على بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية ثم ليسانس الآداب ثم ماجستير في الآداب ودكتوراه في الآداب، وقد أخذها في المجال الحيوي لمصر، ورسالته هذه رسالة هامة في المجال الحيوي أو الأمن الحيوي المصري. وكنا نطلق عليه أسامة جغرافيا؛ حيث كان أبوه مدرسًا لمادة الجغرافيا وكان هو يحب الجغرافيا جدًا لدرجة أن أباه كان يشركه معه في كل شيء في أثناء تدريسه للجغرافيا. وهو كان في الحقيقة عقلية جغرافية فذة وكان من الممكن أن يصحح لك الكثير من المعلومات التاريخية

والجغرافية لدرجة أنه كان إذا ذكرت له موضوعًا معينًا يقول لك إنه قد كُتب فيه رسالة دكتوراه ويحدد لك مكان وجودها الآن. وفي الحقيقة أنا أعترف بفضل أسامة عليٍّ في كتابة كتاب "تنظيم الجهاد"، فقد قلت له يومًا: "يا أسامة أنا أريد أن أعرف كل شيء عن هذا التنظيم من بداياته". وكنت قد اعتقلت في ١٩٨٣م.

وسوف أحكي بعض الطرائف التي وقعت في هذه المسألة. ففي فترة سجني كنت أريد أن أقابل بعض الأشخاص الذين قاموا ببعض الحوادث التي قامت بها هذه الجماعة حينها وذلك حتى أتكلم معهم، ولكن عندما اعتقلونا وضعوني في سجن أبي زعبل لم يضعوني معهم، ولكني وبخلفيتي الطبية التي أخذتها أيام الكلية ادعيت أن عندي ألمًا في أسناني وقلت لهم: "إنني أشك في ورم عندي فوق الضرس"، ولم يكن عندهم حينها أشعة ولذلك قالوا سوف تذهب إلى الليمان "ليمان طره" حتى أقوم بعمل أشعة هناك وهو ما كان، وقابلت هناك كل قيادات الجهاد وأخذت منهم قصة التنظيم من أولها وكيف نشأ في سنة ١٩٨٥م وما هي أفكارهم والموضوع بأكمله وكتبناها وصدرت في كتب. وأريد أن أقول إنه مهما كانت السنوات الصعبة في السجن، فإنه في آخر الأمر الموضوع يكون بسيطًا. ونحن وصلنا في عام ١٩٨٣م إلى أن زوجات المعتقلين كن يأتين إليهم في السجون، وأنا عن نفسي كان يدخل لي من ٣٥ - ٤٠ زيارة في اليوم وكانت الزيارة من العاشرة صباحًا إلى الرابعة عصرًا، وكانت الأمور سهلة في ذلك الوقت فلم تكن الزيارات داخل الزنازين فقط إنما كنا نجلس معهم مثلاً على السطوح أو في أي مكان كان، وذلك كان في عهد وزير الداخلية زكي بدر. هناك رواية جميلة اسمها (عجائب بيت الذئاب) عن طفل يهودي من أصل بولندي أخفوه في سجون هتلر، فالمسألة من الممكن أن نقول إنها فاكهة.

في نهاية مراحل المحاكمات وصل الأمر إلى أننا كنا نتبادل الخروج في الذهاب للمحاكمات؛ حيث يقول الأخ لأخيه: "إذا كنت تريد أن تنزل بدلاً مني فاذهب، ذلك أنني لا أريد أن أخرج من هنا"، وكنت بالفعل في بعض الأوقات أركب سيارة الترحيلات بدلاً من أحد الإخوة وأذهب معهم إلى المحكمة ثم أعود مرة أخرى من باب المداعبة. وكل ما في الأمر أنه كان هناك مَن يحب أن يهادن الإدارة ومن يريد أن يحاربها. أعتقد أن منتصر الزيات كان معنا في ذلك الوقت في سجن أبي زعبل، وكان معنا أيضًا أخ اسمه بدر وهو محبوس إلى الآن فك الله أسره، وممن كانوا معنا أيضًا الدكتور جميل وكان فلسطيني الجنسية والدكتور خالد أيضًا. وفي هذه الفترة كان عندي قدر

من النفوذ خارج السجن؛ حيث كان لي أقارب بالخارج فطلبت منهم أن يأتوا لي بسماعة طبيب وجهاز قياس الضغط وأعطيتهما للأطباء في السجن. كنا في زنزانة كبيرة جدًا بها أكثر من ثلاثين شخصًا في عنابر، وكان أخونا بدر هذا يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكنا لا نعرف ذلك؛ حيث كان يحاكي سيدنا داوود. وفي إحدى الليالي أغمى عليه وظننا أنه سيموت؛ لأننا لم نعلم سبب هذا الإغماء فقلنا لابد أن نعالجه ولكن وجدنا أن ضغطه منخفض جدًا، ورأينا أنه لابد أن يذهب إلى المستشفى وبالفعل أخذنا نطرق بشدة على الأبواب حتى يخرج إلى المستشفى لكنهم قالوا: "إنه لكي يخرج إلى المستشفى أو لكي تفتح الزنزانة ليلاً لابد من الحصول على إذن من المأمور نفسه"، وقالوا: "إنه ليس من المعقول طبعًا أن نأتي به من المنزل من أجل خاطركم"، فقلنا: "لا لابد وأن يأتي؛ لأن الرجل يموت". المهم لم يستدعوه فأتينا بالأواني التي كانت معنا وأخذنا نطرق عليها بشدة وانضمت إلينا الزنازين الأخرى، وصارت ضجة كبيرة جدًا كان من الممكن أن يسمعها من هو خارج السجن، وحينها اضطروا للإتيان به وفتحوا الزنزانة وأخذوه إلى المستشفى ووجدوا أن السكر عنده منخفض جدًا فأخذ محاليل وشُفِيَ والحمد لله وعاد إلى الزنزانة في الصباح. لكن كان هناك من لا يحب الصدام مع النظام ولذلك جاءوا وقالوا إن الإخوة الذين قاموا بالإزعاج بالأمس ليس لديهم دليل من الكتاب أو السنة. وتهكموا علينا من الإزعاج الذي حدث لهم فقلنا لهم: "أنتم لستم في فندق فقد كان هناك شخص مريض فماذا كنا سنفعل إذًا؟"، وكان أكثرنا تفتحًا الدكتور جميل الفلسطيني الأصل وهو الآن في الأراضي المحتلة فقال نحن نريد أن نسكتهم وبالفعل كتب لهم رسالة بعنوان: "أدلة المخبطة في الرد على المثبطة". وبالفعل سكتوا ولم يتكلموا عن شيء بعد ذلك.

وكان من الأمور الطريفة التي حدثت لنا ونحن في المعتقل في عام ١٩٨٦م أن أسامة دخل السجن وكان هاربًا مع أحمد راشد أي أنه دخل بعدنا بكثير. وكانوا يحققون معه في النيابة وكانت القضية حينها شبه انتهت؛ لأن كل شيء تكشف فجماعة الجهاد لم تقتل حسن أبا باشا، واتضح أن جماعة "الناجون من النار" هم الذين قاموا باغتياله. وكان الناس قد استعدوا للخروج من السجن. المهم قلنا لأسامة أنت ستذهب إلى النيابة وإذا سألوك عن أي شيء قل لا أعلم لا أدري لم أرَ شيئًا وهكذا. فعندما ذهب إلى النيابة أخذ يتحدث عن القضايا الفكرية وأصر على أن يبدي رأيه في القضايا المثارة في البلد. المهم عندما عاد وجدت الإخوة يصرخون منه وقالوا لي انظر يا عم محمد ماذا فعل صاحبك، وكان لا يسمع كلام أحد غيري آنذاك — هو عقلية جادة جدًا مثل

جمال حمدان وإن كنت قد سمعت أنه أصبح تكفيريًا الآن في السجن والله أعلم ربما أصبح كذلك من التعذيب - المهم جلست أترجاه، ولكنه صمم وقال: "لابد وأن أسجل شهادتي للتاريخ". وكان أمر الجميع معلقًا عليه وهم لم يفعلوا شيئًا. المهم في النهاية حفظوا التحقيق وأفرجوا عن الناس وظل أسامة في السجن بعد أن سجل وجهة نظره.

في عام ١٩٨٣م كان عندي عدة اعتراضات وهذه الاعتراضات سُجلت في الشهادة، كنت قد اعترضت على فتحي الشقاقي في أمرين؛ الأول: أننا لابد من أن نقاطع كل جماعات العنف في مصر وفي غير مصر، والثاني: أننا لابد وأن نركز في مناقشاتنا على إسرائيل ولا شأن لنا بالحكومات العربية، وذلك ليس لأنها جيدة أو سيئة ولكن؛ لأن هناك ما هو أهم وهو القضية الفلسطينية، وأن العمل لكي يكون صحيحًا وطليعيًا لابد ألا يدخل في متاهات. فأنا أريد أن أقول الكفاح المسلح والاهتمام بالقضية الفلسطينية أهم بالتأكيد من أن أدخل في مهاترات مع الحكومات العربية، وبالتالي يجب ألا أقيم أية علاقات مع جماعات العنف مثل الجهاد والجماعة الإسلامية. والأمر الثاني الذي ناقشته مع فتحي أنه من المفترض أن نكون حذرين في علاقتنا مع إيران؛ لأنها في النهاية دولة لها أجندتها وأنت حركة. فقال لي: "بالنسبة للشق الثاني فهذا من الممكن أن يتماشى مع المصريين ولكن لا يتماشى مع الفلسطينيين؛ لأننا في فلسطين لابد أن نقيم علاقات خارجية"، فقلت له: "إذًا أنت لم تفهمني وبعد إذنك أنا منسحب من المشروع أما ما كنا نتكلم عنه فإنني سأبدأ في كتابته"، وهو ما كان بالفعل، وكان ذلك منذ عام ١٩٨٣م. وأما عن قضية ١٩٨٧م فقد دخلت فيها بطريق الخطأ.

المهم أن فتحي قابلني بعد ذلك في مؤتمر بليبيا وقال لي: "إنك كنت على حق وإنهم أخطأوا عندما أرادوا أن تقف الجماعات الإسلامية كلها في خندق واحد"، وقال إنه اقتنع أن علاقتهم بجماعات العنف كان فيها ضرر لهم أكثر من نفعه فقلت له: "إذًا لا بأس". وعن المشروع الفكري قلت له: "إنني بالفعل بدأت في كتابته واقتربت من الانتهاء منه"، وبعد ذلك هو اُغتيل. وبعدها دخلت المجموعة التي كانت معه في قضية ١٩٨٧م وقد دخلت معهم بالفعل ولكن اتضح للحكومة من اللحظة الأولى أنني لا علاقة لي بهذه الأعمال ولكن هم كانوا قد أقاموا علاقات مع جماعة الجهاد، ولذلك فقد نالوا قدرًا كبيرًا من التعذيب بشكل خرافي، ومع إنني عُذِّبت إلا أنه كان تعذيبًا محدودًا وأقل بكثير منهم، وإن كانت آثاره لا تزال باقية على جسدي حتى الآن، ولكن على سبيل

المثال الدكتور خالد عبد العظيم تعرض للتعذيب لدرجة أنه كان قد أشرف على الجنون. أما أسامة فقد تعرض لتعذيب شديد جدًا كذلك ولكن أسامة كان يتكلم بسرعة. وقد ذهبت إلى أسامة مرة وهو في معهد أمناء الشرطة وكانوا يحققون معنا فيه، فأنا حققوا معي لمدة ستة أيام أما أسامة فقد ظلوا يحققون معه لمدة ٣٥ يومًا وكان في هذه الفترة قد ربطوا فنلة على عينيه (الغماية)، وأُصيب في هذا المكان بجرح خطير؛ لأنه عند الإصابة بجرح في هذا المكان يكون الإنسان عُرضة لأن يدخل أي ميكروب إلى المخ، ومن الممكن أن يدمر المخ مباشرة، ولذلك فقد قلنا لهم: "إنه لابد من أن ينقل للمستشفى ليعالج". وبعد فترة استجابوا لنا وذهب أسامة إلى السجن وبدأوا يعالجونه بالفعل.

وفي هذا الوقت كانت هناك قضية اغتيال حسن أبي باشا وأنا شاهد عليها من أولها إلى آخرها؛ لأن طه البحيري أتى ومنتصر الزيات يعرف هذا الكلام؛ لأن طه عمل بعد ذلك في مكتب منتصر. وعن القضية فقد جاء التفكير فيها عندما استدعى أبو باشا أخت مجدي الغريب التي كانت زوجة محمد عبد السلام حامد، وعائلة مجدي غريب كان منها أربعة أشخاص متهمين قبل ذلك في ١٩٨٣م، وكانت عائلة غنية ويمتلكون أراض ومبان وعندهم إمكانيات. فقيل إن هؤلاء هم الذين من الممكن أن يثأروا لأختهم فالحقيقة هم كانوا أبرياء، لكن عندما جاءوا بمجدي وقاموا بضربه ضربًا شديدًا وقطعوا جزءًا من جسمه وكسرت له عظمة لم يعترف؛ لأنه كان بالفعل لم يقم بشيء ولا يعرف أي شيء. ولكن الذي تكلم واعترف بعد التعذيب كان محمد طه البحيري وكان يعمل كسائق، وكان يسكن فوق مجدي غريب، وهذا كان من الأشياء الطريفة التي عشتها.

الخاتمة

إن التاريخ الشفاهي ضروري لكنه لا يغني عن الوثائق المكتوبة، فأهمية الشهادة الشفوية تظهر عند غياب الوثائق المتصلة بالحدث أو المعلومة أو عند تفسير الحدث من قبل شخص أو أشخاص ساهموا في صناعته أو كان لهم دور في القيام به. إذا غابت الوثائق عن الحدث أو عندما لا تعطي الوثيقة الجواب الشافي فإنه لابد من جمع شهادات عدد من الناس الذين شاركوا فيه أو عاصروه. وبالتالي فإنها تلقي ضوءًا من الإيضاحات في تفسير الحدث. وتبقى الشهادة الشفوية شهادة ضعيفة لا ترقى إلى مستوى الوثيقة المكتوبة؛ لأنها تعتمد كليًّا على الذاكرة، والذاكرة لا يمكن الاعتماد عليها كليًّا؛ لما يعتريها من تآكل وغموض واختلاط في الصور والأحداث. وعلى الرغم من ذلك يبقى التاريخ الشفوي جزءًا هامًّا لا يمكن الاستغناء عنه في تاريخ الأمم وحياة الشعوب. إن من يظن أن الروايات الشفاهية لا تصلح كوثائق ومستندات لدراسة التاريخ، قد يتراجع عن رأيه إذا تذكر أن أغلب الوثائق المدونة كانت في الأصل روايات شفاهية متناقلة قبل أن تدّون. وعلى هذا الأساس فإن الوثائق الشفاهية لا تقل أهمية عن الوثائق المدونة، ولا تتفوق الأخيرة على الأولى إلاّ بكونها تخضع لطرق متعددة للتأكد منها وخلوها من التزوير، ولكن ليس من الصعب أن نضع ضوابط مماثلة لإثبات صحة الوثائق الشفاهية قبل تسجيلها بواسطة آلات التسجيل أو تدوينها.

جاءت هذه الشهادات بنص حديث أصحابها مع حفظ الألقاب للجميع لتزيح الستار وتكشف النقاب عن معلومات هامة في تاريخ الحركة الطلابية في فترة السبعينيات. تلك الفترة التي شهدت حراكًا كبيرًا للنشاط الإسلامي داخل الجامعات المصرية ممثلاً في اتحادات الطلبة في الجامعات وأيضًا اتحاد طلاب مصر الذي سيطر عليه التيار الإسلامي وصنع تاريخًا لتلك الحركة داخل الجامعات المصرية، وامتد خارجها ليطال جنبات المجتمع المصري كافة. ولكن على الرغم من المعلومات الكثيرة التي وردت في تلك الشهادات التي يتحمل أصحابها مقدار المصداقية في صحتها التي لم تُذكر في الأوراق الرسمية للدولة – على سبيل المثال في التحقيقات الرسمية – فإنها تثير العديد من التساؤلات حول بعض المواقف. وتحتاج إلى وثائق مادية للتحقق من مدى تطابق هذه الروايات مع الوقائع الحادثة في تلك الفترة الهامة من تاريخ الحركة الإسلامية في مصر.

في هذا الإطار الروائي لتاريخ الحركة الطلابية الإسلامية تأتي أهمية التاريخ الشفاهي كوسيلة من وسائل التوثيق التاريخي الذي يروي الأحداث من صانعيها وشهود العيان عليها كل من موقعه ووفقًا لأطره الفكرية ومعتقداته في تلك الفترة ليفتح الباب أمام الجانب التوثيقي المادي من خلال الأوراق الرسمية التي توثق لأحداث ربما تكون مخالفة لما ورد في تلك الشهادات، وتكون مجالاً للنقد والفصح والتدقيق؛ للوصول إلى حقيقة الأحداث والوقائع في تلك الفترة وتكشف النقاب عما لم يرد في تلك الشهادات، وتقارن بينها في إطار المنهج العلمي لتوثيق الأحداث التاريخية للحركة الإسلامية ومواقفها الفكرية والسياسية ومدى تفاعلها وردة فعلها مع ما جرى من أحداث تلك الفترة.

